

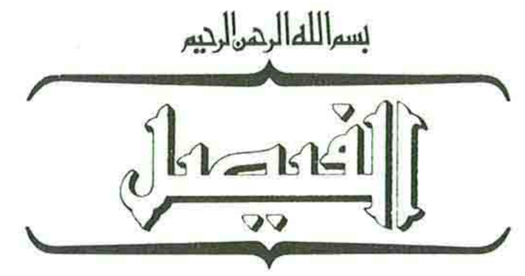
مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 51 JULY 1981.

مجلة الفيصل العدد (٥١) ـ رمضان ١٤٠١ هـ السنة الخامسة ـ تموز (يوليو) ١٩٨١ م

بسم الله الرحمن الرحيم



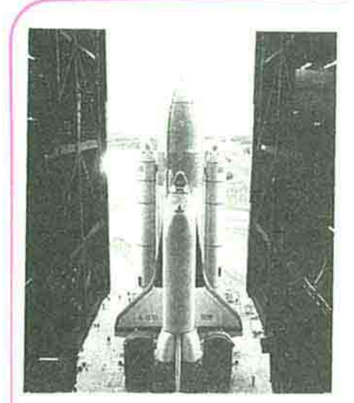
مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير
علوي طه الصافي

العدد (٥١) رمضان ١٤٠١هـ السنة الخامسة - تموز (يوليو) ١٩٨١م

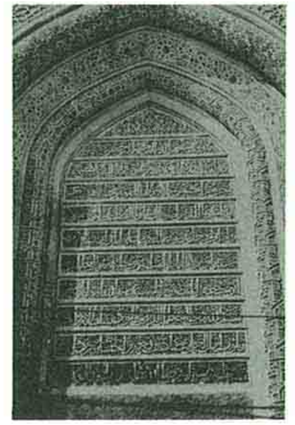
في هذا العدد

★ «مكوك الفضاء الأميريكي» (كولومبيا) أول رائد للجيل الثاني من مركبات الفضاء المأهولة بالرواد، وهو يمثل الخطوة الأولى على الطريق إلى أرض مجهولة، ويعد وسيلة الإنسان لولوج حقبة «تسخير» الفضاء في خدمة صالح الإنسان ورفاهه.. وربما حتى تدمير حضارته. طالع ص (٩١) ★



★ المدرسة المستنصرية في بغداد تعد أول جامعة إسلامية كبرى في العالم الإسلامي جمعت فيها الدراسات الفقهية على المذاهب الإسلامية الأربعة في بناية واحدة وعنيت بدراسة القرآن والسنّة النبوية.

تأسست عام ٦٢٥هـ، حيث تردد عليها طلاب العلم والعلماء وأفادوا من كنوزها العلمية والأدبية نحو قرنين من الزمان. طالع ص (١١٢) ★



★ اليابان: «بلاد الشمس المشرقة» حباها الله بالمناظر الطبيعية الخلابة. تتألف من أربع جزر رئيسية.. بالإضافة إلى (٣٥٠٠) جزيرة أصغر حجماً. لغتها مزيج من الحروف الصينية التي انتقلت إليها من الصين القديمة. لأهلها زيّ ذو طراز خاص عرف باسم «الكيمونو». طالع ص (٣٥) ★



من كتاب هذا العدد ٤
الحركة الثقافية في شهر ٥
الطريقة المثلى لدراسة الفقه الإسلامي .... د. محمد محروس المدرس ١٥
حماية الشيك.. في نظام التجارة السعودي .... د. إلياس حداد ١٩
أسباب المرض النفسي في النظرة الإسلامية
(بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري) .... د. حسن الشرقاوي ٢٦
البترول في العالم الإسلامي — مهندس كيميائي:
(بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري) .... محمد عبد القادر الفقي ٢٨
بلاد الشمس المشرقة (في بلاد الله) .... د. عبد اللطيف أبو السعود ٣٥
متحف طوبقابي في إسطنبول (من متاحف العالم) ٤٥
(لقاء مع) الشيخ محمد الغزالي .... عاطف مصطفى ٥١
سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات القدماء
والمحدثين (بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري) ..... عبد المنعم خميس ٥٧
فاتح شطر بلاد الروم ومستعيد شطر إرمينية .... اللواء الركن محمود شيت خطاب ٦١
بين شاعرين (قصيدة وقصيدة) ٧١
أثر الصحراء في الشعر السعودي .... د. عبد الله الحامد ٧٤
شخصية الكفيف (بمناسبة العام الدولي للمعوقين) ... د. ماهر محمود الهواري ٧٦
حضارة العرب (رحلة في كتاب) .... عرض وتقديم: محمود الأرناؤوط ٨٣
وأخيراً.. انطلق مكوك الفضاء (موضوع خاص) .... د. مهندس: مظفر صلاح الدين شعبان
مهندس: سمير صلاح الدين شعبان ٩١
في رحاب المآذن (لوحة وفنان) .... د. زينب عبد العزيز ١٠٤
رمضان (قصيدة) .... محمد منذر لطفي ١٠٧
مدخل إلى الثقافة العسكرية .... لواء ركن يوسف إبراهيم السلوم ١٠٨
المدرسة المستنصرية في بغداد..
أول جامعة إسلامية في العالم .... د. محمد حسين عساف ١١٢
كولن ولسون.. وإنسان هذا العصر .... جلال العشري ١١٨
التربية الجمالية في عصر التكنولوجيا .... فوزي سليمان ١٢٥
إبراهيم بن العباس الصولي ـ الأديب الشاعر
(صورة من التاريخ) .... الفريق يحيى عبد الله المعلمي ١٣١
الصيامات والحيتان (قصة) .... زهير العلاف ١٣٧
وأخيراً.. وجدت السنوسي (مطالعات في الكتب) ... عبد الرحمن محمد الرفاعي ١٣٩
دائرة معارف (في الفقه المالكي «العبادات») ١٤٤
مسابقة مجلة الفيصل ١٥٢



الفريق يحيى المعلمي

★ من مواليد جيزان — المملكة العربية السعودية عام ١٣٤٧ هـ .

★ ماجستير في إدارة الشرطة من جامعة ولاية ميشجان بالولايات المتحدة .

★ تدرج في أعماله الوظيفية من مدير شرطة في عدة مدن بالمملكة ، إلى مدير التحقيقات الجنائية بالرياض ، فمديراً للمكتب الثقافي بالأمن العام ، فمديراً للإدارة العامة لشؤون الضباط بوزارة الداخلية ، ثم مديراً للإدارة العامة للسجون بوزارة الداخلية .

★ يتولى حالياً منصب « مساعد مدير الأمن العام » .

★ ساهم في عدد من المؤتمرات الدولية في مجال الشرطة ومكافحة المسكرات والمخدرات .

★ قدم عدة مؤلفات منها : الأمن والمجتمع ، الأمن في القرآن ، الشرطة في الإسلام ، الأمن والتخطيط .

★ نشر له عدد من المقالات والقصائد في الصحف والمجلات السعودية .

★ يدرس حالياً في معهد الإدارة ، ويحاضر في الأندية والمعاهد الخاصة بالأمن العام .



لواء ركن
يوسف إبراهيم السلوم

★ ماجستير في الإدارة العامة وماجستير في العلوم العسكرية ، وحاصل على دبلوم الزمالة الدولية في العلوم العسكرية من كلية الحرب بأمريكا ، ويحضر لنيل شهادة الدكتوراه .

★ عمل في عدد من الوظائف العسكرية ، ويعمل حالياً مديراً عاماً للتخطيط والميزانية والمتابعة بوزارة الدفاع والطيران .

★ له عدد من المؤلفات المطبوعة ، وله مجموعة من المحاضرات والمقالات التي نشرت في عدد من المجلات — مجلة الإدارة العامة ومجلة الدفاع ، مجلة الجندي المسلم ، مجلة الحرس الوطني .



الدكتور محمد حسين عساف الزبيدي

★ ولد بمدينة « الحلة » — العراق عام ١٩٣٠ م .

★ دكتوراه في التاريخ الإسلامي .

★ دكتوراه في التاريخ السياسي الحديث .

★ أستاذ مساعد في كلية الآداب بجامعة بغداد .

★ عضو المكتب الدائم لاتحاد المؤرخين العرب .

★ خبير في جامعة الدول العربية .

★ حضر عدة مؤتمرات عربية عن التاريخ العربي ، والمأثورات الشعبية ، وتدريس العلوم الإدارية ، والمصطلحات الفلسفية وعلم الاجتماع .

★ له ستة مؤلفات منها : التنظيمات الإدارية والاقتصادية في القرنين الرابع والخامس الهجريين ، موقف العراق القومي من قضية الجزر العربية الثلاث .

★ حقق في بعض كتب التراث مثل : كتاب الخراج — لقدامة بن جعفر ، رسالة التنبيه على ما وجب من إخراج اليهود من جزيرة العرب — لصارم الدين إبراهيم بن عبد القادر .

★ له أربعة كتب تحت الطبع .



د . الياس حداد

★ من مواليد حمص — سورية عام ١٩٤٠ م .

★ دكتوراه دولة في الحقوق — فرنسا .

★ عمل مدرساً للقانون التجاري في كلية الحقوق — جامعة دمشق ، ومدرساً للقانون التجاري في كلية الاقتصاد والتجارة ، ووكيلاً لكلية الحقوق في الجامعة نفسها ، ثم رئيساً لقسم القانون التجاري .

★ يعمل حالياً أستاذاً مساعداً في كلية العلوم الإدارية بجامعة الرياض ، ومستشاراً قانونياً لمدير جامعة الرياض .

★ عضو الوحدة القانونية للخبرة والمشورة والدراسات بجامعة دمشق .

★ له عدة بحوث في القانون التجاري (بري ، بحري ، جوي) .

عبد الرحمن محمد الرفاعي

★ من مواليد المملكة العربية السعودية .

★ ليسانس في اللغة العربية وآدابها — جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية — الرياض .

★ يعمل حالياً مدرساً .

★ عضو مجلس إدارة نادي جازان الأدبي .

★ له كتاب تحت الطبع بعنوان « الخميني .. الحلقة المفقودة في امتداد عربية الموشح » ، هذا إلى جانب عدد من البحوث في اللغة والأدب والنقد .

** من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحا شهريا لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب ، بل في «العالم» الانساني .

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا ، والله الموفق **



- إقامة متحف للآثار التاريخية بمنطقة الأحساء في المملكة العربية السعودية .
- اكتشاف قاموس تاريخي بعدة لغات في اليمن .
- ندوة عالمية عن (الهمداني) تقام في صنعاء .
- موسوعة لأعلام العراق ، وأخرى عن أدباء القصة في مصر .
- السيرة والسنّة النبوية في مؤتمر عالمي سيقام بالرباط في المغرب .
- وفاة ثلاثة شعراء عرب .



- إقامة معرض عن روائع المخطوطات الإسلامية في لندن .
- الحضارة السومرية والآشورية والبابلية في معرض بباريس .
- قاموس عن الأعشاب الطبية يصدر في اليابان .
- اكتشاف أثري في جيبوتي .
- معرض للتراث والفن العربي في ألمانيا .



★ الأمير عبد الله الفيصل ★

السعودية :

مخطوطات لجامعة أم القرى

دعماً **لجامعة أم القرى**، وهي أحدث جامعة تنشأ في المملكة العربية السعودية **بمكة المكرمة** وتعتبر سابع جامعة، فقد أهدى صاحب السمو الملكي الشاعر الأمير **عبد الله الفيصل** عدداً من المخطوطات النادرة لمكتبتها تضم أكثر من ثلاثمائة مخطوطة في **مختلف المباحث الدينية والرياضيات والعلوم المختلفة**.

متحف للآثار التاريخية

تعتزم **جامعة الملك فيصل** بالمنطقة الشرقية افتتاح **متحف للآثار التاريخية بفرعها بمنطقة (الأحساء)** وذلك بهدف خدمة المجتمع، ومحاولة إعطائه نبذة وافية عن تاريخ بلده من خلال هذا المتحف، الذي سيحتوي على جميع المعلومات ذات الطابع الحضاري والثقافي للمنطقة، وجمع المخطوطات وكتب التراث والفنون الشعبية، والمعلومات الزراعية والحيوانية، والبحرية والتجارية، والعمرانية والاجتماعية.

ابن إدريس رئيساً لنادي الرياض الأدبي

عين **الأستاذ عبد الله بن إدريس** الشاعر والأديب السعودي المعروف، **رئيساً لنادي الرياض الأدبي** خلفاً **للأستاذ أبي عبد الرحمن ابن عقيل**. والمعروف أن ابن إدريس كان أحد أعضاء مجلس إدارة النادي، وهو شاعر وكاتب معروف سبق أن أصدر أول دراسة عنيت بالشعر المعاصر في نجد بعنوان «**شعراء نجد المعاصرون**» منذ أكثر من خمس عشرة سنة.. وهو إلى جانب ذلك له مجموعة من القصائد الشعرية المتناثرة التي لم يضمها بعد في ديوان.

وقد شهد نادي الرياض الأدبي أثناء رئاسة أبي عبد الرحمن نشاطاً كبيراً وملموساً سواء على مستوى الندوات أو الإصدارات، حيث التزم النادي بإصدار كتاب شهري بصورة مستمرة ساهمت في إثراء المكتبة السعودية.

أثر تاريخي قديم

أثناء الحفر في (**مدارس الزاهر**) **بمكة المكرمة تم اكتشاف أثر تاريخي قديم** لم يحدد تاريخه، وهو عبارة عن أواني وألواح عليها بعض الكتابات القديمة، ربما تعود إلى عصور تاريخية غير معروفة حتى الآن، واهتماماً بهذا الأثر سيقوم عدد من الخبراء وعلماء الآثار بمعاينتها لتحديد عصرها.

ندوة عن التراث الشعبي

عقدت **في الرياض** تحت إشراف **عمادة كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية** ندوة عن (**التراث الشعبي ووجوب المحافظة عليه بالمملكة**) اشترك فيها كل من **الدكتور عبد الرحمن الأنصاري** رئيس قسم الآثار والمتاحف بكلية الآداب بجامعة الرياض، **والدكتور عبد الله حسن مصري** مدير عام الآثار والمتاحف بوزارة المعارف، **والدكتور محمد الربيع** مدير مركز البحوث المساعد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، **وأحمد حسين شرف الدين** خبير التراث بعمادة المكتبات بجامعة الإمام.. أدار الندوة **الدكتور زكي محمد إسماعيل**، وقد عرض في هذه الندوة فيلم عن الخلفية التاريخية لآثار المملكة.

شعر بني تميم وأمسية شعرية

ذلك هو **عنوان المحاضرة** التي ألقاها **الدكتور عبد الحميد المعيني** وذلك تحت إشراف وتنظيم نادي الرياض الأدبي وضمن نشاطه، وقد دعي إليها جمع من المهتمين، كما أقام النادي **أمسية شعرية لخمسة من الشعراء** هم: محمد المنصور، أحمد بهكلي، معيض البخيتان (من السعودية)، هادي الخفاجي (من العراق)، راشد علي عيسى (من الخليج).

معرض فني للحويطي

أقام مدرِّس التربية الفنية بمتوسطة الإمام علي بن أبي طالب بتبوك **سليم سالم الحويطي** معرضاً شخصياً ضم العديد من لوحاته الفنية التي تمثل طبيعة المنطقة الشمالية من المملكة العربية السعودية، وذلك خلال الفترة من ٦/٢٨ إلى ١٤٠١/٧/١ هـ، بقاعة فندق العادل بتبوك، وقد افتتح المعرض صاحب السمو الملكي **الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز آل سعود** أمير المنطقة.

* كتب جديدة *

● «**ضياع**»، **الديوان الثاني** للشاعر **ماجد الحسيني**، صدر عن **النادي الأدبي بالرياض**، وقد سبق أن صدر ديوانه الأول منذ

سنوات بعنوان «حيرة».

● «**من الإنتاج الطلابي الفائز في المسابقات الثقافية للعام الجامعي ١٤٠٠/٩٩هـ**»، صدر عن **عمادة شؤون الطلاب بجامعة الرياض**.

● «**على مرافىء التراث**»، تأليف **الدكتور أحمد محمد الضبيب**، صدر عن **دار العلوم بالرياض**.

● «**لحظات حنان**»، **ديوان شعر** للشاعر **عبد العزيز الشرفي**، صدر عن **الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون**.

● «**نبض**»، تأليف **الأستاذ عبد الله جفري**، صدر عن **تهامة للنشر** وهو عبارة عن مجموعة مقالات قصيرة وجدانية.

● «**ثمرات قلم**»، تأليف **الأستاذ محمد حسين زيدان** رئيس تحرير مجلة «الدارة»، صدر عن **تهامة ضمن سلسلة «الكتاب العربي السعودي»**.

● «**من وراء الحدود**»، مشاهدات، خواطر، ذكريات، تأليف **فهد العريفي**، صدر عن **نادي الرياض الأدبي** ضمن سلسلة «**كتاب الشهر**».

● «**البناء القبلي والتَّحضر في المملكة العربية السعودية**»، بحث أعدَّه **سعيد فالح الغامدي**، صدر في كتاب عن **دار الشروق بجدة**.

● «**التدين والمجون في شعر شوقي**»، **دراسة** أعدَّها **عائض نبيه الردادي**، صدرت في كتاب عن **النادي الأدبي بالرياض**.

● «**النثيرة والقصيدة المضادة**»، **مجموعة من القضايا** في الأدب والنقد أعدَّها **محمد ياسر شرف**، صدرت في كتاب عن **النادي الأدبي بالرياض**.

البحث

ندوة عالمية عن الهمداني

ستنظم (جامعة صنعاء) ندوة عالمية خلال شهر اكتوبر (تشرين الأول) من هذا العام ١٩٨١م، احتفالا بالذكرى الألفية للمؤرخ اليمني «**الحسن بن أحمد الهمداني**»، وقد دعي لحضور هذه الندوة ما يزيد على العشرين أستاذاً في التاريخ من الجامعات العربية والأجنبية وسيحضرون بأبحاث وموضوعات تدور حول مؤلفات (الهمداني) في التاريخ والجغرافيا واللغة والأدب والأنساب والعلوم الإنسانية. والمعروف أن الهمداني ولد في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري، وهو واحد من العلماء البارزين في القرن الرابع الهجري، ومن أشهر مؤلفاته **موسوعته التاريخية الثقافية (الإكليل) و«صفة جزيرة**

كلمة

(٩) الحركة الأدبية في المملكة

كانت الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية تفتقر في السابق إلى المجلات القادرة على إيصال أصوات وعطاءات الأدباء والشعراء والمفكرين السعوديين إلى قراء وأدباء العالم العربي الذين يتعطشون إلى التعرف على ماهية الأدب السعودي، ومعالمه، وملامحه الخاصة المميزة في الوقت الذي تحتل فيه المملكة مركزاً رائداً في السياسة والاقتصاد ومظاهر النهضة العمرانية، وتطور البيئة على المستوى العربي والدولي.

كان ينبغي أن يصاحب هذا الدور أو يسبقه، طلائع فكرية وأدبية تعكس جانباً هاماً من جوانب النهضة.. على أساس أن النهضة - أية نهضة - تقوم على عنصرين:

● أحدهما مادي يتمثل في التطور المادي.

● والآخر معنوي يتمثل في التطور الفكري والأدبي والثقافي بكل ما يشتمل عليه من متغيرات نفسية واجتماعية وفردية، وما يتشوق إليه من طموحات لصناعة متغيرات جديدة تشكل البنى الحديثة للتركيبة الاجتماعية بكل أبعادها النفسية والشعورية.

وحين يغيب أحد العنصرين فإن النهضة القائمة تصبح نهضة مصابة بالشلل.. خاصة إذا كان العنصر الغائب هو العنصر المعنوي.

وقد تداعت الأصوات الأدبية إلى ضرورة قيام مجلات أدبية تنقل تجربتنا الأدبية والفكرية إلى أشقائنا العرب، مجلات تحقق من خلال التوزيع والشكل والمضمون انتشاراً طيباً في سوق الأدب.. ومع وجود بعض المجلات التي كانت - وما زالت - تصدر مثل مجلة «العرب» لصاحبها الشيخ حمد الجاسر، ومجلة «المنهل» لصاحبها الشيخ عبد القدوس الأنصاري، ثم مجلة «الدارة» التي يرنس تحريرها الأستاذ محمد حسين زيدان.. إلا أن هذه المجلات لم تكن في انتشارها على مستوى جماهير القراء ما يجعلها قادرة على تحقيق الأهداف المنشودة، هذا إلى جانب أن بعضها يختص بالجانب التراثي والجغرافي والتاريخي.. وأسباب عدم قدرتها على الانتشار أن بعضها متخصص، والبعض الآخر يصدرها أفراد لا تمكنهم مواردهم المالية من توسيع رقعة انتشارها.

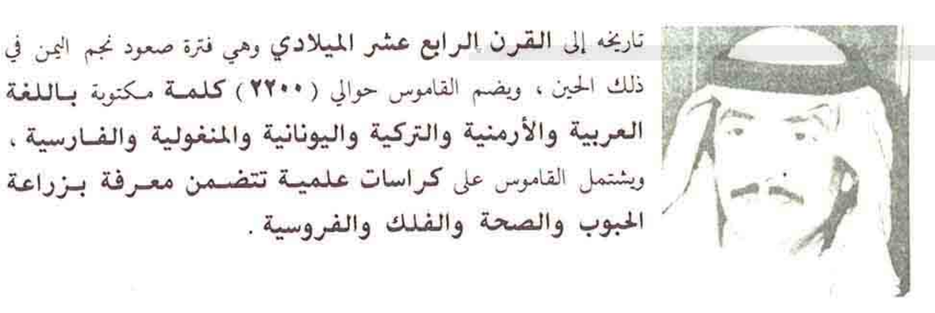
لهذا نجد أن الصحف اليومية السيارة والمجلات الأسبوعية بملاحقها وصفحاتها الأدبية ملأت هذا الفراغ على مستوى جماهير القراء «في الداخل» حيث استطاعت أن تعرِّف بعدد من الأقلام الشابة الواعدة التي أثبتت قدرتها على التخطي والتجاوز.

وفي السنوات الأخيرة صدرت مجلات سعودية حققت انتشاراً جيداً على مستوى الساحة الأدبية العربية مثل «المجلة العربية»، ومجلة «الفيصل».

وكان المفروض أن تسد هاتان المجلتان الفراغ الذي كان يشكو منه الأدباء فتحقق لأعمالهم الانتشار المنشود، وهذا ما حاولتاه منذ نشأتها، إلا أن هذه المحاولة لم تحقق ما كانت تتطلع إليه، لأن صدورها جاء في فترة شغل فيه الأدباء بمعطيات خطط التنمية السريعة.

والنقاد يشاركهم الأدباء يتطلعون أن تتمخض مشاريع خطط التنمية إلى ولادة أدبية جديدة نتيجة للمتغيرات التي تحدث داخل المجتمع السعودي.. وهذا ما نأمل أن يتحقق في المستقبل القريب إن شاء الله.

علوي طه الصافي



★ عبد الله جفري ★

العرب» و«أخبار اليمن القديمة» إضافة إلى عدد من كتب الفقه والأدب والشعر .

معرض للكتاب

أقيم في (صنعاء) **المعرض الدولي الثالث للكتاب** وذلك تحت إشراف (**جامعة صنعاء**) ، شارك فيه أكثر من ثمانين مكتبة ودار نشر محلية وعربية ، كما اشترك فيه عدد من دور النشر العالمية الأخرى .

اكتشاف قاموس تاريخي

تم أخيراً اكتشاف (**قاموس تاريخي**) بعدة لغات في اليمن يعود تاريخه إلى **القرن الرابع عشر الميلادي** وهي فترة صعود نجم اليمن في ذلك الحين ، ويضم القاموس حوالي (**٢٢٠٠**) **كلمة** مكتوبة **باللغة العربية والأرمنية والتركية واليونانية والمنغولية والفارسية** ، ويشتمل القاموس على **كراسات علمية تتضمن معرفة بزراعة الحبوب والصحة والفلك والفروسية** .

المغرب

السيرة والسنَّة النبوية في مؤتمر عالمي

سيقام **مؤتمر عالمي حول (السيرة والسنَّة النبوية)** في مدينة **الرباط بالمغرب** في ربيع عام ١٩٨٢ م ، وذلك تحت إشراف وتنظيم **وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية** ، وسيستعرض المؤتمر الذي دعي إليه نخبة من رجال الفكر الإسلامي أبحاثاً ودراسات عن التحديات التي يواجهها الإسلام في العصر الحاضر ، وما يثار حوله من شبهات ، مع الإشارة إلى دور السنَّة النبوية ومكانتها في الفكر الإسلامي .



الامتناع عن التدخين

هناك سؤال حرج لكل مريض بالقلب ، أو الأوعية الدموية ، أو أمراض الرئتين المختلفة وهو : «**هل امتنعت بتاتاً عن التدخين ؟**» .

وبالرغم من أن قليلاً من المرضى فحسب الذين يجيبون على السؤال غير صادقين ، بدافع الجهل بمصلحتهم أو ضعف الإرادة عندهم إلى درجة خضوعهم التام للتدخين ، إلا أن هذه النسبة قد تكون مهمة اعتباراً لخطورة المرض الذي يشكون منه ومدى تأثر هذا المرض باستمرارية تدخين المريض .

وقد لوحظ في كثير من **العيادات الطبية** ، وحتى **المستشفيات** أن هناك صعوبة حقيقية في التأكد من صحة قول المريض ، أي التأكد من امتناعه عن التدخين .

وأخيراً توصل الطب إلى التأكد من هذه الحقيقة ، ومن أن المريض لم يدخن طيلة الـ «٣٦» ساعة الأخيرة على الأقل أو حتى فيما إذا خفض نسبة تدخينه .

والفكرة بسيطة ، فقد أجريت تجارب على مدخنين وغير مدخنين ووجد أن نسبة عالية من **النيكوتين** وأهم مشتقاته «**الكوتينين**» توجد في الإدرار البولي وتتناسب كميتها مع كمية التدخين ، وقد استخدمت هذه الحقيقة مع المدخنين المرضى **فوجد أن نسبة النيكوتين والكوتينين تنخفض وتكاد تنعدم بعد ٣٦ ساعة من تدخين السيجارة الأخيرة** .

والآن في المستشفيات والعيادات الطبية ، وعند الرغبة بشكل خاص في التأكد من أن مرضى القلب والأوعية الدموية والرئتين قد واظبوا على الامتناع عن التدخين ومقارنة هذا مع التحسن في برء المرض ، لذلك يجرى فحص إدرار هؤلاء المرضى لوجود مادتي النيكوتين والكوتينين ، وترسم بيانات حسابية توضح انخفاض هذه المواد في البول وتقارن مع تحسن حالة المريض .

والمهم أنه عندما يسأل الطبيب مريضه (هل امتنعت عن التدخين ؟) فإنه يستطيع الآن أن يتحقق من الجواب بفحص مخبري بسيط يعينه على مساعدة المريض وتقديم العلاج الناجع .

د . عصام غنيم

صون مدينة فاس

بهدف المحافظة على مدينة فاس المغربية التي أسست في القرن الثاني الهجري على يد المولى (إدريس الأزهر) والتي تعتبر الآن شاهداً فريداً على استمرارية العطاء الثقافي المتنوع، تسعى لجنة شكلت من قبل الحكومة المغربية ومنظمة اليونسكو لتنوير الرأي العام لجمع ما يمكن جمعه لصيانة المدينة والمحافظة عليها وتلك اللجنة مكونة من:

★ **الدكتور عبد الهادي التازي**، السفير والباحث المعروف وعضو أكاديمية المملكة المغربية، ورئيس تحرير مجلة «البحث العلمي» الدورية التي تصدر في الرباط.

★ **الدكتور بنسالم الكوهن**، رئيس المجلس البلدي في مدينة فاس.

★ **الدكتور محمد المختار ولداباه**، مستشار اليونسكو في الشؤون الثقافية للدول العربية.

★ **الأستاذ عبد اللطيف الحجاجي**.

وقد زارت البعثة المملكة العربية السعودية، وسعدت مجلة «**الفيصل**» بزيارة أعضائها.. وتأمل المجلة أن تقوم بدورها في دعم هذه الدعوة لصيانة فاس مدينة جامعة القرويين وآثارها.

* كتب جديدة *

● «**منجزات وآفاق لجنة القدس**»، صدر في الرباط.



ندوة حول الطاقة الشمسية

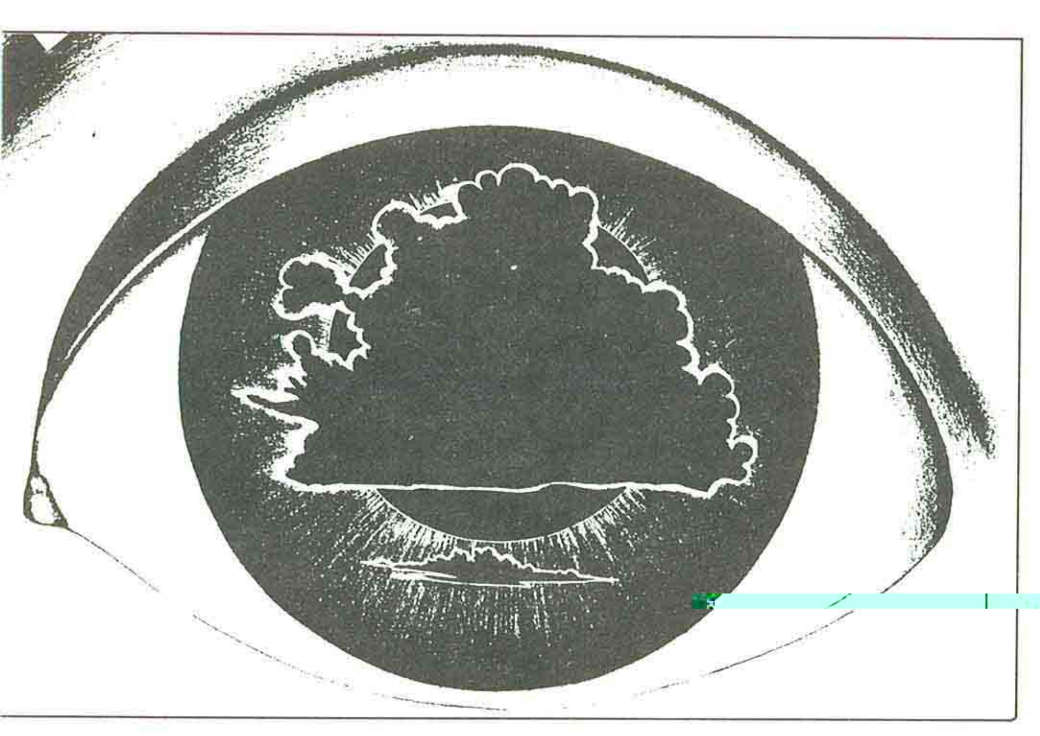
عقدت في دمشق **الندوة العربية الدولية (للطاقة الشمسية)** التي نظمتها **إدارة الإسكان والتعمير بجامعة الدول العربية** بالتعاون مع **وزارة الإسكان السورية**، وقد نوقش فيها عدد من الموضوعات المتعلقة بالطاقة واستخداماتها المنزلية بالدول العربية، شارك فيها وفود من مختلف الدول العربية والأوروبية وأميركا بالإضافة إلى محاضرين يمثلون الجامعات العربية، وقد استمرت هذه الندوة ثلاثة أيام.

معرض أثري متجول

تستعد **المديرية العامة للآثار والمتاحف السورية** لإقامة **معرض متجول** في دول أوروبية وفي أميركا يضم (٢٧٠) قطعة أثرية

صورة وتعليق





★ سوء التغذية في المراحل المبكرة للطفولة هو من دون شك أحد الأسباب الرئيسية للتخلف العقلي. في بداية ١٩٨١م، من المتوقع أن [illegible] نقصاً حاداً في التغذية نحو عشرة ملايين. أما إذا تحدثنا عن سوء التغذية «المعتدل»، فيرتفع العدد إلى ٤٠ مليوناً، أي ٢٠ في المئة من صغار العالم ★



★ أحمد رامي ★

من عصور مختلفة ، سيبدأ المعرض في مطلع العام القادم ١٩٨٢ م ، ويشمل ألمانيا الغربية ، وفرنسا ، وإنجلترا ، والنمسا ، بالإضافة إلى الولايات المتحدة الأميريكية .

وفاة الياس قنصل

توفي الأديب السوري المهجري (**الياس قنصل**) عن عمر يناهز السابعة والستين ، وقد ولد الشاعر في مدينة « **يبرود** » السورية عام **١٩١٤** م ، وتلقى مبادئ تعليمه في مدرسة مدينته الابتدائية ، وهاجر إلى (**البرازيل**) برفقة والده عام **١٩٢٥** م ، ثم انتقل فيما بعد إلى (**الأرجنتين**) . تولى في حياته **رئاسة تحرير « الجريدة السورية اللبنانية »** في مدينة (**بوينس أيرس**) . كما أصدر **مجلة « المناهل »** ، وفي دمشق أصدر **مجلة « الفنون »** ، كما كان في الأرجنتين يلقي المحاضرات التي تلقي الضوء على حضارة العرب باللغة الإسبانية . له من الأعمال الأدبية المطبوعة شعراً ونثراً **(٤٢) كتاباً باللغتين العربية والإسبانية** . وهو أحد كتّاب مجلة « **الفيصل** » ، وكانت آخر قصيدة نشرت له بها بعنوان « صلاح الدين » .

وفاة الشاعر عدرة

توفي الشاعر السوري (**إسماعيل عدرة**) عن عمر يناهز الرابعة والخمسين ، فقد ولد بمحافظة **حماة ـ سلمية بسورية عام ١٩٢٧ م** ، وهو **مجاز في الأدب العربي من جامعة دمشق** ، اشترك في عدد من الأمسيات والندوات الشعرية في المدن السورية ، وقد نشر بعض نتاجه الأدبي وبخاصة الشعري في الصحف السورية وغيرها . له مجموعات شعرية منها « **الليل الأخير** » .

مصـــر

جائزة الإسكندرية للشعر

خصصت **محافظة مدينة الإسكندرية** جائزة سنوية للشعر باسم « **جائزة الإسكندرية** » يقام لها مهرجان سنوي خلال شهر يونيو (حزيران) من كل عام بساحة قلعة « **قايتباي** » **الشهيرة** ، وذلك إحياء لمجد المدينة الثقافي ودورها الحضاري ، وستكون المسابقة باللغتين العربية والإنجليزية ، وسيكون الباب مفتوحاً لكل الشعراء عرباً وغير عرب .

وفاة أحمد رامي

انتقل إلى رحمة الله تعالى **الشاعر المعروف أحمد رامي** عن عمر يناهز التاسعة والتسعين ، وقد ولد عام ١٨٨٢ م ، وعمل في حياته مدرساً للجغرافيا ، ثم أميناً لمكتبة مدرسة المعلمين بالقاهرة ، وأرسل في بعثة إلى فرنسا ، **وشغل منصب عميد دار الكتب** ، كما حصل على **درجة الدكتوراه الفخرية** من أكاديمية الفنون المصرية ، **وميدالية الخلود** من أكاديمية الفنون بفرنسا ، **ألف ستة دواوين شعرية ومسرحيتين وترجم (١٢)** مسرحية ورواية ، وكتب بالإضافة إلى ذلك أكثر من (٥٠) أغنية ، وقد أطلق عليه في حياته « **شاعر الشباب** » ، كما ترجم رباعيات الخيام ، واشتهر بشعره الغنائي .

موسوعة عن أدباء القصة

ستصدر **موسوعة لأدباء القصة في مصر** ، هذه الموسوعة سوف تضم **أدباء القصة منذ الحملة الفرنسية حتى عام (١٩٥٠ م)** مع تراجم مفصلة عن حياتهم وكتبهم وأعمالهم التي ترجمت .

مجلد لأبحاث الندوة الأولى عن التراث

أصدرت **الأمانة الفنية للجنة التراث في المجلس الأعلى للثقافة المصرية** مجلداً يحتوي على **مجموعة الأبحاث التي ألقيت في (الندوة الأولى عن التراث)** التي عقدت في القاهرة ، ويضم المجلد الأبحاث التالية :

★ « لماذا نعنى بالتراث » ، للدكتور أحمد الحوفي .

★ « منهج تحقيق التراث العربي وقواعد نشره » ، للدكتور حسين نصار .

★ « التراث والحضارة » ، للدكتورة نعمات أحمد فؤاد .

★ « التخطيط لإحياء التراث » ، لعبد المنعم عمر .

★ « التراث اللغوي ومحاذير نشره » ، لمحمد شوقي أمين .

★ « تراثنا العلمي بين الشرق والغرب » ، للدكتور أحمد سعيد الدمرداش .

★ « حاجة تراثنا اللغوي إلى التنقية والتنقيح » ، للدكتور رمضان عبد التواب .

★ « مشكلات التراث بين الحاضر والمستقبل » ، للدكتور أحمد هيكل .

العـــراق

مدينة بابل والكنوز الثمينة

عثرت **البعثة الأثرية** التي تعمل في مشروع **الإحياء الأثري لمدينة (بابل)** على مجموعة من **التحف الذهبية والفضية ومئات من قطع الأحجار الكريمة** من أحد القبور الملكية التي اكتشفت في داخل أحد الجدران المتهاوية لقصر (**نبوخذ نصر الثاني**) ، والمعروف أن (بابل) تقع على بعد (٩٠) كيلومتراً إلى الجنوب من بغداد واسمها محرف من « باب ايلي » الذي يعني باب الآلهة ، وهي من أشهر المدن القديمة ، وتضرب الأمثال بجمال أبنيتها وبثقافة أبنائها .

موسوعة لأعلام العراق

يزمع **المجمع العلمي العراقي** إصدار **موسوعة عراقية** عن عدد كبير من **أعلام العراق** ، وهي الموسوعة التي كان قد وضعها الكاتب الراحل **صادق الملائكة** والد الشاعرة المعروفة **نازك الملائكة** . ستخرج الموسوعة في ستة أجزاء ، يقع كل جزء في حوالي خمسمائة صفحة .



الفن التشكيلي في كتاب

أصدرت **المنظمة العربية للثقافة والعلوم والآداب** كتاباً خاصاً عن (**الفن التشكيلي العربي المعاصر**) **للدكتور عفيف بهنسي** ، رصد فيه لتاريخ الفن التشكيلي العربي المعاصر مع نماذج من لوحات لفنانين من كل بلد عربي .



معرض للفنون التشكيلية

أقيم في **مدينة (العقبة) الأردنية معرض للفنون التشكيلية** تحت عنوان « **معرض مهرجان الربيع** » شارك فيه أكثر من (١٣٠) فناناً أردنياً بما يزيد على (٤٠٠) عمل فني تجمع كل أنواع الفنون من النحت والخزف والتصوير والرسم بالزيت والماء والفحم ، وقد مثلت هذه الأعمال الحياة الأردنية اليومية ولها **التصاق وثيق بالقضية الفلسطينية ، وبالقضايا الإنسانية** ، استمر هذا المعرض عشرة أيام .

نافذة

الأديب العربي .. وقضية النشر

لماذا يكتب الكاتب ؟

هل ينتج الكاتب أعماله الأدبية ليجعلها حبيسة أدراج مكتبه مخنوقة الأنفاس خرساء الصدى ؟

أم أنه حين يكتب يحلم بتلك المراسلة الفنية الغالية التي تتم بينه وبين المتلقي ، أي بينه وبين قارئه حتى لو كان قارئاً واحداً ؟!

إن الإجابة ـــ بالقطع ـــ تتمثل في أن إبداع الأديب ما هو إلا رسالة مطوّلة يبثّها من مكنون نفسه إلى قارئه ، ومن الكتّاب المجيدين من يراسل ملايين القراء ، ومنهم من يراسل آلافاً أو مئات .. إلخ .

وأياً ما كان العدد فإن ذلك لا يهم كثيراً .. المهم وجود القارئ ، آية ذلك أن الكتّاب ـــ غالباً ـــ ما يتخذون لهم من صفوة أصدقائهم من يبثونهم خواطرهم الأولى وهي لما تزل في بكارتها .. ذلك شيء ينبئ عن ضرورة ذلك التراسل الفني بين الكاتب وقارئه .

ينقلنا ذلك التمهيد إلى تساؤل :

من ذا الذي يوصل تلك الرسالة الفنية إلى المتلقّي ؟

إنه **الناشر** بلا جدال .

هنا نصل إلى القضية ، **قضية النشر** . . .

ولو حاولنا إلقاء نظرة على ما يمسّ الأديب إزاء قضية النشر لواجهتنا ملامح عديدة للمشكلة .

فمن ناحية قد نجد النشر متاحاً أمام أعمال غثة غير ناضجة لا تضمّ إضافة حقيقية لرصيد الإنسان . ومن ناحية أخرى قد نجد باب النشر موصداً أو نادراً أمام أعمال أخرى طيبة .

ومن ناحية ثالثة قد نجد المؤلف يقع فريسة **الأساليب التجارية** من لدن بعض الناشرين .. بل إن تطور هذه الأساليب بلغ حدّ **السطو الأدبي** إذا جاز التعبير ، لا سيما وقد بلغ فن الطباعة عالمياً في العصر الحديث مبلغاً من التقدم الفني فاق تصورات العصور الماضية وطموحها ، **فأصبح** من الميسور على بعض دور النشر أن تسطو على أي كتاب يروق لها فتعيد طبعه ونشره متجاهلة حقوق ذلك الإنسان الرهيف وعذابه مع الكلمة وأجزاء من عمره ذابت معها . بل إن المحيطين به من أهله وذويه قد يشاركونه التضحية في سبيل ميلاد هذا العمل الفني .

أما آن الأوان لوضع **نظام من التنسيق العربي** لقضية النشر تحقيقاً لنوع من التكامل بين البيئات الثقافية العربية يلبّي حاجة كل بيئة ، ويحول دون تكرار كثير من الجهود في مجال **تحقيق المخطوطات والدراسات** حيث تتكرر دراسةٌ أو تحقيقٌ في بيئات عديدة ، كذلك فإن مما يحققه ذلك إيجاد نوع من التقارب بين المؤلفين العرب قد يحقق تأليفاً جماعياً حول موضوع واحد تتضافر فيه الجهود ، وقد يحقق حماية لهؤلاء المؤلفين من السطو الأدبي ، ثم قد يحقق أخذاً بيد **ناشئة الأدب** فيما يمكن أن نسميه بفكرة « **الكتاب الأول** » .

د . يوسف نوفل
جامعة الرياض





★ ناتالي ساروت ★

بريطانيا :

روائع المخطوطات الإسلامية

أقيم في **(لندن) معرض لروائع المخطوطات الإسلامية** نظمته **«جمعية المهرجان الإسلامي العالمي»**، وعرضت فيه (٥٥) مخطوطة إسلامية جرى اختيارها من بين (٣٥٠٠) مخطوطة نظراً لقيمتها الأكاديمية، ويعد هذا المعرض الأول من نوعه في العالم والذي استمر تسعة أيام.

فرنسا :

المعارك التاريخية في معرض

أقيم في **العاصمة الفرنسية** معرض عرضت فيه نماذج للمعارك التاريخية التي تعكس مختلف الحضارات ولكن بطريقة جديدة، حيث طبعت أحداث تلك المعارك على أقمشة وعرضت بطريقة شيقة، وظهرت صور أبطال تلك المعارك مطبوعة بيضاء على النسيج لفتت أنظار الذين شاهدوا المعرض.

الصقر الذهبي

حصلت **الروائية الفرنسية المعاصرة (ناتالي ساروت)** على جائزة **(الصقر الذهبي)** وذلك **عن مجموعة أعمالها** التي عرضت **في المهرجان الدولي الثالث عشر للكتّاب**، الذي أقيم مؤخراً في مدينة **(نيس)** الفرنسية.

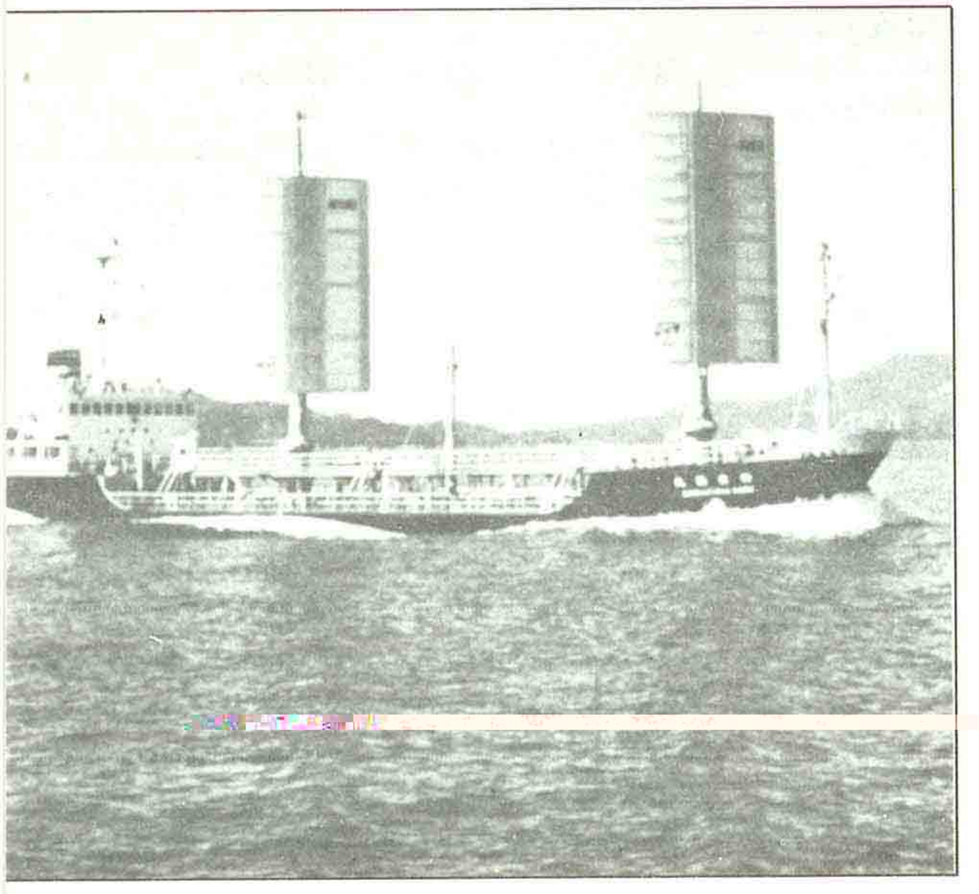
وناتالي أديبة فرنسية ولدت عام ١٩٠٢م، من أشهر رواياتها **«بورتيريه لرجل مجهول»**، وقد اتجهت للمسرح، ومن مسرحياتها **«الكذب»**.



● ناقلة النفط الشراعية ●

قامت شركة ذيبون كوكان اليابانية بصناعة الناقلة نصف الشراعية **«شين ايتوكومار»** التي يبلغ طولها ٢١٦ قدماً، **وقطعت** المسافة الفاصلة بين الصين واليابان بسرعة ١٢ عقدة. وبواسطة هذه الأشرعة أمكن تخفيض كمية الوقود المستهلكة إلى النصف مقارنة بناقلة مماثلة.

زودت السفينة بشراعين عرض كل منهما ٢٦ قدماً وارتفاعه ٤٠ قدماً، وهما مصنوعان من الكتان المتين، تحملها إطارات معدنية. بحارة (شين ايتوكومار) لا يضطرون إلى المغامرة بحياتهم، والصعود إلى صواري السفينة لفتح الأشرعة، ذلك لأن فتح الشراعين وتوجيهها يتم بواسطة حاسب إلكتروني.



ديوان وليامز مترجماً

ترجم إلى **اللغة الفرنسية** ديوان الشاعر الأمـيريكي (**وليـام كارلوس وليامز**) الذي يعتبر من أشهر الشعراء في أمـيريكا في فـترة الخمسينات، ويحمل هذا الديوان عنوان «**بنات الفلاحين**»، وصدرت ترجمته في باريس.

الحضارة السومرية والآشورية والبابلية في معـرض

أقيم في (**باريس**) في قاعة «**بيتي بـاليه**» معـرض عـن **آثـار الحضارة السومرية والآشورية والبابلية** ضم مجموعة من التماثيل التي نقلت من متحف بغداد ومتحف اللوفر الفرنسي، ومن بينها تمثال من الجبس للواعظ من «تل الأسمر» يرجع تاريخه إلى (٢٧٥٠) قبل الميلاد،

كما عرضت فيه بعض الأدوات التي استخدمت في تلك العصور ومن بينها كأس يرجع تاريخها إلى (٥٠٠٠) قبل الميلاد.

معرض للتراث العربي

أقيم في (**فرانكفورت**) خلال الفترة من ٤ يونيو (حزيران) إلى ١٢ أغسطس (آب) ١٩٨١م، **معـرض للـتراث والفـولكلور والفـن العربي**، وذلك تحت إشراف **جمعية الصداقة العربية الألمانية**.

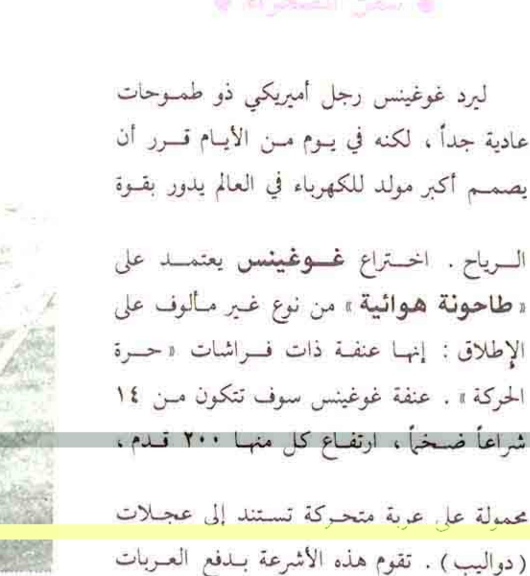
معرض فنـي سعودي

أقامت **الرئاسة العامة لـرعاية الشباب بـالمملكة العـربية السعودية** في العاصمة الألمانية ولأول مرة معـرضاً فنيـاً خـارج الـوطن العربي، احتوى على أكثر من خمسين لوحة فنية، وثـلاثـين لـوحة رسـم أطفال، ومجموعة من الصناعات التقليدية القديمة تزيد على مائة قطعة.

وفـاة أوجست كورنو

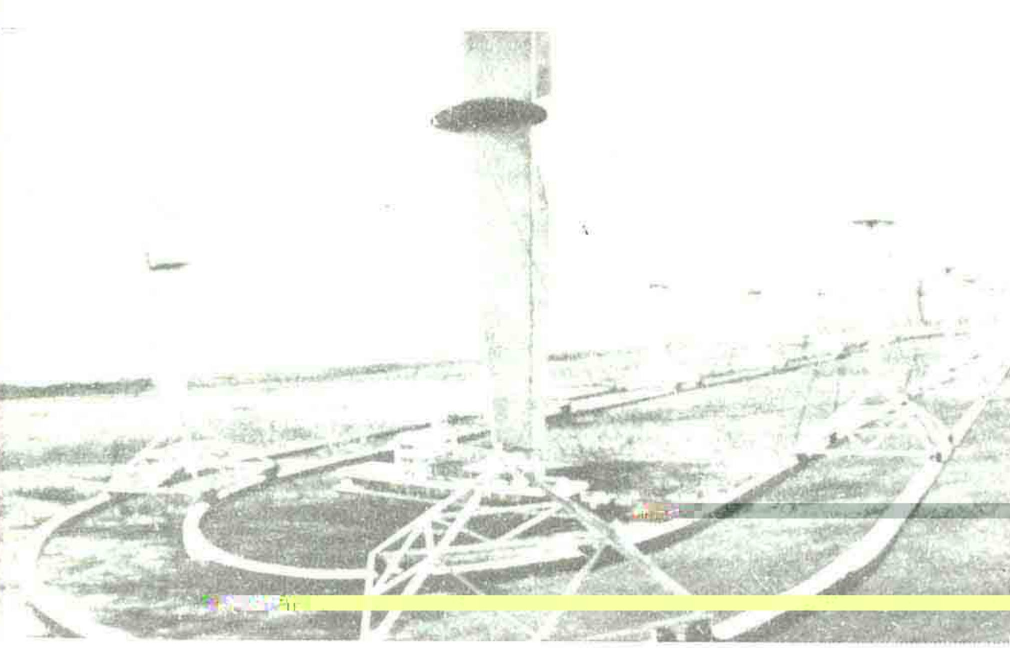
توفي في (**برلين**) الفيلسـوف والمؤرخ الألماني (**أوجسـت كورنـو**) عن (٩٢) عاماً، ومن المعروف بـأنه قـد ولـد عـام ١٨٨٨م، ودرس الفلسفة في إحدى الجامعات الألمانية، وكان قد نال درجة الـدكتوراه عـام

سفن الصحراء



ليرد غوغينس رجل أميريكي ذو طموحات عادية جداً، لكنه في يـوم مـن الأيـام قـرر أن يصمـم أكبر مولد للكهرباء في العالم يدور بقـوة الـرياح. اخـتراع **غـوغينس** يعتمـد على «**طاحونة هوائية**» من نوع غـير مـألوف على الإطلاق: إنها عنفـة ذات فـراشات «حـرة الحركة». عنفة غوغينس سوف تتكون مـن ١٤ شراعاً ضخماً، ارتفـاع كل منهـا ٢٠٠ قـدم، محمولة على عربة متحـركة تستند إلى عجـلات (دواليب). تقوم هذه الأشرعة بـدفع العـربات حول مسكة حـديدية مسـارها بيضـوي الشكل يبلغ طوله نصف ميل. عجلات مسكة الحـديد هي التي ستقوم بتدوير مولدات كهربائية.

سيبدأ إنشاء هذه العنفة المتحركة في صيف ١٩٨١م، على بقعة قاحلة بالقرب من **مـدينة سالت ليـك سـيتي في جنـوب غـربي الـولايات المتحـدة**. ويتـوقع غـوغينس أن يصبح مشروعه الذي يموله بماله الخـاص جـاهزاً للعمل في عـام ١٩٨٤م، هـذا المشروع الـذي سيولد كمية مـن الـكهرباء تغـطي احتيـاجات مدينة عدد سكانها (٨٠) ألف نسمة، وهـذه الاسـتطاعة أكبر بـ ٢٠ مـرة مــن مجمـوع استطاعات المراوح الهوائية الأميريكية مجتمعـة. ومن المفـروض أن يقـوم حـاسب إلـكتروني (كمبيوتر) خاص بتوجيه الأشرعة حسب حركة الريح.





★ وليم ساروريان ★

١٩٢١ م ، وانتخب عضواً في (**أكاديمية العلوم الألمانية**) كما كان عضواً في أكاديميات أخرى خارج ألمانيا .



الأعشاب الطبية في قاموس

صدر في (**اليابان**) عن **المتحف الوطني للأعراق البشرية «باوزاكا» أول قاموس** من نوعه عن «**الأعشاب الطبية**» . ويوضح القاموس الذي يتضمن (ألف نوع) من هذه الأعشاب فوائدها للإفريقيين الذين يستخدمونها تلقائياً دون أن يعرفوا ميزتها في علاج بعض الأمراض ، كما يوضح العلاقة بين الطب الفطري والطب الحديث ، وقد صدر باللغة الفرنسية واللغات الإفريقية .

معرض عن نيويورك

أقيم في العاصمة اليابانية **معرض أمريكي فني** تحت عنوان «**ملامح من مدينة نيويورك**» وذلك بمناسبة الاحتفال بمرور (٢٠) عاماً على توقيع اتفاقية الصداقة والتبادل الفني بين مدينتي (طوكيو) و(نيويورك) ، ضم المعرض مائة لوحة رسمها أكثر من (٤٩) فناناً أميركياً معظمهم من مدينة نيويورك ، وهي تعكس ملامح الحضارة الأميركية .



مسابقة القرآن الكريم

أقيمت المسابقة السنوية العاشرة في القرآن الكريم (بمحافظة ايش) الأندونيسية ، وقد شارك فيها أكثر من (٢٤٠) متسابقاً يمثلون أكثر من سبع وعشرين محافظة ، وهم من طلبة وطالبات المدارس ، وتعقب هذه المسابقة مسابقة تصفية نهائية ، وقد أعد لهاتين المسابقتين جوائز قيمة منها (تذكرة سفر **لحج بيت الله الحرام**) .

أمريكا

وفاة بول غرين

توفي في نيويورك الكاتب الأميركي «**بول غرين**» عن (٨٧) عاماً ، الذي يعرف عنه بأنه من المدافعين عن الحقوق المدنية في أميركا من خلال كتبه ومقالاته . حصل على جائزة (**البوليتزر**) للأدب عام ١٩٢٧ م ، وذلك عن **مسرحية** (**قلب أبراهام**) .

وفاة وليم ساروريان

توفي الكاتب الأميركي (**وليم سارويان**) عن عمر يناهز الثمانية والسبعين ، وسارويان كاتب موهوب ، له من الأعمال ما يزيد على (**السبعين**) **عملاً روائياً ومسرحياً** لذلك فهو يعد من أشهر الكتّاب الأميركيين في الثلاثينات والأربعينات . من أعماله «أفضل أوقات حياتك» وهي مسرحية كتبها في ستة أيام .



معرض دولي للكتاب

ستقيم **الهيئة القومية الهندية للكتاب** المعرض الدولي الخامس للكتاب في (نيودلهي) وذلك خلال الفترة من ٥ ــ ١٥ فبراير (شباط) لعام ١٩٨٢ م ، وقد دعي لحضور هذا المعرض عدد كبير من دور النشر الهندية والعالمية .



اكتشاف أثري

رغبة في **معرفة الكثير عن ثقافة القرن الإفريقي** التي لا تزال غير معروفة حتى الآن ، فقد **جرى التنقيب** في منطقة أثرية يرجع تاريخها إلى بداية العصر المسيحي في (**اندوجا**) التي تقع على بعد حوالي (١٢٥) كيلومتراً من **جيبوتي** ، وقد عثر فيها على (منازل ومبان مختلفة ذات أحجام مختلفة بنيت بعضها بأحجار البازلت المقطعة الموضوع بعضها فوق بعض بانتظام شديد ، وقد عثر في كل منزل على (رحى وآثار رماد وعدد كبير من الأواني الخزفية التي زين بعضها بزخارف هندسية ، وكذلك اكتشفت أساور وعقود مصنوعة بدقة) .



★ محمد عبده ★

★ عبد الرحمن تاج ★

الطريقة المثلى لدراسة الفقه الإسلامي

بقلم :
د. محمد محروس المدرس

إذا استبعدنا بعض الدعوات التي لا تقوم على أساس ، والداعية لفتح الباب لكل مسلم بأن يعمل وفق ما يوصله إليه فهمه لكتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) وهي دعوات ضيقة المدى ، وأثرها لم يصل بعد إلى الدراسات الجامعية . فإن الدراسات الفقهية الآن تدور بين منهجين بارزين :

الدراسة المقارنة . والدراسة المذهبية .

فالدراسة المقارنة تكون : بإيراد أقوال أئمة كل مذهب في مسألة معينة ، ثم يعمد الدارس إلى اختيار أحد الآراء حسبما يتراءى له . وغالباً ما يبني اختياره على مناسبة هذا القول لمتطلبات زماننا أو مسايرته لروح العصر !! . ونادراً ما ينظر إلى الدليل ، أو مأخذ الحكم .

أما الدراسة المذهبية فتكون : ببحث الموضوع ، أو المسألة المعنية ، في نطاق مذهب معين من المذاهب الإسلامية المعروفة ، ووفق أصول هذا المذهب ، أو تخريجها على أقوال أئمته .

إن الدراسات الجامعية المعاصرة ، قد اتجهت نحو الدراسة المقارنة باندفاع شديد ، ويندر وجود رسالة جامعية ــ اليوم ــ تتناول موضوعاً وفق مذهب واحد . وبقي ذلك محصوراً ببعض الكاتبين وخارج نطاق الجامعات ، ولم يعد دور هؤلاء ــ في الغالب ــ غير محاولة كتابة بعض المواضيع الفقهية بأسلوب عصري مبسط لا غير .

وإذا استبعدنا النصوص المحققة ، فإن الدراسة المذهبية بالصورة التي أشرنا إليها ، لم تتناول غالباً ، **غير بعض شؤون العبادات التي لا زال الناس بحاجة إليها ، فترى الكتيبات الصادرة في ، الصلاة أو الصوم أو الزكاة أو الحج** ، وفق هذا المذهب أو ذاك .

على أن بعض الرسائل الجامعية قد عمدت إلى جمع فقه بعض الأئمة الذين اندرست مذاهبهم ، وتفرقت آراؤهم في بطون الكتب . وهذا فيه إثراء لفقهنا الإسلامي ، ولفت لأنظار الباحثين إلى كنوز ثمينة لم يكن الوصول إليها متيسراً من قبل .

ومع أن الدراسة المقارنة ــ بالصورة التي أوضحناها ــ فيها توسعة للمدارك ، وتنمية لملكة الحجاج والمناظرة والمناقشة ، وتوقف الدارس على تيارات متعددة ، ومسالك متنوعة ، وطرق تفكير مختلفة متباينة في معالجة المسألة الواحدة .

كما أن الذي يتطلع لبلوغ رتبة الاجتهاد في الشرع لا يستغني عن معرفة آراء فقهاء المذاهب في كل مسألة ، ليعرف مواطن الإجماع ، وموارد الاختلاف لئلا يحدث قولا يخرق به إجماعاً . فيعرف آراء السلف في المسألة ، ورأي علماء الآفاق من زعماء المذاهب الكبرى في تلك المسألة ، ليكون على بينة من أمره عندما يعطي رأياً في أمثالها .

الالتزام بمذهب واحد

إلا أن الدراسة المقارنة ـ كما نرى ـ أحوج ما يكون إليها ، وأليق ما تكون بالمتصدي لإعداد تشريع معين ، لينفذه قانوناً على العباد . فيدرس الآراء المتعددة ، ويختار منها ما هو أصلح للجماعة وأنسب للعصر ، وذلك باعتبار أن إمام المسلمين ، يحق له تخصيص العمل بقول من المسائل المجتهد فيها ، بحيث يتعين العمل بقوله ، **وهذا ما حدا بالعثمانيين في إلزام الحاكم بالعمل بالمذهب الحنفي ، ووضعوا مجلة الأحكام العدلية ـ وهي قانون مدني إسلامي ـ مستقاة من هذا المذهب وحده** ، وإن لجأوا إلى غيره بعدئذ في تعديلات لها لاحقة .

وانطلاقاً من نفس القاعدة ومن أجل هذا فقد كثرت أمثال هذه الدراسات في كليات الحقوق في العالم الإسلامي ففتحت هذه الكليات صدرها لفقه هذه الأمة ، بعد أن اتجهت غالب تشريعات دول المسلمين إلى الأخذ من المصادر الغربية ، فلم تكن تلك الدراسات عقيمة الفائدة ، بل نجد آثارها قد انعكست في بعض القوانين المدنية خاصة لبعض الدول العربية ، والتي جمعت بين مصدرين في أصولها هما الفقه الإسلامي والفقه الغربي ، كالقانون المدني العراقي .

أما إذا كنا نمني النفس بدفع الفقه الإسلامي إلى الأمام ، ليستوعب الحوادث الجديدة والنوازل الحادثة ، والواقعات المستحدثة ، فسوف لن نجد ضالتنا في تلك الطريقة من الدراسة إضافة إلى بعض مخاطر قد تضر بهذا البنيان الشامخ ضرراً عظيماً .

فأما أمثال هذه الدراسات لا تدفع عجلة الفقه الإسلامي إلى الأمام ، **فلأن الدارس لا يعدو دوره نقل أقوال الأئمة في المسألة ليرتبها متسلسلة ، فلا يعمد ـ في غالب الأحوال ـ إلى الوقوف على مأخذ هذا القول أو ذاك فهي حكاية آراء لا غير** ، وهذه الحكاية المجردة للآراء لا تعطي الدارس ملكة في استبانة كيفية التوصل إلى هذا الرأي أو ذاك . وهو بالتالي يصبح باحثاً عن قول الأقدمين في المسألة ، فإن لم يجد وقف حائراً ، بل قد يعمد إلى التصريح .

وهنا تكمن خطورة عظمى بأن الشريعة الإسلامية لم تعرف المعاملة الفلانية ، أو لم يكن لها رأي في المسألة الفلانية . إذن ستكون هذه الدراسات ـ من هذه الجهة ـ ، إدانة لهذه الشريعة الغراء ، فضلاً عن وقوف الدارس مكتوف اليدين تجاه المسألة الجديدة التي لم تكن قد وقعت من قبل ، ولم يكن للأقدمين فيها رأي . وكأنهم قد غاب عن ذهنهم أن الوقائع والحوادث لا تتناهى ، وأن أقوال الفقهاء تتناهى مهما كثرت ـ و (ما لا يتناهى لا يضبطه ما يتناهى) فهذه النتيجة ستصل بنا إلى الوقوف بالفقه الإسلامي إلى حد لا نتعداه ، ونقف بسيره عند هذه النقطة ، وقد نخرج بحكم خطير عليه لا نرتضيه وذلك بوصمه بالعجز . وهذا ما يدعيه الخصوم .

ومن ناحية أخرى فإن في كل مذهب الكثير من الأقوال في المسألة الواحدة وقد يعمد أحد المرجحين إلى اختيار قول يرجحه ، ويعمد الآخر إلى ترجيح غيره ، فيذكر الأول ما تبناه في كتاب يؤلفه ، والآخر في متن يصوغه ، وقد يأتي ثالث فيُخَرِّج على قواعد مذهبه قولا ، فيُفتي بتخريجه في مسألة ، وقد يفتى بقول للضرورة وبآخر لتغير الزمان ، وبثالث مراعاة لحال المستفتي فكل هذه مسائل دقيقة يندر عارفوها بين مقلدي المذهب نفسه ، فكيف سيميز بينها دارس جامعي لم يبلغ درجة التخصص بذلك ! .

فالذي يحصل ـ حينئذ ـ **أن يتناول الدارس أي كتاب تقع عليه يداه في المذهب المعين ، فينقل رأي ذلك المذهب منه** ، وقد يظلم المذهب كله ، وحتى فقه الشريعة الإسلامية كلها بهذا النقل إذ **قد يكون المنقول رأياً شاذاً لأحد الفقهاء** ممن لم يفت بقوله ، ولم يؤخذ برأيه ذاك .

ويؤيد ما نذهب إليه من وقوع هذا الخلط أو الاعتماد على الضعيف من الأقوال ما استدل به **محمد طلعت حرب** ، مثلاً ، لجواز تأسيس البنوك التي تتعامل بالربا ـ عند بدء دعوته لتأسيس بنك مصري وطني ـ ، بفتوى **محمد بن سلمة البلخي** كما أوضح ذلك بكتابه علاج مصر الاقتصادي ومشروع بنك المصريين أو بنك الأمة[1] ـ وهذه الفتوى تفيد ـ إن الذي يريد أن يصيب نفعاً من قرضه ، فعليه أولا أن يبيع الذي ينوي الاستقراض منه شيئاً قيمته عشرون درهماً مثلاً بأربعين ، ثم يقرضه ستين فيكون المجموع مائة ، ويحصل للمستقرض ثمانين ، وبذمته مائة[2] . ـ ولفضيلة الإمام الأكبر الأسبق **الشيخ عبد الرحمن تاج** شيخ الجامع الأزهر ـ رحمه الله ـ رد يتفق ووجهة نظرنا في هذه المسألة .

أما إذا كانت المقارنة بين القوانين الوضعية وأحكام الشريعة الإسلامية ، فنرى الخلط أكثر ، **إذ يعمد الدارسون إلى نقل رأي ما من أي مذهب إسلامي ليعمموا في إشارتهم عند النقل بنسبته إلى الشريعة الإسلامية** مع أنه رأي أحد فقهاء مذهب من المذاهب ، وقد يكون هذا الرأي معتمداً في ذلك المذهب .

وكثيراً ما يتجنى المتجنون بسبب تعميم من هذا النوع ، أو بسبب حكم شمولي يتنافى مع أصول البحث العلمي الذي يجب أن يتسم بالدقة . نعم هناك كثير من الآراء الغريبة وحتى غير المعقولة نجدها في خضم الآراء الكثيرة في المذاهب الإسلامية المتعددة . **وإن أفحش**



* طلعت حرب *

الخطأ أن يكون رأي فقيه ما هو رأي الشريعة الإسلامية ، فهناك آراء لا يمكن اعتبارها آراء للمذهب الذي ينتسب إليه هذا الفقيه أو ذاك ، فكيف يجوز لنا أن نعتبرها رأي الشريعة الإسلامية ؟! .

هذه بعض مخاطر هذه الدراسة ، ويدفعها إذا كان الدارس متمكناً من أصول الفتوى ، ومن طبقات المسائل والكتب وكذلك طبقات العلماء . وذلك في كل مذهب من المذاهب الإسلامية جمعاء ، ليحقق له نسبة الرأي الذي يستند إليه إلى ذلك المذهب ، أو ليتسنى له الاعتداد به . وهذا أمر صعب جداً على فرد واحد وقد يستحيل ، اللهم إلا إذا كان البحث في مسألة واحدة فرعية أو بضع مسائل فقط ، ويتوافر على تلك الدراسات مجموعة من المختصين . وهذا ما يحصل في اللجان التي تعد التشريعات ، أو لجان إعداد الموسوعات الفقهية .

وعلى هذا فكل دراسة للفقه الإسلامي **يجب أن تتم وفق أسس منهجية وعلمية متقنة يرتضيها أهل هذا العلم ،** وذلك ابتعاداً عن المزالق التي ذكرناها . هذه الأسس المنهجية تكون بتقييم الرأي أو القول وفق أسس المذهب الفقهي الذي ينتسب إليه القائل فلذا توفر لنا دارسون أو باحثون يستطيعون تقييم الأقوال الفقهية الواردة في كل مذهب فقهي ، وتقييمهم هذا يكون عن معرفة واطلاع لدروب ومسالك هذه المدرسة الفقهية أو تلك ، نكون حينئذ قد ابتعدنا عن المزالق ، وسلكنا السبيل العلمي القويم في عدم التجني على المذهب الفقهي المعين ، إذا ما قلنا : هذا الرأي أو القول هو رأيه أم لا ، أو هو رأي فيه أم لا .

وحينئذ يمكننا أن نأمن الوصول إلى الرأي المعتمد والمصحح والمصيب في كل مذهب فإن لم نجد رأياً لمسألة حادثة ، أو نازلة جديدة ، **أمكننا أن نعتمد أدلة المذهب المعين وأساليبه في البحث للوصول إلى الحكم في الجديد من الوقائع ، والحادث من النوازل .**

إن هذه الطريقة من البحث ستفرز لنا عدداً من الذين إن لم يصل بهم المطاف إلى رتبة الاجتهاد ، فلا أقل من وصولهم إلى رتبة القدرة على التخريج على الأقوال المعتمدة الواردة في المذاهب التي تمكن منها الباحث .

فقهاء المذهب الحنفي

وبهذا يمكننا أن ندفع عجلة الفقه الإسلامي إلى الأمام ونسير به في رحلته الطويلة المباركة بدلا من الوقوف إلى الحد الذي وصل إليه الأقدمون ، إن وجدنا لهم قولا فهو منتهى الطلب ، وإن لم نجد كنا أعجز من أن نحاول تلمس الطريق ، أو معرفة الجهة التي لا بد أن نسير نحوها ، لكي نصل إلى المطلوب أو إلى الحد الأدنى منه .

إن هذا الذي نهدف إليه من دراسة الفقه الإسلامي بهذه الطريقة لا يكون على طريقة الدراسات التي تحكي أقوالا من غير معرفة درجة كل قول ، أو منزلته بين الأقوال الواردة في المسألة . بل الهدف منها فتح الباب إلى دراسة أوسع وأشمل ، **وذلك بالسعي إلى أن يتجه الدارسون بدراستهم ، لكي يعدوا أنفسهم إلى درجة التخريج – على الأقل –** بعد أن تقاصرت الهمم عن بلوغ رتبة الاجتهاد . فالوصول إلى درجة التخريج أسهل وأيسر ، وسيبدأ الدارس من حيث انتهى سابقوه في هذا المذهب أو ذلك بعد أن يقف على آرائهم ، وطريقتهم في معالجة المسائل ، ثم يحاول دراسة المسائل المستحدثة والحادثة وفق طريقة معينة ، ويستهدي بطريقة السابقين ممن بلغوا هذه الرتبة في تخريج المسائل الجديدة والحادثة ، والتي لم يسبق إبداء الرأي فيها للفقهاء المتقدمين .

وقد اتضح لنا من دراسة تطبيقية في المذهب الحنفي ، أن فقهاء هذا المذهب المتأخرين عن مؤسسي المذهب ، لم يقفوا عاجزين حيال المسائل الجديدة رغم عدم بلوغهم رتبة الاجتهاد ، **بل لجأوا إلى التخريج ،** فأتوا بآراء معتبرة أصبحت مفتياً بها في المذهب ، ومأخوذاً بها من أتباعه .

وعلى هذا فإن هناك ضرورة في سير الدراستين المقارنة والمذهبية أو المنهجية جنباً إلى جنب فنعيد الحياة إلى الثانية ، لكي تمدنا بالآراء الجديدة للمشاكل الحادثة ، ثم يأتي دور صاحب الدراسة المقارنة ، ليختار ما يشاء من الآراء المتعددة ، وفقاً لما تتطلبه دراسته ، كإعداد تشريع أو إجراء مقارنة بالمذاهب الفقهية غير الإسلامية

ضرورة التخريج .. لا يعفي الأمة من الاجتهاد

وقد اتضحت لنا من تلك الدراسة أيضاً أمور هامة هي :

(١) أن الثروة الفقهية في كل مذهب من المذاهب الإسلامية ، هي حصيلة جهود الجم الغفير من علماء وفقهاء ذلك المذهب ، وبشتى طبقاتهم . **فليس كل ما في مذهب أو مدرسة معينة ، هو من وضع مؤسس المذهب ، أو زعيم المدرسة الفقهية المسماة باسمه .** فكل مذهب فقهي هو بنيان شامخ ، تضافرت جهود جمهرة علمائه على تقويمه ورفعه .

(٢) أن الوقائع المتكررة تحتاج إلى متمكنين بالدراسات الفقهية

المنهجية (أي المذهبية) التي تكون وفق أسس مدرسة فقهية معينة . فإن ضرورة أن يكون هناك حل لكل معضلة أو نازلة ، واستحالة وجود إجابة للمتقدمين في كل النوازل المحتملة ، يجعلنا ملزمين بالبحث ، الذي يجب أن يتم وفق أسس وقواعد معينة فيكون بحثاً عقلانياً ، لا بحثاً تخبطياً عشوائياً .

والبحث العقلاني يكون إما وفق أسس وقواعد يضعها الباحث لنفسه ، وإما وفق أسس كان قد وضعها غيره ، فيرتضيها هو على ألا يتحول إلى الثانية إلا إذا وجد العجز في نفسه عن تحقيق الأولى .

إن العجز عن الأولى قائم ومحقق ، والغالب في علماء الطبقة التي تلت أصحاب مؤسسي المذاهب هو العجز عن استعمال حتى قواعد مؤسس المذهب في الرجوع إلى النصوص الأصلية ، فضلاً عن وضع أسس وقواعد خاصة بهم . فنجمت الحاجة إلى قياس الوقائع على مسائل سبق لإمام المذهب أو لأحد أصحابه الإجابة عنها . فكان هذا عمل المخرجين . **فلزمت الحاجة إلى إيجاد المخرجين في كل زمن لملاحقة الوقائع المتتالية** ، ويكون تخريجهم وفق قواعد معينة ، بعيدة عن الهوى ، أو القول بالتشهي .

والقول بضرورة وجود المخرجين في كل مذهب ، لا يعفي الأمة عن واجبها بالسعي إلى ايجاد المجتهدين الذين إن لم يكونوا مجتهدين مطلقين ، فلا أقل من كونهم مجتهدين في المسائل . وذلك هو الطريق الصواب ، والمهيع المستقيم ، وما رضاؤنا بالمخرجين ، إلا بعد أن قصرت الهمم ، وتكاسلت الأمة عن واجبها في تهيئة المجتهدين ، لا بل ندر حتى وجود المخرجين .

(٣) أن حياة كل مذهب واستمراريته مرهون بكثرة المخرجين فيه . فالذي توصلت إليه نتيجة تلك الدراسة ، أن كثرة وجود المخرجين في المذاهب الإسلامية الكبرى ، قد أعطاها الحياة إلى يومنا هذا . فإن الناس منتشرون في الآفاق ، ووقائع الحياة متشابكة معقدة ، وغير متناهية . فإذا لم يجد المقلد جواباً لوقائعه لدى علماء مذهبه ، تحول إلى غيرهم . وقد تولى تطمين رغبات الناس خلال العصور المتتالية المخرجون ، فكسبوا ثقة الناس وأبقوهم على علاقتهم بمدارسهم الفقهية . **إذن المخرجون هم عنصر ديمومة المدرسة الواحدة ، وسر بقائها** .

(٤) أن التخريج قد يغني عن الاجتهاد المطلق . فإن عجز الأمة عن ايجاد مجتهدين ، وحتى المنتسبين ، يجعلنا أمام فراغ كبير . فالمطلوب من الفقه ملاحقة الوقائع بأحكامه ، والحكم لا يكون اعتباطاً فإذا لم يكن للمتقدمين من مجتهدي الأمة قول في المسألة ، وذلك بسبب عدم وقوعها في أزمانهم ، وإذا لم يكن في زماننا من يستطيع الرجوع إلى المصادر الأصلية للتشريع ، فلا يعني **أن نقف أمام المسائل عاجزين ونسجل على فقهنا الإسلامي ، وبالتالي على الإسلام كدين وشريعة ، وصمة** طالما حاول كل مخلص دفعها عنه ، وهي وصمة العجز عن مسايرة الزمان .

فالتمكن من دراسة المدارس الإسلامية ، وفتاوى فقهائها والوقوف على ضوابط أقوالهم ، وقواعدها العامة ، وطريقتهم في الإجابة في المسائل ، مع التمكن من كل هذا ، سيجعل في الأمة طبقة من المخرجين يفتون وفق قواعد المذاهب الإسلامية ، وسيغني ذلك الفقه الإسلامي بحلول كثيرة جداً ، لكثير من النوازل والواقعات .

معالجة المسائل الجديدة

فإن من سبقنا من الأجيال اللاحقة لعصر أئمة المذاهب ، لم يقف من النوازل موقفاً سلبياً ، كما نقف اليوم من كثير منها . بل أفتوا على قدر علمهم وتمكنهم ، ووفق أصول أقوال مذهب إسلامي معين على أننا نلاحظ اليوم ، **أن معالجة المسائل الجديدة في العصور المتأخرة جداً اتخذت أشكالا شتى ، في مسألة واحدة وهي** (التأمين التجاري) ، نرى **ثلاثة اتجاهات** :

● **الأول ـ التحريم مطلقاً** ، وذلك بعرض هذه المعاملة الجديدة على القواعد الفقهية الكلية والأصول العامة . وهذا ما يتبادر إلى ذهن كل مشتغل بالفقه لأول وهلة . وهو الذي توصل إليه **أيمن عابدين الشامي** (رحمه الله) المتوفي سنة اثنتين وخمسين ومائتين وألف هجرية[٣] .

● **الثاني ـ الجواز مطلقاً** ، وذلك بالنظر إلى ظاهر منافع هذه المعاملة الجديدة . والقول بالحل إما لعدم انعام النظر في حقيقتها ، أو لأجل أن يدفع القائل بذلك عن فقه الشريعة الإسلامية ما قد توصم به من جمود أو ابتعاد عن الأخذ بالنظم والمعاملات الجديدة المفيدة .

من هذا القبيل فتوى الشيخ **محمد عبده** (رحمه الله) عندما كان مفتياً للديار المصرية ، حين أفتى بالحل وقد أثير بسببها نقاش وجدال طويلين لا نريد هنا الخوض في تفاصيله[٤] .

● **الثالث ـ التأني والبحث الحثيث** ، للوصول إلى حكم لا يتعارض مع الشريعة الإسلامية من جهة ، مع عدم التفريط بالمنافع التي قد تنطوي عليها هذه المعاملة الجديدة وأمثالها . وهذا الاتجاه يتمثل واضحاً في بحوث دورات مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف . وكذلك بما يصدر عن بعض الباحثين هنا وهناك من جهات العالم الإسلامي . وهنا نؤكد مرة جديدة على ضرورة الدراسة المنهجية لكي نصل إلى الحل الأسلم بما يرضي الله ، ويحقق المنافع للعباد .

الحواشي

(١) راجع بنوك بلا فوائد ، د . عيسى عبده ، ط٢ ، ص١٠٣ .

(٢) راجع كتابنا مشايخ بلخ من الحنفية وما انفردوا به من المسائل الفقهية ، ج٢ ، ص٧٩٥ مسألة رقم ٥٥٢ .

(٣) راجع رد المحتار ، ٤/١٧ وما بعدها .

(٤) راجع كتابنا مشايخ بلخ ، ج٢ ، ص٨٥٣ ـ ٨٥٤ .



حماية الشيك في نظام التجارة السعودي

بقلم : د. إلياس حداد

نظراً للدور الكبير الذي يتعاظم به استعمال الشيك في الحياة المدنية والتجارية، رأينا من المفيد أن نستجلي بعض الأحكام التي تتعلق به، وبخاصة منها تلك التي تعمل على تعزيز الثقة به، وحماية حقوق حامله باستيفاء قيمته حين تقديمه للوفاء.

وقد ابتغينا أن نسبغ على هذه الدراسة طابعاً سعودياً بارزاً فلا نعرض للأوضاع والأحكام في الأنظمة الأجنبية الأخرى إلا بالقدر الذي تقتضيه طبيعة المقارنة. علماً أن القواعد التي تنظم الشيك في البلاد العربية تتقارب فيما بينها تقارباً أملته وحدة المصدر الذي استقت منه هذه القواعد وهو **اتفاقيات جنيف الثلاث** لعام ١٩٣١م.

تعريف الشيك وتمييزه

ذكر نظام الأوراق التجارية السعودي ثلاثة أنواع من الأوراق التجارية[١] هي: الكمبيالة، والسند لأمر، والشيك.

فالكمبيالة[٢] هي صك محرر وفق شكل معين حدده النظام، يأمر بموجبه شخص يسمى المحرر أو الساحب، شخصاً آخر يسمى المسحوب عليه، بأن يدفع مبلغاً معيناً من النقود في تاريخ معين، أو قابل للتعيين، أو بمجرد الاطلاع، لأمر شخص ثالث يسمى المستفيد.

والسند لأمر[٣] هو صك محرر وفق شكل معين حدده النظام، يتضمن تعهد شخص يسمى المحرر أو الساحب، بأن يدفع مبلغاً معيناً من النقود في تاريخ معين، أو قابل للتعيين أو بمجرد الاطلاع، لأمر شخص آخر يسمى المستفيد.

أما الشيك[٤] فهو صك محرر وفق شكل معين حدده النظام، يأمر بموجبه شخص يسمى المحرر أو الساحب، شخصاً آخر يسمى المسحوب

عليه ، ويكون في العادة مصرفاً ، بأن يدفع مبلغاً معيناً من النقود بمجرد الاطلاع لأمره أو لأمر شخص ثالث يسمى المستفيد .

يتضح من هذه التعاريف أن السند لأمر يختلف عن الكمبيالة والشيك في أنه لا يتضمن عند تحريره سوى شخصين هما الساحب والمستفيد ، بينما تتضمن الكمبيالة والشيك وجود ثلاثة أشخاص هم الساحب والمسحوب عليه والمستفيد .

لكن إذا كان الشيك يقترب في شكله من الكمبيالة من حيث أنه يتضمن مثلها ثلاثة أطراف هم الساحب والمسحوب عليه والمستفيد ، ويفترض مثلها وجود علاقتين أساسيتين سابقتين : الأولى بين الساحب والمسحوب عليه وتسمى بـ « **مقابل الوفاء** » ، والثانية بين الساحب والمستفيد وتسمى بـ « **القيمة الواصلة** » ، فإنه يظل متميزاً عنها من وجوه عديدة أهمها :

١ ـ يجب أن يكون المسحوب عليه في الشيك دائماً مصرفاً بينما يجوز أن يكون المسحوب عليه في الكمبيالة مصرفاً أو فرداً عادياً ، أو شخصاً اعتبارياً غير مصرف . ولزوم كون المسحوب عليه في الشيك مصرفاً تبرره ضرورة اجزاء الثقة بالشيك وتمكينه من أداء وظيفته كأداة وفاء يقبل الناس على اقتنائه والتعامل به . فالساحب وهو الآمر بالدفع لا بد أن يكون مطمئناً لأمانة من أودع لديه نقوده وملاءمته ليسدد قيمة الشيكات التي يسحبها فور عرضها عليه . وكذلك الأمر بالنسبة للحامل ، إذ لا بد أن تتوفر له الثقة والطمأنينة في استيفاء قيمة الشيك حال تقديمه للوفاء . وهذه الطمأنينة لكلا الطرفين أكثر ما تتوافر في المصارف التي تبقى مليئة على وجه العموم .

٢ ـ يجب أن يكون الشيك دائماً مستحق الوفاء لدى الاطلاع لأنه أداة وفاء فحسب ، بينما تسحب الكمبيالة لتدفع لدى الاطلاع أو بعد أجل معين فهي أداة وفاء وأداة ائتمان أيضاً .

٣ ـ يجب أن يكون للشيك مقابل وفائه عند إصداره ، بينما لا يشترط وجود مقابل الوفاء في الكمبيالة إلا في تاريخ استحقاقها .

٤ ـ لا يخضع الشيك لإجراءات القبول فهو حين يقدم للمسحوب عليه يكون ذلك بغرض استيفاء قيمته لأنه يستحق الدفع لدى الاطلاع ، بينما يجوز تقديم الكمبيالة إلى المسحوب عليه لقبولها قبل وفائها .

أهمية الشيك

يقوم الشيك في وقتنا الحاضر بخدمات اقتصادية جليلة إذ يعمل على تيسير المعاملات التي تنشأ بين الأفراد ، وإنماء النشاط التجاري في البلاد . لقد ظهر الشيك في الأصل كأداة لاسترداد النقود التي أودعها الساحب لدى المصرف بسحب الشيك لأمر نفسه وقبض قيمته بالذات من المصرف المحسوب عليه . إلا أنه أصبح على ممر الزمن أداة لوفاء الديون بحيث يحل في ذلك محل النقود . فالشخص الذي أودع نقوده لدى مصرف ما وأصبح له رصيد دائن عنده ، بدلا من أن يفي دائنه مباشرة بتقديم مبلغ من النقود ، فإنه يسحب شيكاً بمقدار الدين على مصرفه باسم هذا الدائن وفاء للدين . وقد يحدث أن يقوم الشيك الواحد بالوفاء بقيمة الديون عدة مرات وإذا ما تم تداوله عن طريق **التظهير** من مستفيد إلى آخر بحيث يصبح في النهاية شبيهاً بالنقود .

وللوفاء بطريق الشيك مزايا أخرى : فهو من جهة يحمل الناس على إيداع أموالهم لدى المصارف بدلا من تجميدها في جيوبهم ، أو في خزائنهم الخاصة ، فيقل بذلك تداول واستعمال النقود الورقية والمعدنية ، ويتم بالتالي تفادي مخاطر ضياعها أو سرقتها . وهو من جهة أخرى يوفر للساحب وسيلة لإثبات وفاء ديونه إذ جرت العادة في المصارف على القيد في دفاترها بأن الشيك قد أوفي لفلان من الناس .

حماية الشيك

لكي يستطيع الشيك تأدية وظيفته كأداة وفاء تقوم مقام النقود كان لا بد لنظام الأوراق التجارية من تأمين الحماية لحامله بحيث يطمئن إليه ويثق بأن حصوله عليه مقابل حقه عند الساحب أو المظهر يعادل الوفاء النقدي . وكلما زادت الثقة بالشيك ودبت الطمأنينة في نفوس المتعاملين به انتشر استعماله وعمت الفائدة المرجوة منه . **ومن أجل إشاعة هذه الثقة فقد تضمن قانون الصرف** [٥] **عدة قواعد تهدف بمجموعها إلى تدعيم حق حامل الشيك وإحاطته بعدد من الضمانات التي تؤكد الوفاء به . وأهم هذه القواعد :**

١ ـ انتقال ملكية مقابل الوفاء . ٢ ـ جريمة إصدار شيك بدون رصيد . ٣ ـ استقلال التواقيع . ٤ ـ تطهير الدفوع . ٥ ـ تضامن الموقعين . ٦ ـ حماية خاصة لبعض أنواع الشيكات .

١ ـ انتقال ملكية مقابل الوفاء

مقابل الوفاء[٦] في الشيك هو دين نقدي مساو على الأقل لقيمة الشيك ، يكون للساحب عند المصرف المسحوب عليه بتاريخ السحب ، وقابل للتصرف بموجب شيك . وقد جرى العرف لدى المصارف على تسمية مقابل الوفاء في الشيك بعبارة « **رصيد** » .

قد يكون مصدر مقابل الوفاء نقوداً أودعها الساحب عند المسحوب عليه ، أو قرضاً منحه الساحب للمسحوب عليه ، أو ثمن بضائع باعها الأول للثاني أو أوكل إليه بيعها لحسابه .

وقد يمثل مقابل الوفاء أيضاً قيمة أوراق تجارية أوكل الساحب إلى المسحوب عليه مهمة قبضها لحسابه بتظهيرها إليه تظهيراً توكيلياً . كما يمكن أن يكون مقابل الوفاء قيمة اعتماد فتحه المسحوب عليه لصالح الساحب وأجاز له سحب شيكات لقبضه .

إن وجود مقابل الوفاء ليس شرطاً لصحة الشيك . فلا يترتب على تخلف مقابل الوفاء حين إصدار الشيك بطلانه بل يقع هذا الإصدار صحيحاً . وفي هذا تقول **المادة (٩٤ من نظام الأوراق التجارية السعودي)** : « لا يجوز إصدار الشيك ما لم يكن للساحب لدى المسحوب عليه وقت إنشاء الشيك نقود يستطيع التصرف فيها بموجب شيك طبقاً لاتفاق صريح أو ضمني . . . ولايترتب على عدم وجود مقابل الوفاء أو عدم كفايته بطلان الشيك » .

هذا ويلعب مقابل الوفاء في الشيك دوراً بالغ الأهمية بالنسبة لمراكز أصحاب الشأن فيه :

- فالمصرف المسحوب عليه إذا أذعن للأمر الصادر إليه من الساحب وأوفى الحامل قيمة الشيك تكون قد انقضت علاقة الدائنية والمديونية التي نشأت بين الساحب والمسحوب عليه .

- كما يترتب على تنازل الساحب إلى المستفيد عن مقابل الوفاء الذي له بذمة المسحوب عليه واستلام المستفيد لهذا المقابل (أي قبضه قيمة الشيك) ، انقضاء العلاقة الأصلية (القيمة الواصلة) التي نشأت بين الساحب والمستفيد والتي حرر الشيك لوفائها

- ثم يختلف مركز الحامل تجاه الساحب بحسب ما إذا كان الساحب قد قدم مقابل الوفاء إلى المسحوب عليه أم لم يقدمه . فإذا كان الساحب قد قدم مقابل الوفاء وظل هذا المقابل موجوداً عند المسحوب عليه حتى انقضاء ميعاد تقديم الشيك ، جاز له أن يدفع مطالبة الحامل المهمل الذي لم يقدم الشيك للوفاء أو لم ينظم الاحتجاج لعدم الوفاء ضمن المواعيد المحددة لذلك ، بسقوط حقه في الرجوع عليه . أما إذا كان الساحب لم يقدم مقابل الوفاء أو أنه قدمه ثم انتفى أو انتقص قبل انقضاء مهلة تقديم الشيك للوفاء ، فلا يقبل منه الاحتجاج بسقوط حق الحامل المهمل بالرجوع عليه **(مادة ١١٥)** .

لكن الدور الكبير الذي يلعبه مقابل الوفاء في الشيك هو أن النظام قد أقر حقاً خاصاً للمستفيد ومن ثم للحامل عليه . فقد نصت **المادة (٣١)** على ما يلي :

« تنتقل ملكية مقابل الوفاء بحكم النظام إلى حملة الكمبيالة المتعاقبين . وإذا كان مقابل الوفاء أقل من قيمة الكمبيالة كان للحامل على هذا المقابل الناقص جميع الحقوق المقررة له على المقابل الكامل » . ويسري حكم هذه المادة على الشيك بدلالة **المادة (١١٧)** من النظام .

يتضح من هذا النص أن مقابل الوفاء في الشيك لا يظل ملكاً للساحب ، بل إن ملكيته تنتقل إلى المستفيد والحملة المتعاقبين تبعاً لسحب الشيك وتظهيره . ومما لا شك فيه أن هذه الرعاية التي أسبغها النظام على حامل الشيك بتمليكه مقابل وفائه تعتبر من أهم أوجه الحماية التي تقرر لحامل الشيك وبالتالي لسلامة تداوله وضمان تحقيق دوره كوسيلة للوفاء .

يلاحظ أن تعبير « ملكية مقابل الوفاء » الوارد في نظام التجارة السعودي وغيره من الأنظمة الأجنبية الأخرى ، هو تعبير غير دقيق من الناحية القانونية[٧] لتجاهله طبيعة مقابل الوفاء . فالملكية حق عيني لا يرد إلا على عين مادية ، بينما مقابل الوفاء هو حق شخصي كما ذكرنا ، أو دين نقدي للساحب في ذمة المسحوب عليه .

هذا ويترتب على انتقال الحق في مقابل الوفاء إلى حملة الشيك المتعاقبين الآثار القانونية التالية :

١ ــ إذا أفلس الساحب بعد إصدار الشيك فإن مقابل الوفاء ينتقل سليماً بالحامل الذي اكتسب حقاً عليه قبل إفلاس من نقل إليه هذا الحق . وهذه حالة امتياز خص النظام بها الحامل إذ يتقدم فيها على غيره من دائني الساحب فيدرأ بذلك قسمة العرفاء . وعلى ذلك لا يجوز لأمين مجلس التفليسة وأمناء الديانة استرداد مقابل الوفاء من المسحوب عليه إذا كان الشيك قد صدر عن الساحب قبل إعلان إفلاسه **(المادتان ٣٤ و١١٧)** من النظام .

٢ ــ يمتنع على الساحب استرداد مقابل الوفاء من المسحوب عليه ، أو المعارضة في وفاء الشيك ويعبر عن هذا الحكم بأن الشيك لا يجوز الرجوع فيه[٨] متى سلم إلى المستفيد .

٣ ــ لا يجوز لدائني الساحب توقيع حجز ما للمدين لدى الغير تحت يد المسحوب عليه . فطالما أن الحق في مقابل الوفاء قد انتقل من الساحب إلى المستفيد بمجرد إصدار الشيك ، فالحجز يقع عندئذ على مال خارج ذمة المدين ويكون بالتالي باطلاً .

٤ ــ إذا أصدر الساحب عدة شيكات ولم يكن مقابل الوفاء كافياً للوفاء بها جميعاً ، فإنه يجب الوفاء بها حسب تواريخ سحبها . وإذا كانت الشيكات المقدمة مفصولة من دفتر واحد وتحمل تاريخ إصدار واحد فضّل وفاء الشيك الأسبق رقماً **(المادة ١٠٦)** .

٥ ــ قضت **(المادة ١٠٠)** من نظام الأوراق التجارية السعودي بأنه لا يجوز للمسحوب عليه أن يوقع على شيك بالقبول وكل قبول مكتوب يعتبر كأنه لم يكن . ومبرر هذا الحكم هو أن الشيك واجب الأداء فور تقديمه للمصرف المسحوب عليه . إلا أن المادة نفسها قد أجازت للمسحوب عليه أن يؤشر على الشيك باعتماده ، كأن يكتب مثلاً « يعتمد » ويوقع . وأوضحت أن هذه العبارة تفيد وجود مقابل الوفاء في تاريخ التأشير .

وفي رأينا أن التأشير على الشيك يحمل نبأ إصدار الشيك إلى المسحوب عليه ، وهذا يلزم الأخير بالاحتفاظ بالرصيد الذي يقابله أي بتجميده[٩] ، لاستعماله في وفاء الحامل حينما يقدم الشيك إليه . وليس ذلك إلا لأن رصيد هذا الشيك (أي مقابل وفائه) قد انتقل بحكم النظام إلى حامل الشيك .

نشير بالمناسبة إلى أنه يغلب استعمال الشيكات المعتمدة من قبل الأفراد والمؤسسات الذين يتعاملون مع الجهات الحكومية لتنفيذ بعض عقود التوريد أو الأشغال معها ، أو لتسديد الرسوم المتوجبة للدولة .

٢ ـ جريمة سحب شيك بدون رصيد

نظراً لانتشار استعمال الشيك كأداة للوفاء في الحياة المدنية والتجارية ، ودعماً للثقة التامة لدى المتعاملين به ، وإبعاداً للخوف من لجوء بعض الأفراد إلى التهرب من الوفاء بالتزاماتهم بإصدار شيكات لا رصيد لها ، فقد هددت معظم أنظمة التجارة في العالم الساحب بإنزال العقاب الرادع بحقه إذا أصدر شيكاً دون أن يقابله رصيد كاف لتغطية قيمته . وقد أسبغت هذه الأنظمة على فعل الساحب الذي يصدر شيكاً دون رصيد وصف الجريمة وفرضت بشأنه عقوبة الحبس والغرامة .

وبالنسبة لنظام الأوراق التجارية السعودي فقد نصت **(المادة ١١٨)** منه بهذا الشأن على ما يلي :

« كل من سحب بسوء نية شيكاً لا يكون له مقابل وفاء قائم وقابل للسحب ، أو يكون له مقابل وفاء أقل من قيمة الشيك ، وكل من استرد بسوء نيه بعد إعطاء الشيك مقابل الوفاء أو بعضه بحيث أصبح الباقي لا يفي بقيمة الشيك ، أو أمر وهو سيء النية المسحوب عليه بعدم دفع قيمته يعاقب بغرامة من مائة ريال إلى ألفي ريال وبالسجن مدة لا تقل عن خمسة عشر يوماً ولا تزيد عن ستة أشهر أو بإحدى هاتين العقوبتين » .

يتضح من هذا النص ، أن لجريمة إصدار شيك بدون رصيد أركاناً ثلاثة :

أ ـ سحب الشيك .

ب ـ عدم وجود رصيد .

جـ ـ القصد الجرمي .

أ ـ سحب الشيك : يقصد بسحب الشيك تحريره وطرحه في التداول بتسليمه إلى المستفيد أو إرساله إليه . لهذا فإن من حرر شيكاً ولم يكن له رصيد لوفائه ثم احتفظ به أو خرج من حيازته رغماً عنه كما في حالة السرقة ، لا ينطبق[١٠] على فعله وصف الجريمة ولا يعاقب بأحكام **(١١٨)** المذكورة أعلاه . كذلك لا يعاقب من ظهّر شيكاً دون أن يكون له رصيد لأن نطاق الجريمة المنصوص عنها يقتصر على واقعة سحب شيك دون تظهيره[١١] .

نشير أيضاً إلى أن جريمة سحب شيك بدوره رصيد لا تتحقق إلا إذا كان الصك المسحوب تنطبق عليه أحكام الشيك الصحيح الذي يجب أن تتوافر فيه جميع البيانات الالزامية الواردة في **(المادة ٩١)** من النظام بدءً من ذكر كلمة شيك في متن هذا الصك وانتهاء بتوقيع الساحب عليه .

ب ـ عدم وجود مقابل وفاء (رصيد) : إن المقصود بانتفاء مقابل الوفاء هو الحالات التي لا يستطيع الحامل فيها الحصول على قيمة الشيك من المسحوب عليه إذا كان ذلك يعود لأسباب تتعلق بالساحب . وبالرجوع إلى نص **(المادة ١١٨)** المشار إليه أعلاه نجد أن الحالات التي يتحقق فيها انتفاء المقابل هي ثلاث :

★ **الحالة الأولى :** عدم وجود مقابل وفاء وقت سحب الشيك أو عدم كفايته : يشترط لتطبيق أحكام العقوبة المنصوص عنها في **(المادة ١١٨)** أن يكون الشيك الذي سحبه الساحب بدون رصيد وقت سحب الشيك كما لو كان الساحب غير دائن بشيء للمسحوب عليه . ويترتب على ذلك أن الجريمة تتحقق ويتعرض الساحب للعقاب حتى ولو توافر المقابل أو الرصيد فيما بعد وقبل تقديم الشيك للمسحوب عليه الوفاء . ذلك أن العبرة في وجود الرصيد هو تاريخ سحب الشيك لا تاريخ عرضه اللاحق على المسحوب عليه للوفاء . لهذا فإن الحالات التي يقوم فيها بعض الساحبين بتأخير تاريخ الشيك ، أي يذكرون تاريخاً له لاحقاً لسحبه لتوقيعهم إيجاد مقابل الوفاء لدى المسحوب عليه في التاريخ المذكور في الشيك ، لا تؤثر بشيء على تحقق الجريمة وتعرضهم للعقاب ، طالما يحق للمستفيد تقديم الشيك للمسحوب عليه للوفاء فور استلامه له لكونه قابلاً للوفاء لدى الاطلاع كما نعلم .

هذا ويقصد أيضاً بعدم وجود مقابل وفاء ليس فقط حالة انعدام وجود الرصيد كلية بل الحالة التي يوجد فيها رصيد أيضاً لكنه غير قابل للسحب ، كأن يكون الرصيد محجوزاً عليه أو كان الساحب تاجراً قد شهر إفلاسه .

وتتحقق كذلك جريمة إصدار شيك بدون رصيد ولا يعفى الساحب من المسؤولية الجنائية إذا كان مبلغ الرصيد غير كاف للوفاء بقيمة الشيك .

★ **الحالة الثانية :** استرداد مقابل الوفاء أو بعضه : لا يكفي أن يكون للساحب لدى المسحوب عليه وقت سحب الشيك رصيداً ، بل يجب أن يظل هذا الرصيد قائماً إلى أن يتم الوفاء للحامل . لهذا يمتنع على الساحب بعد سحب الشيك أن يعمد إلى استرداد مقابل وفائه كله أو بعضه .

★ **الحالة الثالثة :** إصدار أمر من الساحب إلى المسحوب عليه بعدم الدفع : إن الأهمية التي يعولها الحامل على وجود مقابل وفاء كاف لتغطية قيمة الشيك تستند إلى أمله في الحصول على حقه بالوفاء حين تقديم الشيك للمسحوب عليه . لذلك فإن هذه الأهمية تنتفي فيما إذا تعطل حق الحامل على هذا المقابل بسبب يرجع إلى الساحب كما لو أصدر أمراً للمسحوب عليه يمنعه فيه من وفاء الشيك إلى الحامل . وعلى هذا إذا امتنع المصرف المسحوب عليه عن دفع قيمة الشيك نتيجة أمر الساحب فإنه يترتب على ذلك انتفاء المقابل وتحقق الجريمة . ولا عبرة

للأسباب التي دفعت الساحب إلى إصدار مثل هذا الأمر حتى ولو كانت مشروعة ، لأنها من قبيل البواعث التي لا تأثير لها في قيام المسؤولية الجنائية[١٢] .

جـ ـ **القصد الجنائي** : يشترط أخيراً لقيام جريمة سحب شيك بدون رصيد توافر القصد الجرمي لدى الساحب . وإلى ذلك أشارت **(المادة ١١٨)** من النظام حين قالت : « كل من سحب بسوء نية . . . أو كل من استرد بسوء نية . . . أو أمر وهو سيء النية المسحوب عليه بعدم دفع قيمة الشيك . . . » . وقد ثار الخلاف حول ما يقصده النص بسوء النية في هذا الشأن . فهل يقتضي سوء النية أن يتوفر لدى الساحب نية الإضرار بالحامل أم يكفي مجرد علم الساحب وقت سحب الشيك بعدم وجود مقابل الوفاء أو عدم كفايته ، أو علمه عند استرداده المقابل بأن الشيك لم يدفع بعد ، أو علمه أيضاً عند إصدار الأمر للمسحوب عليه بمنع الدفع بأنه يترتب على ذلك عدم دفع قيمة الشيك . ففي حين استقر الفقه والقضاء الأجنبيان على تبني المفهوم الثاني ، أي أن المقصود بعبارة سوء النية هو أن يتوافر مجرد علم الساحب بعدم وجود الرصيد أو كفايته . . لكي يقوم الركن الثالث (القصد الجرمي) لجريمة سحب شيك بدون رصيد . فإن نظام الأوراق التجارية السعودي قد اعتمد المفهوم الأول حين رأى أنه لا يتوافر عنصر سوء النية بمجرد علم الساحب بعدم وجود مقابل الوفاء أو بعدم كفايته ، أو علمه عند استرداده مقابل الوفاء بأن الشيك لم يدفع بعد ، أو علمه بمدلول الأمر الصادر منه بعدم الدفع ، بل يلزم أن يقصد الساحب في هذه الأحوال الثلاثة إلى الإضرار بحقوق الحامل . على أنه يفترض في الساحب سوء النية متى ثبتت واقعة من الوقائع الثلاث التي عددتها **(المادة ١١٨)** ، ويبقى عليه هو أن يدفع عن نفسه سوء النية بالتدليل على أنه لم يقصد الإضرار بحقوق الحامل .

هذا ولا ينتفي سوء نية الساحب وبالتالي لا يقلل من وقوع الجريمة كون المستفيد على بينة وقت سحب الشيك بعدم وجود مقابل وفاء له ، إذ لم يقصد النظام حماية المستفيد بذاته وإنما تعزيز الثقة بالشيك وتمكينه من أداء رسالته كأداة وفاء . إضافة إلى ذلك ، فقد عاقبت الفقرة الثانية من **(المادة ١١٨)** المستفيد ، في حال تسلمه الشيك مع علمه بدون وجود مقابل وفاء له ، بنفس العقوبات التي تطبق بحق الساحب ، أي بالغرامة من مائة ريال إلى ألفي ريال وبالسجن مدة لا تقل عن (١٥) يوماً ولا تزيد عن (٦) أشهر ، أو بإحدى هاتين العقوبتين مع مراعاة ما قد تنص عليه أحكام الشريعة الإسلامية .

٣ ـ استقلال التواقيع

نصت **(المادة ٩) من نظام الأوراق التجارية السعودي** على أنه : « إذا حملت الكمبيالة توقيعات أشخاص ليست لهم أهلية الالتزام بها ، أو توقيعات مزورة ، أو توقيعات لأشخاص وهميين ، أو توقيعات لا تلزم لأي سبب آخر الأشخاص الذين وقعوا الكمبيالة ، أو الذين وقعت بأسمائهم ، فإن التزامات غيرهم من الموقعين عليها تظل مع ذلك صحيحة » كما قضت **(المادة ١١٧)** من هذا النظام بسريان أحكام هذا النص على الشيك .

يقصد بمبدأ استقلال التوقيعات أن كل من وقّع على الشيك سواء كان الساحب أو المظهر أو الضامن يعتبر توقيعه مستقلاً عن التوقيعات الأخرى . بتعبير آخر ليس للالتزام الصرفي لكل موقّع علاقة بالالتزام الصرفي لموقّع آخر . فإذا تضمن الشيك بطلان التزام الساحب لعدم مشروعية السبب (وفاء دين قمار للمستفيد مثلاً) فإن أثر هذا البطلان يقتصر على علاقة الساحب بالمستفيد ولا يتسرب إلى الالتزامات الأخرى الناشئة عن التوقيع على الشيك ، لأن لكل منها كياناً قائماً بذاته . وبناء على ذلك إذا قام المستفيد بتظهير الشيك إلى شخص آخر فإن التزام المستفيد يكون صحيحاً بالنسبة إلى المظهر إليه الجديد .

من الواضح أن هذا المبدأ يعتبر خروجاً على القواعد العامة التي تقضي بالبطلان المطلق لإصدار الشيك لعدم مشروعية سببه . لكن هذا الخروج تبرره حماية النظام التجاري لحامل الشيك وتشجيعاً له على التعامل به دون التخوف من بطلان التوقيعات الموجودة عليه . ويتفرع عن قاعدة استقلال التوقيعات قاعدة صرفية هامة أخرى هي قاعدة تطهير الدفوع .

٤ ـ تطهير الدفوع

تعتبر قاعدة تطهير الدفوع من أهم القواعد التي تضمنها قانون الصرف ، ومن أهم آثار تظهير الأوراق التجارية . ويقصد بتطهير الدفوع أنه لا يجوز للمدين في الشيك سواء أكان المسحوب عليه أو الساحب أو أحد المظهرين أن يمتنع عن الوفاء للحامل حسن النية مستنداً إلى الدفوع التي كان بإمكانه أن يتمسك بها قبل أحد الموقّعين السابقين . بعبارة أخرى أن **تظهير الشيك ينقل الحق الثابت به من المظهر إلى المظهر له خالياً مطهّراً من جميع الدفوع** . ولذا يقال إن « **التظهير يطهر الدفوع** » . والمقصود بالدفوع في هذا المجال هو أوجه الرد التي يلجأ إليها المدين للتنصل من التزاماته كادعائه بطلان التزامه لعدم مشروعية السبب .

لقد تبنى نظام الأوراق التجارية السعودي قاعدة تطهير الدفوع في **(المادة ١٧)** منه التي تنص على ما يلي : « ليس لمن أقيمت عليه دعوى الكمبيالة أن يحتج على حاملها بالدفوع المبنية على علاقته الشخصية بساحبها أو بحامليها السابقين ما لم يكن قصد الحامل وقت حصوله على الكمبيالة الإضرار بالمدين » . ويسري حكم هذه المادة على الشيك بدلالة **(المادة ١١٧)** من نظام الأوراق التجارية نفسه .

وبناء على ذلك إذا افترضنا أن المصرف قد امتنع عن الوفاء لعدم

وجود رصيد لساحب الشيك عنده فإنه يحق للحامل ، كما سنرى بعد قليل ، الرجوع على الموقعين السابقين من ساحب ومظهرين وضامنين للمطالبة بقيمة الشيك . فإذا كان الشيك قد ظهر عدة مرات لكن الحامل رجع على الساحب دون غيره وطالبه بالوفاء ، وكان التزام الساحب قبل المستفيد الأول باطلاً لعدم مشروعية السبب (وفاء صفقة مخدرات) ، فإن الساحب لا يستطيع التمسك في مواجهة الحامل ببطلان التزامه الأصلي ، ويجبر على الوفاء ، طالما كان الأخير حسن النية ويجهل ما يشوب العلاقة التي كانت تربط الساحب بالمستفيد . وهكذا نرى أن الساحب قد نقل إلى الآخرين ، نتيجة سحب الشيك ومن ثم تظهيره ، حقاً ما كان بإمكانه هو بالذات مطالبة المستفيد فيه لعدم شرعيته .

من هنا تعتبر قاعدة تطهير الدفوع خروجاً على القواعد العامة التي تقضي بأن فاقد الشيء لا يعطيه ، وأنه لا يجوز لشخص أن ينقل إلى غيره من الحقوق أكثر مما يملك . فالمحيل في حوالة الحق المدنية لا ينقل للمحال له إلا ذات الحق الذي كان له قبل المحال عليه بكل ما يلحق به من مزايا وعيوب . لذا فللمحال عليه أن يتمسك في مواجهة المحال له بكافة الدفوع التي كان يستطيع التمسك بها في مواجهة المحيل وقت نفاذ الحوالة في حقه . لكن يلاحظ أنه رغم سلامة القواعد العامة من الناحية القانونية ، فإن تطبيقها على الأوراق التجارية أمر لا تبرره ضرورات الحياة التجارية والاقتصادية . فلو جاز للمدين في الشيك أن يتمسك في مواجهة حامله بالدفوع التي كان يستطيع التمسك بها تجاه حامل سابق لما أقدم أحد على التعامل بالشيك قبل أن يجري تحريات عن الظروف التي التزم من خلالها كل موقع ليتأكد من خلو هذا الشيك من العيوب التي قد تنخر فيه . وهذا ما قد يفضي إلى إحجام الناس عن التعامل بالأوراق التجارية ومنها الشيك وشلها بالتالي عن أداء وظيفتها كأداة للوفاء بالديون تقوم مقام الدفع النقدي . لهذه الأسباب خالف النظام التجاري القواعد العامة وأحاط حامل الورقة التجارية برعايته حين أقر قاعدة تطهير الدفوع .

لكن لكي تشمل هذه الرعاية والحماية حامل الشيك ويستفيد من التمسك بقاعدة تطهير الدفوع أوجب النظام أن لا يكون سيء النية . ولا يكفي مجرد علم حامل الشيك في مثالنا السابق بأن العلاقة التي تربط

الساحب بالمستفيد هي باطلة للدلالة على سوء نيته ، إنما يجب أن يتوافر لديه قصد الإضرار بالمدين الساحب عن طريق حرمانه من التمسك بالدفوع التي كانت له تجاه المستفيد . والعبرة بوجود سوء نية الحامل هو

في وقت إجراء تظهير الشيك . فإذا كان جاهلاً وجود العيب في هذا الوقت اعتبر حسن النية ولو علم به بعد ذلك . ووفقاً للقواعد العامة يعتبر حامل الشيك حسن النية إلى أن يثبت صاحب المصلحة الدليل على عكس ذلك .

٥ ـ تضامن الموقعين

تشكل قاعدة تضامن الموقعين ، ويطلق عليها بالتضامن الصرفي ، حماية أخرى هامة لحامل الشيك أراد النظام إضافتها إلى سياج الضمانات السابقة التي أحاطه بها . وجاء ذكر هذه القاعدة في **(المادة ٥٨)** من نظام الأوراق التجارية ، المطبقة على الشيك بدلالة **(المادة ١١٧)** من نفس النظام ، وهي تقضي بأن ساحب الشيك ومظهره وضامنه الاحتياطي مسؤولون جميعاً بالتضامن نحو حامله . وللحامل مطالبتهم منفردين أو مجتمعين دون مراعاة أي ترتيب . ويثبت هذا الحق لكل موقع على الشيك وفي قيمته تجاه المسؤول نحوه . والدعوى المقامة على أحد الملتزمين به لا تحول دون مطالبة الباقين ولو كان التزامهم لاحقاً لمن وجهت إليه الدعوى ابتداء .

يتضح من هذا النص أن الحامل الذي لم يتمكن من استيفاء قيمة الشيك من المصرف المسحوب عليه باستطاعته الرجوع على أي من الموقعين السابقين على انفراد بكامل مبلغ الشيك إذا اعتقد أنه موسر وأقدر من غيره على الوفاء ، أو أن يجمعهم كلهم في مطالبة واحدة ليتدبروا وفاء قيمة الشيك فيما بينهم . كما له الرجوع على أي موقع سابق أو لاحق للموقع الذي بدأ برفع الدعوى عليه لمطالبته بقيمة الشيك .

وقد أجاز النص أيضاً لأي موقع على الشيك قام بوفائه بأن يرجع على سائر الموقعين الآخرين وبكامل قيمة الشيك الذي أوفاه . ويلاحظ هنا أن هذه القاعدة تتعارض مع أحكام القواعد العامة في التضامن التي تقضي بانقسام الدين بين المتضامنين ، أي أنه ليس للمدين المتضامن الذي أوفى كامل قيمة الدين الرجوع على المدينين الآخرين إلا بمقدار حصته فقط من الدين الموفى .

لكن لكي يتمكن حامل الشيك من الاستفادة من أحكام قاعدة التضامن الصرفي والرجوع على الملتزمين بالشيك ، أوجبت عليه **(المادة ١٠٨)** من النظام تقديم الشيك أولا للمسحوب عليه ضمن الميعاد النظامي وتثبيت امتناعه عن الوفاء باحتجاج رسمي لدى الكاتب بالعدل . هذا ومن المفروض أن تقدم الشيكات المسحوبة في المملكة والمستحقة الوفاء فيها خلال مدة شهر من تاريخ إصدارها ، أما المسحوبة خارج المملكة والمستحقة الوفاء فيها فخلال مدة ثلاثة أشهر **(المادة ١٠٣)** .

مع ذلك للمسحوب عليه أن يوفي قيمة الشيك ولو بعد انقضاء ميعاد تقديمه طالما يتوفر لساحبه رصيد بذمته **(المادة ١٠٥ من النظام)** .

٦ ـ حماية خاصة لبعض أنواع الشيكات

أ ـ الشيك المسطر : الشيك المسطر هو شيك محرر وفق شكل

الشيك العادي ، لكنه يتميز بوجود خطين متوازيين ـ عادة مائلين ـ على صدر الشيك موضوعين بخط اليد أو بواسطة ختم . ويترتب على هذا التسطير وجوب امتناع المصرف المسحوب عليه عن الوفاء بقيمة الشيك إلا إلى أحد عملائه أو إلى بنك **(مادة ١١٢ من النظام)** ، وإلا تعرض لمسؤولية التعويض عن الضرر الحاصل بما لا يجاوز قيمة الشيك **(مادة ١١٤)** .

إن الحكمة من التسطير هي تفادي خطر تزوير الشيك أو ضياعه أو سرقته ، إذ لا يستطيع المزوّر أو الواجد أو السارق أن يقبض قيمة الشيك إلا إذا كان عميلاً للمصرف المسحوب عليه أو ظهر الشيك إلى مصرف آخر . ففي الحالة الأولى قد يصعب على المزور أو الواجد أو السارق أن يتقدم إلى مصرفه الذي يتعامل معه لتحصيل قيمة الشيك خوفاً من انكشاف الأمر مستقبلاً واختلال ثقة المصرف به . وفي الحالة الثانية لا تقبل المصارف عادة خصم الشيكات المسطرة التي تقدم إليها إلا بعد التحقق جيداً من شخصية الحامل ومن كيفية حصوله عليه .

يجوز تسطير الشيك من الساحب ومن الحامل **(مادة ١١١)** وسواء أكان الشيك صادراً للأمر أم للحامل أم كان الشيك اسمياً .

والتسطير على نوعين : تسطير عام وتسطير خاص . فالتسطير العام هو الذي يترك فيه الفراغ بين الخطين المتوازيين على بياض دون كتابة أية كلمة ، أو إذا كتب لفظ (مصرف) من غير تعيين اسم مصرف بالذات ، وفي هذه الحالة يجوز للمصرف المسحوب عليه وفاء قيمة الشيك إلى أحد عملائه أو لأي مصرف يتقدم به . أما التسطير الخاص فهو الذي يذكر فيه اسم مصرف معين فيما بين الخطين ، وعندئذ يمتنع على المصرف المسحوب عليه وفاء قيمة الشيك إلا إلى هذا المصرف بالذات وإلا تعرض للمسؤولية بالتعويض عن الضرر بما لا يجاوز قيمة الشيك **(مادة ١١٤ من النظام)** . هذا ويجوز تحويل التسطير العام إلى تسطير خاص بذكر اسم مصرف معين بين الخطين ، أما التسطير الخاص فلا يتحول إلى تسطير عام .

وقد حظر النظام شطب التسطير العام أوالتسطير الخاص بقصد تحويل الشيك المسطر إلى شيك عادي ، وإذا حصل الشطب فلا يعتد به ، إذ متى وضع التسطير على شيك وجب أن تظل له هذه الصفة حتى توفى قيمته **(مادة ١١١ من النظام)** .

ب ـ **الشيك المقيد في الحساب** : هو عبارة عن شيك عادي يضيف إليه الساحب أو الحامل عبارة تفيد عدم جواز الوفاء بقيمته نقداً بل عن طريق القيود الكتابية ، كأن يكتب على صدر الشيك عبارة « للقيد في الحساب » أو أية عبارة أخرى تفيد نفس المعنى **(مادة ١١٣)** .

وفي هذه الحالة لا يكون للمسحوب عليه تسوية قيمة الشيك إلا بطريق قيود كتابية كالقيد في الحساب أو النقل المصرفي أو المقاصة ، وتقوم هذه القيود مقام النقود . لا يجوز شطب بيان « للقيد في الحساب » وإذا حصل هذا الشطب فلا يعتد به . ثم إذا أوفى المصرف المسحوب عليه قيمة الشيك نقداً على الرغم من وجود عبارة « للقيد في الحساب » كان مسؤولا عن تعويض الضرر الحاصل بما لا يجاوز مبلغ الشيك **(مادة ١١٤)** .

إن الغرض من وفاء هذه الشيكات عن طريق قيدها في سجلات المصارف هو الاستغناء عن استعمال النقود والتقليل من مخاطر ضياع الشيكات أو سرقتها أو تزويرها ، لكن يفترض في هذه الحالة وجود حسابات لدى المصارف للمتعاملين بهذه الشيكات .

الهوامش

(١) يطلق على الأوراق التجارية في التشريعين السوري واللبناني « الاسناد التجارية » .

(٢) الكمبيالة كلمة مأخوذة عن الإيطالية Cambiale ويطلق عليها « سفتجة » في بعض تشريعات البلدان العربية كسورية ولبنان والعراق .

(٣) يطلق على السند لأمر في التشريع المصري « السند الإذني » .

(٤) يقال إن كلمة شيك تعود في أصلها إلى الكلمة العربية « صك » وهو الرقاع الذي كان يحصل عليه العميل من الصراف لقاء إيداعه أمواله لديه . انظر في ذلك : د . هشام فرعون : الحقوق التجارية البرية ، دمشق ١٩٧٣م ، ص ٤٥٦ ؛ د . محمود محمد بابللي : الأوراق التجارية في المملكة العربية السعودية ١٣٩٧هـ ، ص ٢٦٢ .

(٥) يقصد بقانون الصرف مجموع القواعد التي تضمنها نظام التجارة وتحكم الأوراق التجارية . وترجع التسمية « الصرف » إلى أن نشأة الكمبيالة ، إحدى الأوراق التجارية ، قد ارتبطت تاريخياً بتنفيذ عقد الصرف المسحوب الذي يقوم على مبادلة النقود بين مكانين مختلفين .

(٦) يطلق على مقابل الوفاء في التشريع اللبناني « المؤونة » .

(٧) انظر : د . جاك الحكيم : الاسناد التجارية ، دمشق ، ١٩٧٣م ، ص ١٢٣ ؛ د . علي البارودي : الأوراق التجارية ، القاهرة ١٩٦٢م ، ص ٩٤ .

(٨) د . مصطفى كمال طه : الموجز في القانون التجاري ، القاهرة ١٩٧٣م ، ص ٢٠٩ .

(٩) د . محسن شفيق : القانون التجاري الكويتي ، ١٩٧٢م ، ص ٣٤٤ ؛ بعكس ذلك رأي الدكتور هشام فرعون ، نفس المرجع السابق ، ص ٤٧٣ .

(١٠) د . سميحة القليوبي : الموجز في القانون التجاري ، القاهرة ١٩٧٨م ، ص ٢٠٢ .

(١١) د . مصطفى كمال طه : نفس المرجع السابق ، ص ٢١١ .

(١٢) د . مصطفى كمال طه : نفس المرجع السابق ، ص ٢١٥ .

(١٣) نقض جنائي مصري ١٥/١/١٩٥١م ؛ محكمة الكويت الكلية ٣٠/١٢/١٩٧٠م ، أشير إلى القرار الأخير من قبل الدكتور محمد حسني عباس في مؤلفه : الأوراق التجارية في التشريع الكويتي ، ص ٢٦٩ ؛ انظر أيضاً الدكتور علي حسن يونس : الأوراق التجارية ، القاهرة ١٩٧٦م ، ص ١٩٣ .

(١٤) انظر في ذلك المذكرة التفسيرية لهذا النظام ص ٦٢ ، والدكتور محمود بابللي : نفس المرجع السابق ، ص ٣٢٨ .

يرجع كثير من علماء النفس الغربيين الأمراض النفسية إلى أسباب ومسببات وعلل ومعلولات وظروف بيئية ونواحي وراثية ، ويفترضون لذلك الفروض ويغرقون في التخمينات ويجمعون إرهاصات لا تستند إلى دليل عقلي ، ولا برهان علمي ، لذلك فإن كثيراً من تفسيرات الشخصية ، وتعليلات السلوك تحتاج إلى تفسير .. فهي غامضة أشد الغموض .



أسباب المرض النفسي

ومن تلكم الأسباب التي يفترضون أنها تلعب دوراً في (نشوء المرض النفسي ، وظهور السلوك الشاذ ، والتصرفات غير السوية ، والشعور بالنقص والاضطهاد والضعة وجنون العظمة و « المازوخية » والوسواس والهلوسة والهواجس والاكتئاب النفسي واليأس والقنوط إلى غير ذلك من الأشكال المرضية النفسية) .. من تلكم الأسباب التي يفترضون أنها تلعب دوراً في نشوء المرض النفسي ، عدم التكيف وعدم التوافق وضغوط البيئة وعقدتا « أوديب » و « الكترا » .

ويركز علماء النفس الغربيون أيضاً على فترة الطفولة المبكرة باعتبارها الفترة التي تتكون فيها الشخصية ، وأما فترة المراهقة والشباب فهي بمثابة **طلاء لها ، فالتدليل الزائد للطفل يسبب فيما بعد شخصية متسيبة رعناء** ، كما أن التذبذب في معاملة الطفل يجعله غير قادر على التعرف على السلوك الواجب الاتباع ، ومن ثم إخفاقه في التمسك بالقيم والمفاهيم .. فتتكون لهذا الطفل فيما بعد شخصية مترددة متشككة في كل شيء ، كما أن القسوة في معاملة الطفل **تجعله شخصاً مكتئباً قاسي القلب .**

وربما تكون هذه الأسباب عوامل مساعدة للمرض النفسي .. لكنها في واقع الأمر ليست الأسباب الحقيقية للمرض النفسي ، فكم من أطفال نشأوا وترعرعوا في ظروف قاسية أو بيئات فاسدة **لكنهم اتخذوا لأنفسهم خطاً مستقيماً وسلكوا سلوكاً سليماً** ، ورفضوا تقليد ذويهم في النواقص أو ارتكاب المعاصي ، والآيات القرآنية الكريمة شاهدة على صدق ما نقول . **فهذا إبراهيم عليه السلام** كان والده كافراً يصنع الأصنام ، **فحطم إبراهيم** عندما شب عن الطوق الأصنام ، وهذا ابن نوح نشأ في بيت النبوة لكنه اتبع هواه وظلم نفسه وكفر برب العالمين ،

والأمثلة كثيرة ومتعددة تظهر أن كل إنسان مسؤول عن عمله وإلا كان يلزم أن يكون ابن الفاسق فاسقاً ، وابن التقي تقياً ، وفي هذا يقول عز من قائل : **﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ﴾** (سورة الإسراء ، الآية ١٣) .

فالإنسان متى اكتمل رشده ، وبلغ من العمر ما يؤهله أن يعرف الحق من الباطل ويميِّز بين الصحيح والفاسد ، عليه أن يتجنب الشر ويقبل على الخير بما أودع فيه من موهبة العقل فلا يطيع هواه وإلا سقط في براثن الشرك والضلال .

كما أننا لا نتفق مع علماء النفس الغربيين الذين يزعمون أن عقدتي **« أوديب » و « الكترا »** إذا لم يتسام بها الشخص أو إذا لم يتخذ لنفسه طرقاً تحويلية في مقابلها ، عجز عن التكيف وأصيب بالنكوص وظهرت عليه الأعراض المرضية .

فليست العلاقة بين الأم وولدها علاقة جنسية كما يزعم فرويد ، كما أنه ليست العلاقة بين الأب وابنته من هذا النوع ، فكيف تدنس أطهر علاقة في الوجود ، وأعظم حب لا مصلحة فيه ولا منفعة ، ليصبح علاقة حيوانية تهبط بالإنسان إلى أسفل سافلين وقد خلقه تعالى في أحسن تقويم .

هناك أسباب أخرى أعمق وأصدق للمرض النفسي ولن نفترضها أو نخمنها كما يفعل علماء النفس الغربيون ، لكننا سنرجع إلى القرآن الكريم ، ففي آياته البينات خير مرشد ومعين . . .

يقول تعالى : **﴿ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون ﴾** (سورة النحل ، الآية ١٠٨) .

فالغفلة هي نسيان الحق ، وتجاهل الفطر السليمة ، وظلم للنفس ، واتباع للهوى ، وموافقة للغواية الشيطانية :

﴿ يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين ﴾ (سورة الأنبياء ، الآية ٩٧) .

إذن ترتبط الغفلة بظلم النفس وهو الذي يقود إلى الشرك :

﴿ يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾ (سورة لقمان ، الآية ١٣) .

فالغفلة تقود إلى الظلم ، والظلم للنفس يقود إلى الشرك ، ومتى وصل

بقلم : د. حسن الشرقاوي

في النظرة الإسلامية

الإنسان إلى هذا الحال عطبت نفسه وفسدت موازينه ، ووقع فريسة للريبة والشك والرجفة والوسوسة واليأس والقنوط ، وربما تظاهر تجبراً واغتراراً بالقدرة أو العبقرية فيقع في أمراض نفسية أكثر فتكاً به مثل **جنون العظمة** أو « **النرجسية** » أو ما يسمونه « **عبادة الذات** » ، وكثيراً ما يصل هؤلاء إلى الفشل الذريع أو الاخفاق فيلجأون إلى الانتحار وهذا أظلم نهاية لحياتهم .

وكما ترتبط الغفلة بظلم النفس ، فإنها ترتبط من ناحية أخرى بالنسيان ، وذلك النسيان هو الذي يقود بدوره إلى الغفلة ، والنسيان بهذا المعنى أول مراتب الغفلة ، لأنه ثمرة ضعف الإرادة ، وقلة العزيمة :

﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً ﴾ (سورة طه ، الآية ١١٥) .

لكن استمرار النسيان ، كالتكاسل عن أداء الحقوق ، والخمول في القيام بالتكاليف يؤدي في نهاية الأمر إلى الغفلة والظلم للنفس ، لأنه أصبح رياء ونفاقاً ، فيستظهر الإنسان الطاعات ويخفي في قلبه حب المعصية والمخالفات :

﴿ نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون ﴾ (سورة التوبة ، الآية ٦٧) .

إن المنافق مريض نفسي ، فهو المرائي المظلم القلب ، الكاذب الذي يكذب على نفسه أولا ثم يكذب على الآخرين ثانياً :

﴿ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه ﴾ (سورة الكهف ، الآية ٥٧) .

لذلك لكي تحقق الصحة النفسية للإنسان يجب عليه أن يذكر الله تعالى كلما نسي :

﴿ واذكر ربك إذا نسيت ﴾ (سورة الكهف ، الآية ٢٤) .

ذلك أن الشيطان في حال النسيان يستولي على النفس فيهول إليها الأمر ، ويلهيها عن الحق ، ويحسن لها القبيح ويقبح لها الحسن ، ويكدرها ويوسوس لها حتى تظلم ، وعند ذلك يتركها في الشرك العظيم :

﴿ استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ﴾ (سورة المجادلة ، الآية ١٩) .

وإذا ما استحوذ الشيطان على النفس فسدت ومرضت ، وأصبحت نفساً أخرى غير نفس صاحبها ، لأنها تقع في الأفكار الخاطئة والدعاوى المغرضة ، فضلاً عن الهواجس والوساوس والخوف والاكتئاب :

﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ﴾ (سورة الحشر ، الآية ١٩) .

وكما ترتبط الغفلة بالنسيان والنسيان بالنفاق ، كان النفاق يرتبط بالكذب :

﴿ والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾ (سورة المنافقون ، الآية ١) .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« ما زال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً »

وبالجملة فإن أسباب المرض النفسي من وجهة النظر الإسلامية يمكن إيرادها في النقاط الآتية :

١ ـ الكذب ٢ ـ النفاق والرياء ٣ ـ النسيان
٤ ـ الغفلة ٥ ـ ظلم النفس ٦ ـ الشرك .

وأما الظروف البيئية والاجتماعية والعوامل الوراثية والضغوط النفسية إلى آخر ذلك من العوامل ، فهي يمكن أن تلعب دوراً إيجابياً أو سلبياً .. بمعنى أنها ربما تقود إلى الصحة النفسية وذلك باستخدام النفس معامل كظم الغيظ أو الصبر ، أو ترتفع النفس إلى العفو والتسامح ثم إلى الإحسان .

كما أن النفس الغافلة الكاذبة الناسية لأمر الله تنقاد إلى الأهواء وتظلم نفسها فتقع في اليأس والقنوط وتنهشها الوساوس وتكدرها الهواجس .. وتنزل بها الخوف والقلق الشديد .



البترول في العالم

يشغل العالم الإسلامي مساحة هائلة من مساحة العالم تبلغ حوالي (١٢) مليون ميل مربع ، وهو بذلك يكون مكافئاً لقارة كبرى تبلغ مساحتها ما يزيد عن مساحة القارة الإفريقية ، كما أنها تكون أكبر من مساحة قارتي أوروبا وأميريكا الجنوبية معاً ، وأقل من مساحة آسيا التي تبلغ (١٥,٥) مليون ميل مربع .

ويمتد العالم الإسلامي من نهاية العالم القديم في إفريقيا ، ابتداء من شواطئ المحيط الأطلنطي **غرباً** ، حتى **الباكستان** وإقليم سينكيانج بالصين **شرقاً** ، في كتلة واحدة متصلة البنيان تنحصر بين خطي الطول : ١٨ غرباً و ٩٠ شرقاً ، وبين خطي العرض : ٥٧ درجة شمالاً إلى خط الاستواء ، وذلك بالإضافة إلى الدول الإسلامية الواقعة في جنوب شرقي آسيا (**أندونيسيا واتحاد ماليزيا**) ، **وألبانيا** الدولة الإسلامية الواقعة في قارة أوروبا ، وتبلغ مساحتها (١١٠٠٠) ميل مربع .

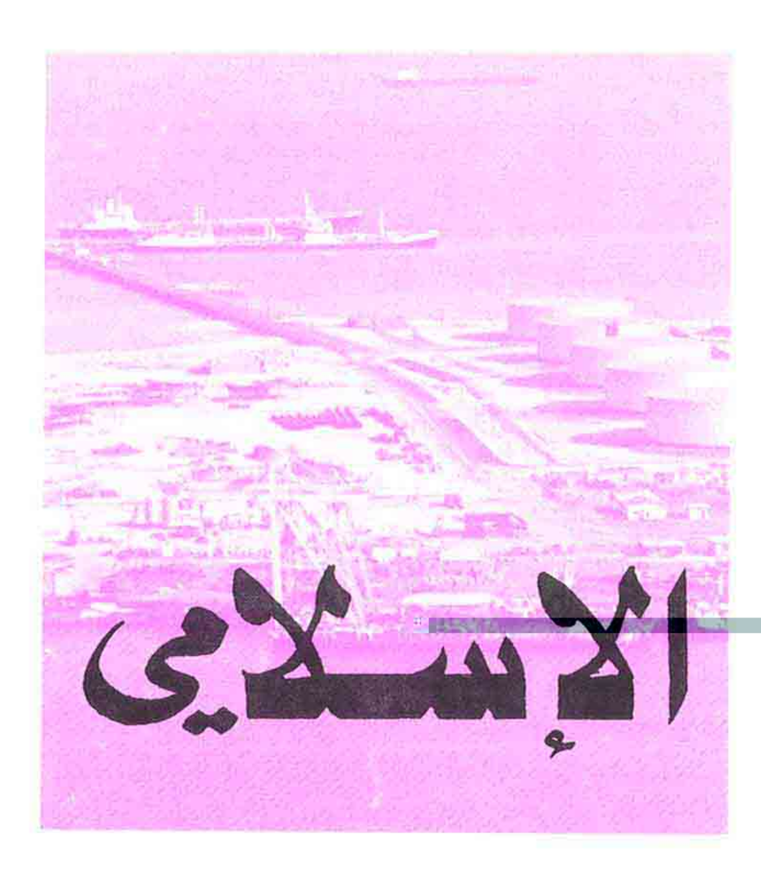
ويتحكم العالم الإسلامي في العالم القديم والجديد معاً ، حيث تمر من خلال بحاره خطوط الملاحة والتجارة العالمية ، مما يكسب أهمية اقتصادية واستراتيجية كبيرة على موقع العالم الإسلامي ، وإذا كانت السواحل الشرقية والجنوبية للبحر الأبيض المتوسط تقع في بلاد إسلامية ، فإن مدخلي هذا البحر يقعان أيضاً في أراض إسلامية ، إذ إن **قناة السويس** التي تتحكم في طرق التجارة بين الشرق والغرب تقع في جمهورية مصر الإسلامية ، وتعتبر القناة مدخلاً شرقياً للبحر المتوسط ، كما أن **مضيق جبل طارق** يقع أيضاً في الأراضي الإسلامية ، ويعتبر المدخل الغربي للبحر المتوسط ، وقديماً عندما كان العرب في **الأندلس** ، كان مضيق جبل طارق يعد كله واقعاً في المياه الإقليمية الإسلامية العربية ، كذلك فإن **المحيط الهندي** أيضاً مدخلاه يقعان في أراض إسلامية حيث يوجد **مضيق ملقا** في الشرق بين شبه جزيرة **الملايو** وجزيرة **سومطرة** إحدى جزر **أندونيسيا** ، ومن خلال هذا المضيق يتم الاتصال بين المحيط الهادي والمحيط الهندي ، كما يوجد **مضيق باب المندب** في أراض إسلامية أيضاً حيث يتصل المحيط الهندي بالبحر الأحمر الذي يعد هو الآخر بحيرة إسلامية خالصة ، ولعل من نافلة القول أن نذكر أن مدخلي المحيط الهندي بالناحية الشرقية والغربية هما المتحكمان في خطوط التجارة والملاحة بين دول العالم شرقاً وغرباً .

وتتزايد أهمية العالم الإسلامي باحتوائه على أغلب حقول البترول الموجودة بالعالم ، التي تتركز في منطقة الخليج العربي ، وحول البحر الأسود الذي يقع في وسط الجمهوريات الإسلامية الموجودة بالاتحاد السوفييتي ، وفي منطقة السواحل الغربية لقارة إفريقيا .

وقبل أن نتناول بالتفصيل أهمية العالم الإسلامي من حيث تواجد البترول والغاز الطبيعي فيه لا بد من الإشارة أولا إلى ماهية البترول .

ماهية البترول

إن هناك العديد من النظريات التي تناولت بالتفسير كيف نشأ البترول والغاز الطبيعي بيد أنه إلى الآن ما زال عسيراً أن نحدد منشأ البترول بالضبط ، وذلك لعدم القدرة على تشخيص المكان أو المواد التي نشأت منها تجمعات بترولية معينة .



بقلم : مهندس كيميائي / محمد عبد القادر الفقي

ولقد ظهرت نظريتان علميتان لتفسير منشأ البترول ، وهما **النظرية غير العضوية ، والنظرية العضوية** ، فأما النظرية غير العضوية فإنها تفترض أنه قد تم اتحاد بين عنصري الهيدروجين والكربون تحت ضغط وحرارة عاليين في أعماق الأرض مما أدى إلى تكون الهيدروكربونات المكونة لزيت البترول والغاز الطبيعي اللذين وجدا طريقهما خلال الصخور المسامية ليتجمعا في المصائد الطبيعية في التكوينات الأرضية تحت سطح الأرض .

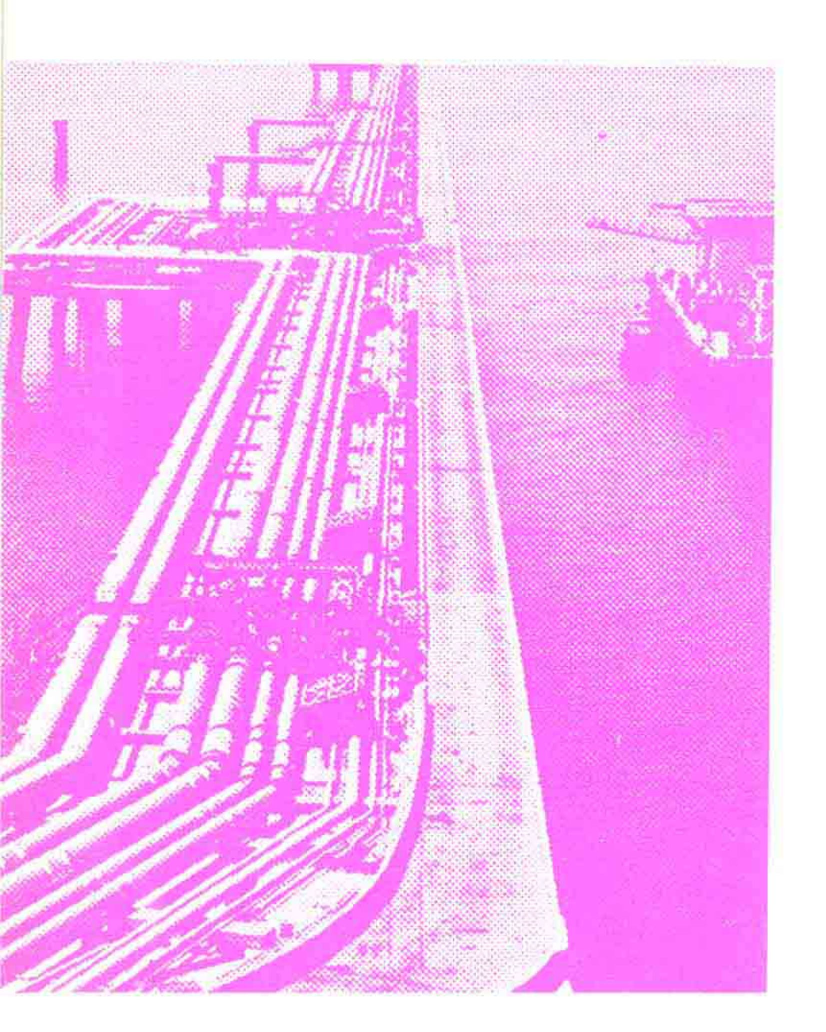
ولقد كان **العالم الروسي الشهير (مندليف) أول من أعلن حقيقة الأصل غير العضوي للبترول** ، وكان ذلك في عام ١٨٧٦ م ، معتمداً في ذلك على التجارب العملية التي أجريت آنذاك ، والتي أوضحت أن تمرير بخار الماء على كربيدات المعادن الثقيلة ينتج الهيدروكربونات ، وافترض مندليف على هذا الأساس أن الهيدروكربونات التي تدخل في تكوين البترول والغاز الطبيعي قد تكونت بنفس الطريقة ، وأما النظرية العضوية فإنها تفترض أن كلا من الهيدروجين والكربون المكونين للبترول قد جاءا من النباتات والحيوانات التي كانت تعيش منذ ملايين السنين على اليابسة ، وفي البحر ، ومن المعتقد أن هذه المادة العضوية كانت في أغلب الاحتمالات لكائنات ونباتات تعيش في مياه البحار والمستنقعات أكثر من كونها أحياء تعيش على الأرض ، هذه الكائنات والنباتات الدقيقة عندما ماتت ترسبت على قاع البحار القديمة التي كانت تغطي مساحات شاسعة من الأراضي اليابسة والبحار التي نعرفها اليوم .

وعلى مدى ملايين السنين كانت الأنهار تنساب إلى البحار محملة بكميات هائلة من الطين والطفلة والرمال ، لتنتشر وتتوزع بفعل التيارات البحرية ، وبفعل المد والجزر على طول قاع البحر قريباً من الشواطئ التي كانت تتغير خطوطها تدريجياً ، وبمرور الآلاف من السنين تراكمت الطبقات على قاع البحر طبقة تعلو طبقة تعلو أخرى ، ونتيجة للثقل المتزايد لهذه الطبقات والضغط الناتج عن هذا الثقل ، بالإضافة إلى الحرارة الناشئة من جراء الضغط ، فقد تحللت المواد الهيدروكربونية بمرور الزمن لتعطي الزيت والغاز ، وساعد على ذلك بعض أنواع البكتيريا والمواد المشعة .

أماكن تواجد البترول

إذا سلمنا بالنظرية العضوية لمنشأ البترول ، فإنه من الجلي أن البحث عن البترول يجب أن ينحصر في المناطق التي تتواجد فيها تراكمات طبقية من الصخور الرسوبية ، وذلك لأنها الصخور التي دفنت فيها المواد الحيوانية والنباتية والبقايا البحرية التي تعتبر مصدراً للبترول .

إن الأبحاث النظرية التي تمت في مناطق مختلفة في جميع أنحاء العالم ، ومن خلال بيوت الخبرة العالمية في أعمال البحث والتنقيب عن البترول والغاز ، تبين أن تكون البترول والغاز في القشرة الأرضية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالصخور الرسوبية التي اكتشف فيها أكثر من ٩٩,٩٪ من تراكمات

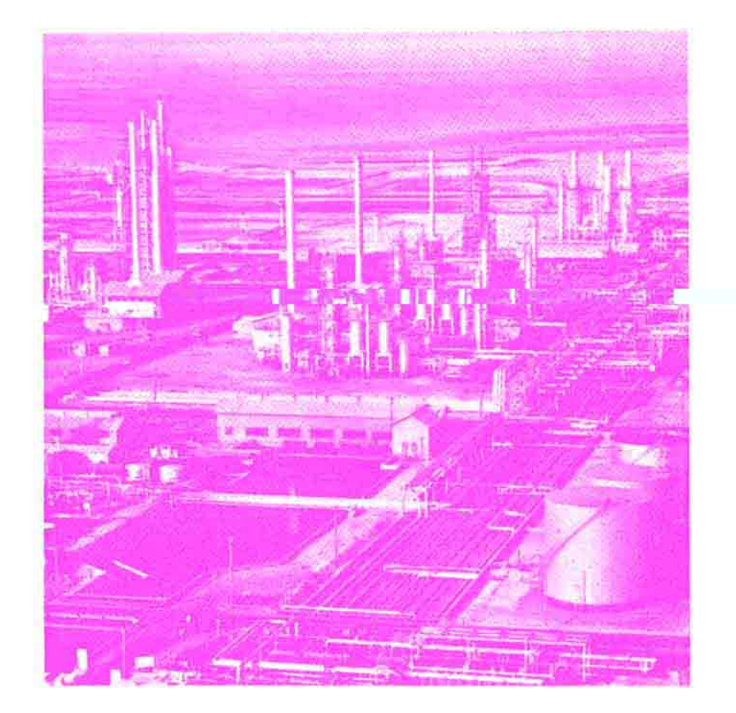


البترول والغاز ، والنسبة الضئيلة الباقية عثر فيها على هذه التراكمات في الصخور البلورية ، إلا أن رواسب البترول والغاز في المناطق هذه قد تكونت نتيجة لهجرة البترول والغاز من الطبقات الرسوبية المتاخمة للصخور البلورية ذات الشقوق .

وهناك شبه إجماع بين علماء البترول يؤكد ارتباط حقول البترول بالتضاريس الأرضية ، ففي ثمانينات القرن الماضي أعلن منديليف عن افتراضه ارتباط حقول البترول بالمناطق الواقعة أمام الجبال ، وكذلك بأطراف السلاسل الجبلية ، موضحاً الارتباط العضوي بين تكون حقول البترول في هذه المناطق ، وبين حركات القشرة الأرضية عبر الصخور الجيولوجية ، كذلك لاحظ **العالم الفرنسي (دي لوني)** في عام ١٩١٣ م ، الارتباط بين تراكمات حقول البترول والمناطق الطرفية من السلاسل الجبلية ، وتفيد عمليات البحث الجيولوجي والجيوفيزيائي في معرفة هذه الأماكن ، وفي التنبؤ بإمكانية وجود البترول والغاز في الصخور الرسوبية بهذه الأماكن .

غير أنه لكي يكون هذا التنبؤ مبنياً على أساس علمي فإن الباحثين عن البترول والغاز ، لا يهمهم فقط معرفة الأماكن التي يمكن أن يتواجد فيها البترول ، أو معرفة الظروف التي قد تكون فيها ، وإنما يهمهم أيضاً معرفة الظروف التي تحفظ تراكمات البترول والغاز التي تكونت في الصخور الرسوبية ، والتي لا تبقى في وضع ثابت ، وإنما تتعرض بمرور العصور الجيولوجية لتأثير عوامل فيزيائية وكيميائية وغير ذلك مما يسبب تغيرها .

إن الهيدروكربونات المكونة للبترول لها القدرة على الانتقال خلال المسامات الموجودة في الصخور الرسوبية ، وهذه القدرة يمكن أن تؤدي في ظروف كثيرة إلى بعثرة هذه الهيدروكربونات ، وكثيراً ما هاجر البترول من الصخور التي تكون فيها إلى صخور أخرى أحدث في تكوينها ، وإن أفضل الظروف لمنع هجرة البترول والغاز هو ما يعرف بالمصائد البترولية ، والتي تكون جنباتها مكونة من صخور غير مسامية لا تسمح بهجرة الزيت أو الغاز من خلالها .



البترول في العالم الإسلامي

إن الظروف الجيولوجية التي تكون فيها البترول في العالم الإسلامي هي كغيرها في أنحاء دول العالم الأخرى ، غير أن الشيء الملفت للانتباه أن الباحثين لا يهتمون إطلاقاً بموضوع الثروات المعدنية الهائلة الموجودة في شتى أنحاء العالم الإسلامي من بترول ، وغاز طبيعي ، وفحم ، وحديد ، وفوسفات ، وذهب ، وفضة ، وغير ذلك من المعادن الموجودة في أراضيه ، تلك الأراضي الغنية بثرواتها المعدنية ، وبتربتها الخصبة ، ومساحاتها الشاسعة ، ولكن سكانها ما زالوا متخلفين كثيراً ، وكثيراً في مجال الحضارة والتقدم .

وإذا كان الدين الإسلامي يدعو إلى العلم والمعرفة ، ويجعل للعلماء منزلة عظيمة ، فإن من الواجب على علماء الأمة الإسلامية ــ وما أكثرهم ــ أن يهتموا بثروات العالم الإسلامي ، **لقد اختص الله العالم الإسلامي بأكبر كميات من البترول مدفونة في باطن أراضيه ، ويكفي أن أشير إلى أن منطقة الشرق الأوسط تحتوي وحدها على ٥٥ ٪ من احتياطي بترول العالم كما يتضح في الجدول رقم (١) .**

جدول رقم (١)

احتياطي دول العالم من مصادر الطاقة

	النسبة المئوية لاحتياطي البترول	النسبة المئوية لاحتياطي الغاز الطبيعي
الشرق الأوسط	٥٥	٢٣
أوروبا	٤	٦
أستراليا	٣	٣
آسيا	١٧	٤٤
إفريقيا	١٠	٨
أميريكا الشمالية	٦	١٢
أميريكا الجنوبية	٥	٤
إجمالي العالم	١٠٠	١٠٠

وقبل أن نخوض في ذكر ما ينتجه العالم الإسلامي من البترول ، وما تحتويه أراضيه من مخزون احتياطي له ، أحب أن أشير في عجالة إلى الحقائق التالية :

(١) يتوزع المسلمون في جميع أنحاء دول العالم ، (٧٣ ٪ بقارة آسيا ، ٢٥,٣ ٪ بقارة إفريقيا ، وتتوزع النسبة القليلة الباقية على أوروبا

والأميركتين وأستراليا) .

(٢) تكون الشعوب العربية والباكستانية والأندونيسية حوالي ٥٦,٣ ٪ من مجموع السكان المسلمين .

(٣) يمثل المسلمون المركز الثاني بين الديانات التي يعتنقها سكان العالم بعد المسيحيين .

(٤) تتمتع دول العالم الإسلامي بأعلى نسبة في الخصوبة ، فالعراق مثلاً سيتضاعف عدد سكانه في عشرين عاماً ، ومصر سيتضاعف عدد سكانها في ٢٦ عاماً ، وذلك يعني أنه لو استمرت معدلات الخصوبة في الارتفاع ، فمن المتوقع أن يحتل المسلمون المركز الأول بين معتنقي الديانات في غضون ثلاثة قرون ، إذ إن معدل الخصوبة بباقي دول العالم أقل بكثير ، إن فرنسا يلزمها ١٨٦ عاماً لكي يتضاعف عدد سكانها ، والولايات المتحدة يلزمها هي الأخرى ٩٩ عاماً ، أما السويد فهي تحتاج إلى ١٣٨٦ عاماً ، إذ إن معدل الخصوبة بها أقل معدل بالعالم .

وإذا كان البعض يحذر من خطر الانفجار السكاني ، فإن العالم الإسلامي يزخر بثروات هائلة ومساحات شاسعة في حاجة إلى الزراعة ، ولكن سوء التخطيط والتخلف لا يزال عائقاً أمام ذلك .

جدول رقم (٢)

المسلمون موزعون بين قارات العالم حسب تقدير عام ١٩٧٥ م .

آسيا	٤٦٩ مليوناً
إفريقيا	١٦٢ مليوناً
أوروبا	٧ ملايين
الأميركتين وأستراليا	٣/٤ المليون
مجموع المسلمين في العالم	٦٣٩ مليوناً

إنتاج العالم الإسلامي من البترول

إذا نظرنا إلى العالم ككتل دينية فسنجد أن الكتلة التي تشمل الأقطار التي تدين بالإسلام أكبر الكتل إنتاجاً للبترول والغاز الطبيعي ، فقد بلغ متوسط إنتاج العالم الإسلامي عام ١٩٧٨ م ، وذلك دون الجمهوريات الإسلامية الموجودة في الاتحاد السوفييتي وإقليم سينكيانج بالصين حوالي ٤٧,٢٤ ٪ من إجمالي الإنتاج العالمي ، وهذه النسبة تعادل ٢٨٠١٣ مليون برميل يومياً ، أنتجت **المملكة العربية السعودية** وحدها (٧٥١٩) ألف برميل يومياً ، أي بما يعادل ١٣ ٪ من إجمالي الإنتاج العالمي .

أما عن حقول البترول الموجودة بالاتحاد السوفييتي وإقليم سينكيانج بالصين فإن الحصول على معلومات متكاملة عن هذه الحقول غير متاح ، **ومن المعروف أن أشهر الجمهوريات الإسلامية المنتجة للبترول في الاتحاد السوفييتي هي تلك التي تطل على بحر قزوين ، حيث يتم إنتاج أغلب البترول السوفييتي في أقاليم تركستان وأزبكستان وباشكيريا وترستان ، وقازقستان ، وكلها جمهوريات إسلامية سوفييتية** ، ولقد بلغ متوسط حقول جمهورية ترستان من الزيت الخام عام ١٩٧٥ م ، ما يعادل ٢,٠٧ مليون برميل يومياً ، وإن تضاءل هذا الإنتاج ليصل إلى ١,٩ مليون برميل يومياً عام ١٩٧٨ م .

كذلك فإن إقليم قازقستان قد أنتج عام ١٩٧٨ م ، أيضاً (٧٢٠٠٠) برميل يومياً ، وفي نفس العام فإن **حقل أريان** Arian بباشكيريا وصل إنتاجه (١١٠) ملايين برميل في السنة ، كما بلغ إنتاج **حقل روماشكينو** Romashkino الموجود بين حدود ترستان وبشكيريا (٥٣٠) مليون برميل في السنة ، وهي نسبة عالية جداً ، وهناك بعض الحقول الأخرى الكثيرة تنتشر في أنحاء الجمهوريات الإسلامية السوفييتية ،

أما إقليم سينكيانج بالصين فإن المعلومات عن إنتاج هذا الإقليم الإسلامي غير متوافرة أيضاً ، اللهم إلا حقل كولامي Kolamai الموجود بهذا الإقليم والذي ينتج وحده ما يزيد عن (٥١,٨) مليون برميل سنوياً حسب تقديرات عام ١٩٧٨ م . بناء على ذلك ، يمكن أن نقدر إنتاج الأقاليم الإسلامية بالاتحاد السوفييتي والصين بحوالي (٥) ملايين برميل يومياً ، **وبذلك يصل إجمالي إنتاج العالم الإسلامي كله إلى (٣٣) مليون برميل في اليوم الواحد ، أي حوالي ٥٦ ٪ من إجمالي إنتاج العالم .**

ولقد ارتفع إنتاج العالم الإسلامي من البترول عام ١٩٧٩ م ، ليصل إلى (٣٠٤١٢) ألف برميل يومياً ، وذلك دون ضم إنتاج جمهوريات الاتحاد السوفييتي الإسلامية وإقليم سينكيانج ، والتي إذا قدر إنتاجها بنفس القيمة التي قدرناها لعام ١٩٧٨ م ، لوصل إنتاج العالم الإسلامي كله إلى ما يزيد عن ٥٦,٦ ٪ من إجمالي الإنتاج العالمي .

أما عن الغاز الطبيعي فقد وصل إنتاج العالم الإسلامي عام ١٩٧٨ م ، إلى حوالي ٧ ٪ من الإنتاج العالمي ، ولقد وجدنا نفس الصعوبات السابقة في الحصول على معلومات عن إنتاج الأقاليم الإسلامية السوفييتية ، والتي تحتوي على كميات هائلة من الغاز الطبيعي . وتجدر الإشارة هنا إلى أن أحد العوامل الرئيسية وراء التدخل الشيوعي السوفييتي في أفغانستان هو الطمع في السيطرة على حقول البترول والغاز الطبيعي ، وتنتج أفغانستان ما يزيد عن (٣٠٠) مليون قدم مكعب من الغاز الطبيعي ، يضخ منها حوالي (٢٥٠) مليون قدم مكعب إلى الاتحاد السوفييتي ، ولقد قدر الجيولوجيون السوفييت احتياطي البترول الأفغاني بحوالي (٩٥) مليون برميل ، وقدروا احتياطي الغاز بحوالي (٥) ترليون قدم مكعب ، نصفها يقع على الأقل في منطقة شبراغان Shibrghan القريبة من الحدود الأفغانية ـــ السوفييتية . **(انظر الخريطة المنشورة لحقول الغاز بأفغانستان) .**

جدول رقم (٣)

إنتاج العالم الإسلامي من البترول الخام والغاز الطبيعي

رقم	الدولة الإسلامية	متوسط الإنتاج اليومي بآلاف البراميل		إجمالي إنتاج الغاز عام ١٩٧٩ م
		١٩٧٨ م	١٩٧٩ م	ألف مليون قدم مكعب
١	أبو ظبي	١٤٤٢	١٤٦٠	٣٨,١
٢	البحرين	٥٤	٥٠	٦١,٠
٣	دبي	٣٦٠	٣٥٤	٢١,٤
٤	إيران	٥٦١٦	٣١٥٢	٨٣٥,٣
٥	العراق	٢٣٩٨	٣٤٠٩	٤٧,٨
٦	فلسطين المحتلة	٧	٣٦	٢,٠
٧	الكويت	١٧٠٢	٢٢٣٧	١٩٠,٥
٨	المنطقة المحايدة	٣٨٣	٥٦٤	-
٩	عمان	٣١٨	٢٩٦	٣٤,٩
١٠	قطر	٤٥٧	٤٩٥	٢٥,١
١١	السعودية	٧٥١٩	٩٢٢٨	١٨٥,٦
١٢	الشارقة	٢٥	١٣	-
١٣	سورية	١٧١	١٦٣	٣١,١
١٤	تركيا	٥٠	٥٥	١٣,٨
١٥	أفغانستان	-	-	٧٦,٩
١٦	ماليزيا	٤٣٦	٤٩٩	٢٧٧,٧
١٧	أندونيسيا	١٦٦٥	١٥٩٨	٧٤٦,٣
١٨	باكستان	٩	١٠	١٦٥,٥
١٩	الجزائر	١٢٢٥	١١٢٢	٢٧٥,٥
٢٠	مصر	٤٧٢	٤٩١	٨٨,٤
٢١	ليبيا	١٨٩٦	٢٠٥٢	١٤٦,٠
٢٢	المغرب	١	١	٢,٨
٢٣	نيجيريا	١٧٠٧	٢٣٢٧	٣٢٧,٦
٢٤	تونس	١٠٠	١٠٠	٨٤,٠
	إجمالي العالم الإسلامي	٢٨٠١٣	٣٠٤١٢	٣٦٧٧,٧
	إجمالي دول العالم	٥٩٠٧٣	٦٢٧١٦	٥٢٣٧٣,٦

احتياطي العالم الإسلامي من البترول

تحتوي دول العالم الإسلامي على أكبر نسبة من احتياطي البترول المخزون في جوف الكرة الأرضية حيث تبلغ ٦٨,٤٪ من إجمالي احتياطي العالم كله وذلك حسب تقديرات عام ١٩٧٩ م ، ولقد أغفلت في هذه النسبة ما تحتويه جمهوريات الاتحاد السوفييتي الإسلامية ، وإقليم سينكيانج بالصين ، إلا أن هناك بعض الحقول الشهيرة والرئيسية بالاتحاد السوفييتي بهذه الجمهوريات ، والتي أمكن معرفة المخزون الاحتياطي من الزيت الخام بها وهي :

- **حقل أريان بباشكيريا** ويبلغ احتياطي الزيت به ٢١٠٠ مليون برميل .
- **حقل نفتياني كاميني** Neftianye Kamini بجمهورية أذربيجان ويبلغ احتياطي الزيت به ٩٢٥ مليون برميل .
- **حقل نوفو الخوفسكوي** Novo-Elkhovskoye بجمهورية تترستان ويبلغ احتياطي الزيت به ١٧٠٠ مليون برميل .
- **حقل روماشكينو** Romashkino وهو يحتوي على أعلى نسبة من احتياطي الزيت بالاتحاد السوفييتي ، والتي تبلغ (١١٢٥٠) مليون برميل ، وهو يقع في أراض إسلامية .

وإذا نحن أخذنا أقل الافتراضات لاحتياطي البترول الموجود بالجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفييتي واعتبرناها ٤٠٪ من احتياطي الاتحاد السوفييتي الذي يصل إلى (٧١٠٠٠) مليون برميل ، فإن **رصيد العالم الإسلامي يصل إلى حوالي ٧٣٪ من إجمالي مخزون العالم الاحتياطي من الزيت الخام وذلك حسب تقديرات عام ١٩٧٩ م ، أي أن العالم الإسلامي وحده يتحكم في ثلاثة أرباع الطاقة المستهلكة غداً ، وهي ثروة هائلة يجب أن نلتفت إليها وأن نوليها عنايتنا ، ولو تم استغلالها على أتم وجه لاستطاع المسلمون في غضون السنوات القليلة القادمة أن يكونوا أقوى الكيانات السياسية والاقتصادية في العالم .**

وتعتبر المملكة العربية السعودية أكبر دولة في العالم تحتوي على أعلى نسبة من مخزون البترول في أراضيها ، حيث تحتوي وحدها على (١٦٥,٧٠٠,٠٠٠,٠٠٠) برميل حسب تقديرات عام ١٩٧٩ م ، أي ما يعادل ٢٥,٢٪ من إجمالي مخزون العالم .

ويأتي **الاتحاد السوفييتي** في المرتبة التالية حيث يبلغ المخزون الاحتياطي للبترول به (٧١٠٠٠) مليون برميل ، ثم تأتي **الكويت** في

المرتبة الثالثة حيث يبلغ احتياطي الزيت بها (٦٦٢٠٠) مليون برميل ، ولقد أغفلنا في التقديرات السابقة مخزون الزيت الموجود **بالمنطقة**

جدول رقم (٤)

احتياطي دول العالم الإسلامي من البترول والغاز الطبيعي

حسب تقديرات يناير (كانون الثاني) ١٩٧٩م :

رقم الدولة الإسلامية	مخزون زيت البترول		مخزون الغاز الطبيعي	
	مليون برميل	مليون طن	بليون متر مكعب	بليون قدم مكعب
١ أبو ظبي	٣٠٠٠٠	٤١١٠	٥٦٦	٢٠٠٠٠
٢ البحرين	٢٥٠	٣٤	١٩٨	٧٠٠٠
٣ دبي	١٣٠٠	١٧٨	٤٥	١٦٠٠
٤ إيران	٥٩٠٠٠	٨٠٨٣	١٤١٥٩	٥٠٠٠٠٠
٥ العراق	٣٢١٠٠	٤٣٩٨	٧٨٧	٢٧٨٠٠
٦ فلسطين المحتلة	١٠	١	٢	٦٠
٧ الكويت	٦٦٢٠٠	٩٠٧٠	٨٨٦	٣١٣٠٠
٨ المنطقة المحايدة	٦٤٨٠	٨٨٨	١٤٢	٥٠٠٠
٩ عمان	٢٥٠٠	٣٤٢	٥٧	٢٠٠٠
١٠ قطر	٤٠٠٠	٥٤٨	١١٣٣	٤٠٠٠٠
١١ السعودية	١٦٥٧٠٠	٢٢٧٠١	٢٦٥٩	٩٣٩٠٠
١٢ الشارقة	١٦	٢	-	-
١٣ سورية	٢٠٨٠	٢٨٥	٤٢	١٥٠٠
١٤ تركيا	٣٦٠	٤٩	١٤	٥٠٠
١٥ الجزائر	٦٣٠٠	٨٦٣	٢٩٧٣	١٠٥٠٠٠
١٦ مصر	٣٢٠٠	٢٧	٦٨	٢٤٠٠
١٧ ليبيا	٢٤٣٠٠	٣٣٢٩	٦٨٥	٢٤٢٠٠
١٨ المغرب	,١	-	,٨	٣٠
١٩ نيجيريا	١٨٢٠٠	٢٤٩٣	١١٨٩	٤٢٠٠٠
٢٠ السودان	-	-	٣	١٠٠
٢١ تونس	٢٣٠٠	٣١٥	١٧٠	٦٠٠٠
٢٢ بنجلاديش	-	-	٢٢٧	٨٠٠٠
٢٣ بوروني	١٤٨٠	٢٠٣	٢٢٧	٨٠٠٠
٢٤ أندونيسيا	١٠٢٠٠	١٣٩٧	٦٨٠	٢٤٠٠٠
٢٥ ماليزيا	٢٨٠٠	٣٨٤	٤٨١	١٧٠٠٠
٢٦ باكستان	٢٠٠	٢٧	٤٥٣	١٦٠٠٠
إجمالي العالم الإسلامي	٤٣٨٩٧٦,١	٦٠١٣٨	٢٧٨٤٦,٨	٩٥٩١٩٠
إجمالي دول العالم	٦٤١٦٠٧,٨٢٥	٨٧٩٠٠	٧٠٨٤٩	٢٥٠٢٠١٠

المحايدة والذي يبلغ (٦٤٨٠) مليون طن ، وكما هو معروف فإن كلا من المملكة العربية السعودية والكويت يتقاسمان إنتاج هذه المنطقة .

أما عن مخزون الغاز الطبيعي فيبلغ ٣٩,٣٪ من إجمالي المخزون العالمي ، وهذه النسبة تنتجها دول العالم الإسلامي ما عدا الجمهوريات الإسلامية بالاتحاد السوفييتي وإقليم سينكيانج بالصين ، والتي إذا أضيفت إلى هذه النسبة سترفعها كثيراً ، وما هو معروف في الأوساط العلمية المختصة بالبترول أن **سيبيريا** تحتوي وحدها على حوالي ٥٥٪ من احتياطي الغاز الطبيعي بالاتحاد السوفييتي ، وباقي احتياطي الغاز يتواجد حول **بحر قزوين** وفي مياهه ، وفي باقي أنحاء الاتحاد السوفييتي ، وإذا قدرنا احتياطي الغاز الطبيعي بالجمهوريات الإسلامية السوفييتية بحوالي ٣٠٪ من إجمالي احتياطي الغاز بالاتحاد السوفييتي ، والذي يعتبر أعلى احتياطي في العالم (٢٥٧٦٨ بليون متر مكعب أي ما يعادل ٩١٠٠٠٠ بليون قدم مكعب) ، لوصل احتياطي الغاز بالعالم الإسلامي إلى ١٢٣٢١٩٠ بليون قدم مكعب ، أي ما يعادل ٤٩٪ من إجمالي احتياطي العالم .

استهلاك البترول في العالم الإسلامي

إذا انتقلنا من الجانب المضيء السابق ، الذي يبشر بالخير الوفير الذي ينتظر العالم الإسلامي لو أحس استغلال هذه الثروات الهائلة الموجودة في أعماق أراضيه ، إلى الجانب الآخر ، الذي يبين مدى استفادة المسلمين من هذه الكنوز والثروات ، وبمعنى آخر : **ما موقف المسلمين بالنسبة لباقي شعوب دول العالم في استهلاك الطاقة التي تنتج من حرق البترول ومركباته المختلفة ؟**

إن الأرقام ــ وما أصدقها ــ تصيب المرء بالذهول ، وهو يرى دولة **كالولايات المتحدة الأمريكية** يبلغ عدد سكانها (٢١٧) مليوناً يستهلكون وحدهم ٣٠٪ من طاقة العالم من البترول ، بينما يبلغ إجمالي استهلاك دول العالم الإسلامي ٥٪ من الطاقة ، وإذا أخذنا كمثال دولة **إيران** التي تعتبر أكثر الدول الإسلامية استهلاكاً للطاقة ، وجدنا أنها تستهلك ٠,٧١٪ من طاقة العالم .

إن ما ذكرناه منذ قليل عن ضآلة استهلاك العالم الإسلامي من البترول ومنتجاته يتساوق مع طاقة التكرير اليومية لمجموع بلدانه ، التي تبلغ ٦,٣٧٪ من إجمالي العالم .

جدول رقم (٥)

استهلاك دول العالم الإسلامي من المنتجات البترولية عام ١٩٧٧م

أكثر الدول استهلاكاً ، بدون الجمهوريات الإسلامية بالاتحاد السوفييتي وإقليم سينكيانج بالصين

الدول الإسلامية	الاستهلاك ١٠٠٠ برميل كل يوم	الدول الإسلامية	الاستهلاك ١٠٠٠ برميل كل يوم
الشرق الأوسط :		آسيا الإسلامية :	
١ ــ البحرين	٥٠	١ ــ أندونيسيا	٢٥٠
٢ ــ إيران	٤٣٥	٢ ــ باكستان	١٢١
٣ ــ العراق	١٥٥	٣ ــ ماليزيا	
		ودول إسلامية أخرى	
٤ ــ فلسطين المحتلة	١٦٠	إفريقيا الإسلامية	٣٨٠
٥ ــ الكويت	٩٥	١ ــ الجزائر	٩٠
٦ ــ لبنان	٥٠	٢ ــ مصر	١٥٠
٧ ــ المنطقة المحايدة	٤٥	٣ ــ ليبيا	٥٦
٨ ــ السعودية	١٨٠	٤ ــ المغرب	٥٠
٩ ــ سورية	٨٠	٥ ــ نيجيريا	١١٥
١٠ ــ تركيا	٣٤٠	٦ ــ السودان	٢٢
١١ ــ اليمن الجنوبية	٢٠	٧ ــ تونس	٣٢
١٢ ــ دول إسلامية أخرى	٢٠	إجمالي استهلاك هذه الدول	٢٨٩٦

جدول رقم (٦)

مقارنة بين بعض الدول الإسلامية والدول الأخرى في استهلاك البترول وإنتاجه

الدولــة	الإنتاج من البترول عام ١٩٧٧م (ألف برميل يومياً)	استهلاك البترول عام ١٩٧٧م (ألف برميل يومياً)	النسبة المئوية للاستهلاك بالنسبة للعالم
الولايات المتحدة	٨٢٤٠	١٧٩٤٥	٢٩,٥٦٪
اليابان	١٠	٥٣٤٥	٨,٨٪
الاتحاد السوفييتي	١٠٩٢٠	٨٠٢٥	١٣,٢٢٪
إيران	٥٦٥٠	٤٣٥	٠,٧١٪
العراق	٢١٥٠	١٥٥	٠,٢٥٪
السعودية	٨٩٥٠	١٨٠	٠,٢٩٦٪
اليمن الجنوبية	-	٢٠	٠,٠٣٣٪
إجمالي دول العالم	٦٠٧٠٠	٦٠٧٠٠	١٠٠٪

إن هذه الأرقام إن دلت على شيء فإنما تدل على مدى ما نحن فيه من تخلف ، ومدى ما وصل إليه العالم الغربي واليابان والولايات المتحدة من المستوى العالي للمعيشة ، والذي لا يتناسب إطلاقاً مع الثروات الموجودة ببلادهم ، فهذه البلاد تبيع الخبرة والمواد اللازمة لصناعة وإنتاج البترول بضعف التكاليف التي تبيعها للزبائن في بلادها .

إن الأرقام السابقة والمبنية بالجداول المرفقة إن نمت على شيء ، فإنما تنم عن التناقض الكبير في عالم إسلامي مترامي الأطراف يمثل عدد سكانه ١٦,٤٪ من سكان العالم ــ حسب تقديرات عام ١٩٧٥م ــ وينتجون ما يزيد عن ٥٦٪ من خام البترول وتحتوي أراضيهم على حوالي ٧٣٪ من احتياطيه ، وعلى حوالي نصف احتياطي العالم من الغاز الطبيعي ، بينما يستهلكون أقل قدر من الطاقة ، ويعيش معظم شعوبه في فقر ، وجوع ومرض .

وإذا كان **جون كونللي حاكم ولاية تكساس السابق قد قال : « إن نفط منطقة الشرق الأوسط يمثل دماء الحياة بالنسبة للمدنية الغربية »** ، فإنني أتمنى أن يكون نفط العالم الإسلامي كله ، يمثل الدماء التي تغذي النهضة الإسلامية الكبرى ، والتي يجب علينا أن نسعى لها جاهدين متحدين من الآن ، مع إطلالة القرن الهجري الجديد .

أهم المراجع

١ ــ International Petroleum Encyclopedia; Vol. 12, 1979

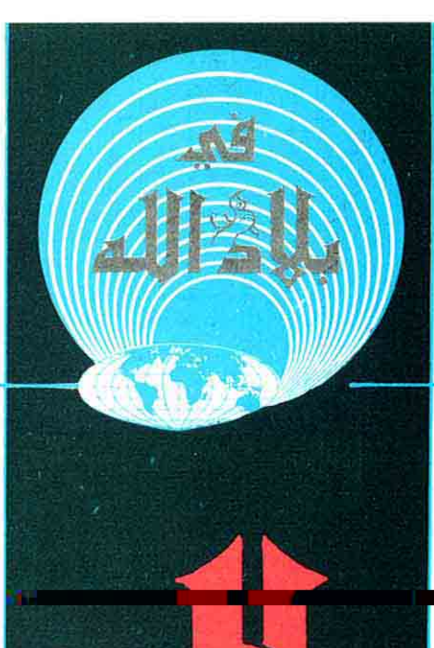
٢ ــ World Oil, October 1979, Pages 107-111

٣ ــ Oil & Gas Journal, September 1979

٤ ــ Modern Petroleum, Berger & Anderson, U. S. A.

٥ ــ مجلة (نفط العرب) ، العدد (١٥) ، فبراير (شباط) ١٩٨٠م .

٦ ــ جغرافية العالم الإسلامي ، دكتور محمود أبو سيف ، جامعة المنوفية ــ مصر .



بلاد الشمس المشرقة

بقلم :
د. عبد اللطيف أبو السعود

تتكون بلاد اليابان من أربع جزر رئيسية (هونشو ، هوكايدو ، كيوشو ، شيكوكو) بالإضافة إلى (٣,٥٠٠) جزيرة أصغر مساحة ، وتمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي . ويقع الطرف الشمالي لجزيرة (هوكايدو) على نفس خط العرض الذي يمر بمدينتي **مونتريال والبندقية** ، بينما يقع الطرف الجنوبي لجزيرة (كيوشو) على نفس خط العرض الذي تقع عليه **نيو أورليانز والإسكندرية** ، والمساحة الكلية لهذه الجزر صغيرة نسبياً ، وتقارب مساحة ولاية كاليفورنيا الأميريكية .



★ منظر طبيعي فريد ★

إن سواحل اليابان طويلة للغاية . وقد حبا الله اليابان **بالمنتجات البحرية العديدة ، والمناظر الطبيعية الخلابة** ، بما في ذلك بحر اليابان الداخلي ، والشواطئ الجميلة ، والجبال ذوات القمم العالية ، والتكوينات الصخرية العجيبة .

واليابان بلاد جبلية ، تكثر فيها الجبال البركانية ، ومن أشهرها جبل **فوجي** الذي يشتهر بجماله الأخاذ . وهناك الينابيع الطبيعية الساخنة التي تنتظر زيارة أبناء المدينة والسياح الأجانب .



★ الخريف في اليابان ★

إن مناظر اليابان الطبيعية ليست في ضخامة وعظمة **وادي جراند كانيون الأميريكي ،**

وجبال الألب السويسرية ، إلا أن اليابان غنية بالمناظر الطبيعية الجميلة صغيرة الحجم .

وتقع معظم بلاد اليابان في المنطقة المعتدلة ، ودرجة الحرارة فيها ليست شديدة كما هو الحال في بلاد جنوب آسيا ، إلا أن الجو فيها **يتميز بالرطوبة العالية والأمطار الغزيرة** .

تاريخ اليابان

يعتبر الجنس الياباني الحالي **مزيجاً من أجناس جنوب آسيا** ، والجنس الصيني القديم ، والأجناس الشمالية ، وبعض القبائل غير الأصيلة .

وتدل الكشوف الأثرية على أن اليابان كانت مسكونة **ابتداء من العصر الحجري المتأخر** . والمعتقد أن أول دولة سياسية تكونت في القرن الرابع ، وفي القرن السابع أصبحت دولة قوية . وفي أثناء القرون الستة التالية أنتج اليابانيون القدماء أدباً وفناً راقيين ، وذلك بعد أن هضموا الثقافة الصينية . ثم تلا ذلك ستة قرون من الاقطاع .

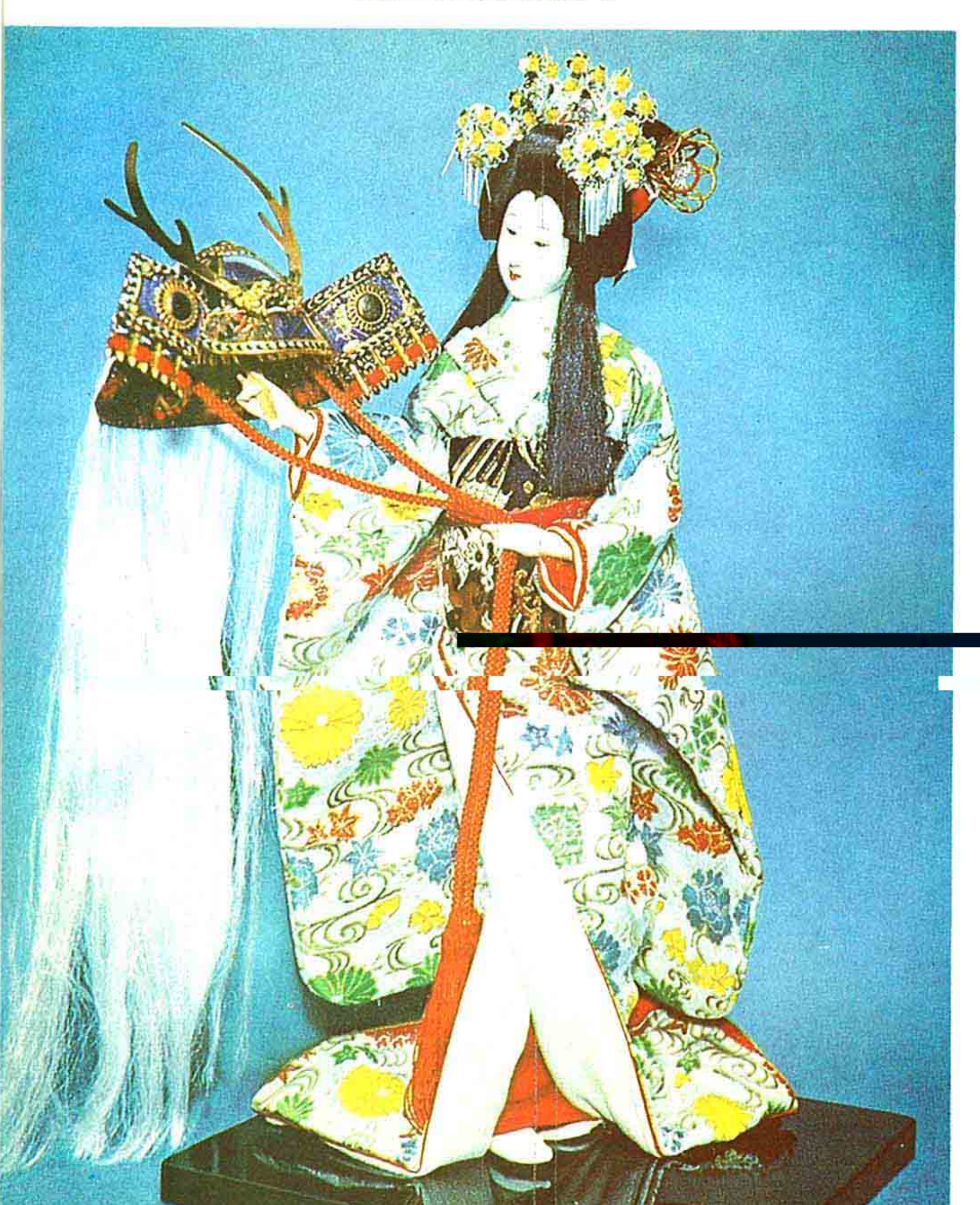
وبعد ما يسمى ب « **استعادة الميجي** » في عام ١٨٦٨ م ، تطورت اليابان إلى دولة حديثة **تحكمها ملكية دستورية** . وكان التقدم الاقتصادي والثقافي سريعاً في ظل هذا النظام ، ثم تولى العسكريون مقاليد الحكم في الثلاثينات من القرن العشرين ، وقد

ودخلهم الكلي بعدد المستخدمين ودخلهم الكلي ، لوجدنا أن هذه النسبة تزيد كثيراً عن مثيلتها في الدول الغربية المتقدمة . والتضخم السكاني الحالي في المناطق الزراعية ، الذي يزيد من حجمه تلك الزيادة الطبيعية في عدد السكان والتي تبلغ حوالي مليون نسمة في العام ، يسبب مشكلة خطيرة .

إن العادات والتقاليد التي انتقلت من عهود الاقطاع ، والتي سادت في اليابان قبل الحرب ، ما زالت تؤثر في الحياة الاجتماعية من عدة نواح . ويجد الأجانب ، بلا شك ، شيئاً غريباً في العلاقات الإنسانية في العائلات والمنظمات ، وفي الأفراح والجنازات ، وفي التجمعات الاجتماعية . ولكن العادات والقيم القديمة تستبدل تدريجياً ببدائل ترتكز على القيم الديمقراطية والشخصية .

إن اليابان اليوم مزيج من القديم والحديث ، ومن الثقافة والحضارة اليابانية التقليدية ، ومثيلاتها الأوروبية والأميركية .

★ عروس للزينة ترتدي الثياب التقليدية ★



أدى هذا إلى هزيمة اليابان في حرب الباسفيك .

وبعد الحرب العالمية الثانية ، عادت الديمقراطية إلى اليابان .

الشعب الياباني

تجاوز عدد سكان اليابان **١٠٦ ملايين نسمة** . ويعمل حوالي ٤٠ ٪ من مجموع القوى العاملة في الزراعة ، ويعمل حوالي ٢٠ ٪ في الصناعة ، ولو قارنا عدد الملاك المستقلين

العقيدة

كثيراً ما نسمع أن أهل اليابان **أقل تمسكاً بالدين من غيرهم من الناس** في مختلف بلاد العالم . ففي بلاد اليابان ، لا تجد الديانات في نفوس الناس ما تجده في غيرها من البلدان .

وهناك ثلاث ديانات رئيسية في اليابان : **الشينتو ، والبوذية ، والمسيحية .**

والشينتو ديانة يابانية نوعية ، تعتمد على **تقديس الأجداد ، وآلهة الطبيعة ، والمعابد** التي تنتشر في أنحاء البلاد خاصة بهذه الديانة .

وللبوذية تاريخ طويل في اليابان منذ انتقالها من الصين في القرن السادس . وفي اليابان حوالي ألفي كنيسة ، وما يقرب من أربعمائة ألف مسيحي .

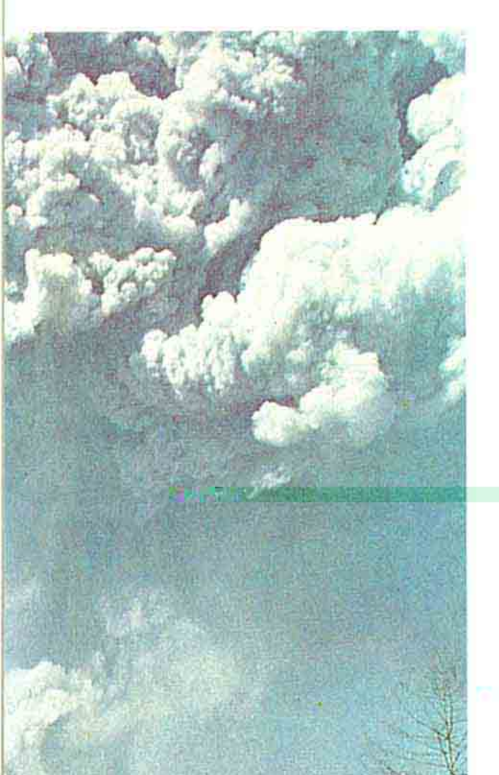
اللغة

إن اللغة اليابانية المكتوبة ما هي إلا **مزيج من الحروف الصينية** ، التي انتقلت **إلى اليابان من الصين القديمة** ، وصورتين لكل من الثمانية وأربعين حرفاً صوتياً وضعها اليابانيون . إلا أن الفرق ملموس بين لغة الصين الحالية ولغة اليابان .

وتعتبر اللغة اليابانية لغة **يصعب اتقانها . وبالرغم من أن نطقها سهل ، إلا أن قواعد اللغة اليابانية تختلف اختلافاً أساسياً عن اللغات الأخرى .**

وتزخر هذه اللغة بالتعبيرات التي ترمز إلى

★ رياضة الجودو ★



★ بركان ثائر ★

الخاصية الـمميزة التقليدية للشعب اليـاباني ، ألا وهـي **الاهتمام الفـائق بآداب المعـاملة ، والاحترام المتبادل** ، الأمر الذي يضـاف إلى صعوبة هـذه اللغة ، كما أن الفروق الجزئية بين الألفاظ الخاصة بكل من الجنسين تكون مـلامح خاصة باللغة اليابانية .

كما أن الشعـب اليـاباني يحـب اسـتخدام كلمات وتعبيرات غامضة المعنى ، الأمر الـذي يضاف إلى صعوبـة تـرجمة اللغـة اليـابانية إلى اللغات الأخرى .

البنية السياسية

وطبقاً للدستور الجديد الذي بدأ تنفيـذه في عـام ١٩٤٧م ، يتـكون (**الـديت** Diet) مـن مجلسين : **مجلس مـمثلي الشـعب ، ومجلس الشـورى . والإمـبراطور رمـز للـدولة ولوحدة الأمة .**

ويعين (الديت) رئيس الـوزراء . وتتـكون الأجهزة التنفيذية مـن مـكتب رئيس الـوزراء ، وأحد عشر وزيراً . ويضـم مكتب رئيس الـوزراء مجلس البـوليس ، ومجلس الـدفاع القـومي ، ومجلس التخـطيط الاقتصـادي ، وغـيرها . أمـا الـوزارات فهـي وزارة العـدل ، والشـؤون الخـارجية ، والماليـة ، والتعلـيم ، والـرفاهية ، والـزراعة والغـابات ، والتجـارة الـدولية والصـناعة ، والنقـل ، والخـدمات الـبريدية ، والعمل والبناء .

وتشمل الأجهزة القضائية المحكمة العليـا ، ومحاكم متعددة من درجات أقل ، وهي مستقلة تماماً عن الفروع التشريعية والتنفيذية للحكومة .


★ الايكابانا ــ فن تنسيق الزهور ★





★ درس في الجغرافيا ★

★ ساحل نيشينان ، ومنظر الصخور التي تآكلت بفعل مياه البحر ★

والحزبان السياسيان الرئيسيان هما **حزب الديمقراطيين الأحرار ، والاشتراكيين . أما الحزب الشيوعي فهو حزب ضعيف للغاية .**

وقد قسمت البلاد إلى ٤٦ قسماً إدارياً لكل منها حكومته المحلية ، وحاكم ينتخبه الجمهور .

التعليم

يتكون نظام التعليم الياباني من المدارس الابتدائية (٦ أعوام) ، والمدارس المتوسطة (٣ أعوام) ، والمدارس العليا (٣ أعوام) ، والجامعة (٤ أعوام) ، ودراسات عليا (عامين) . وهناك كليات تمتد الدراسة فيها لفترة عامين .

وتمتد الدراسة في كليات الطب إلى ٦ أعوام ، تليها دراسات عليا لأربعة أعوام لدرجة الدكتوراه .

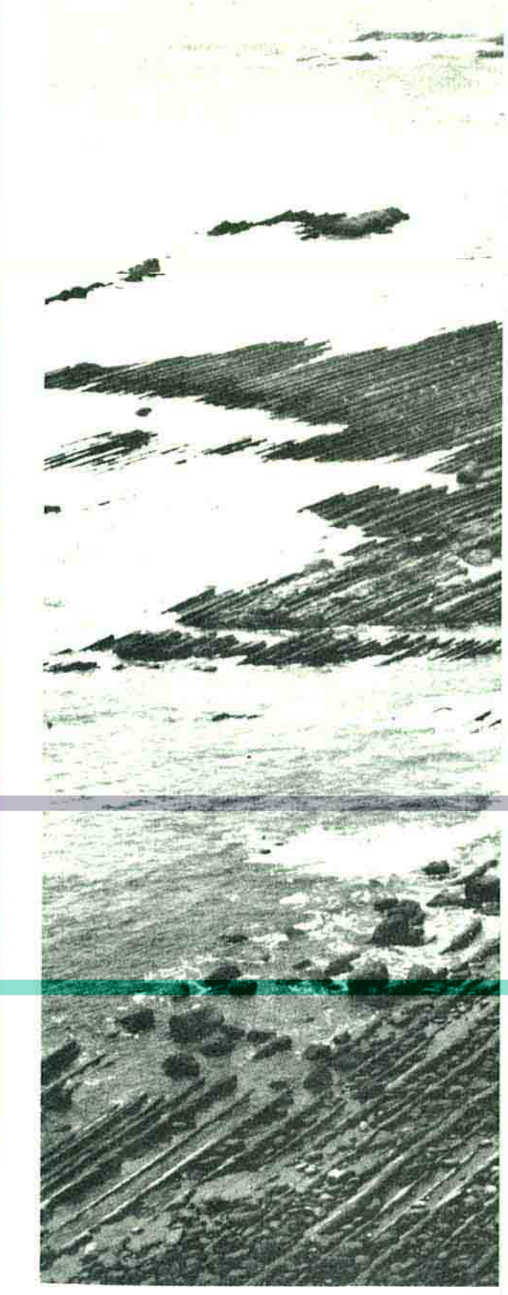
ويشمل التعليم الالزامي المدارس الابتدائية والمتوسطة . ويزيد عدد المدارس الابتدائية في اليابان عن **٢٢ ألف مدرسة** ، تضم أكثر من **١١ مليوناً من التلاميذ .**

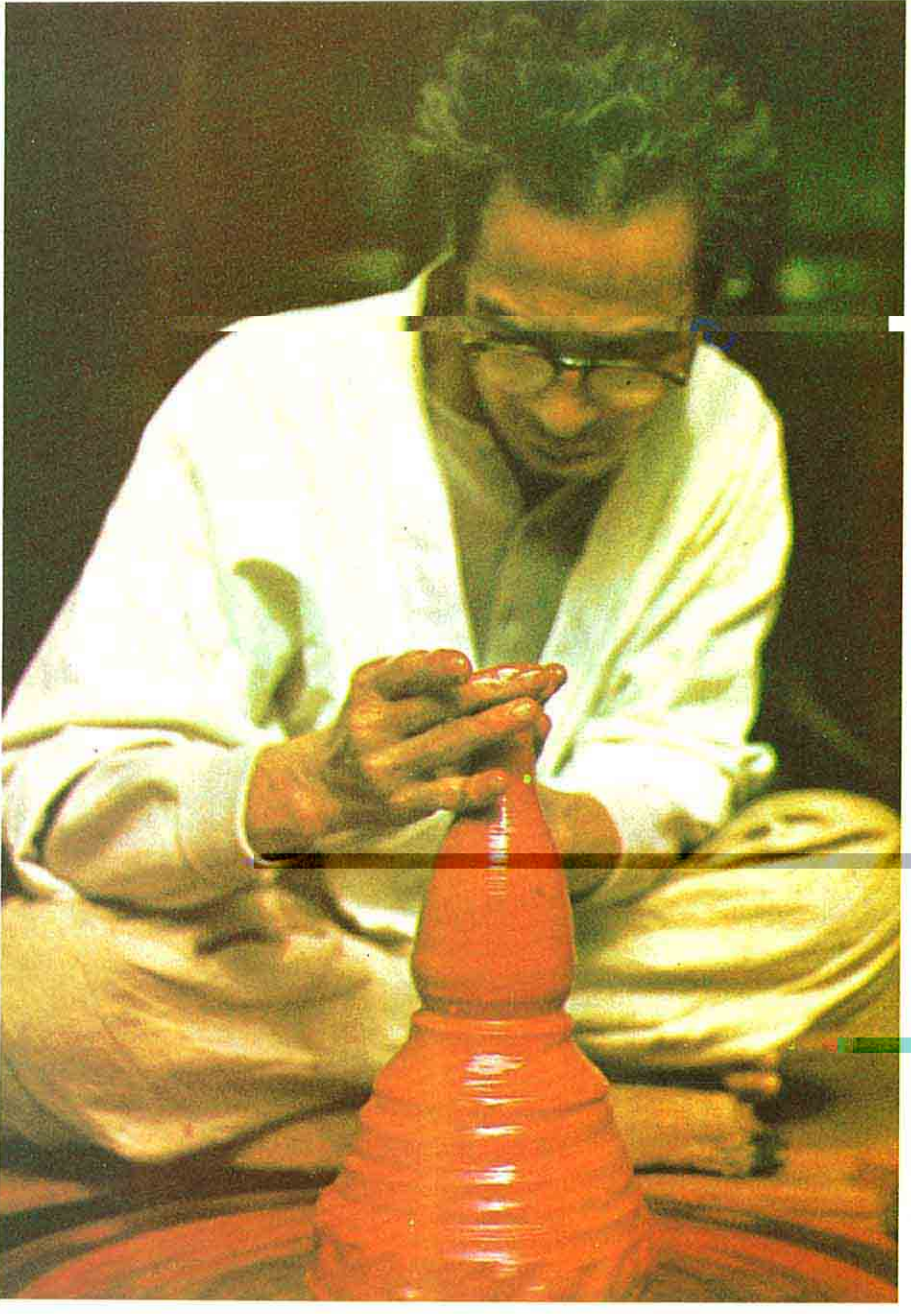
وتكاد تكون الأمية غير معروفة في اليابان ، ويرجع ذلك إلى **نسبة انتظام التلاميذ في الدراسة** ، التي توصف بأنها عالية للغاية .

وتعد اليابان من الدول المتقدمة في التعليم الجامعي .

الاسكان

إن عدداً كبيراً من المباني الحكومية والمكاتب





★ صانع الأواني الخزفية ★

العامة ذات إطار حديدي ، أو مبنية بالأسمنت المسلح . إلا أن كثيراً من أهل اليابان يعيشون في مساكن خشبية .

وعندما تدخل أحد هذه المساكن الخشبية اليابانية الطراز ، **فإن عليك أن تخلع نعليك** ، لأن أرضية المسكن مغطاة بسجاد مصنوع من القش وبعض الألياف النباتية .

وهذه المساكن مجهزة بالأبواب المنزلقة ، وستائر من الخشب أو الورق ، تستخدم في تقسيم الغرف .. وفي ركن غرفة الضيوف اليابانية الطراز ، تجد المكان **مزيناً بالزهور ، وبصورة زيتية** .. وتعمل الحكومات المركزية والمحلية على حل مشكلة المساكن ببناء العمارات السكنية .

الملابس

يمكن تقسيم الملابس اليابانية إلى نوعين : **الملابس الغربية الطراز ، والطراز الياباني التقليدي المعروف بالكيمونو** .

ويلبس معظم اليابانيين الملابس ذات الطراز الأجنبي ، إلا أن السيدات المتقدمات في السن يفضلن ارتداء الكيمونو .

وترتدي السيدات مع الكيمونو ، نعالا خاصة مميزة ، وجوارب خاصة ، كما يصففن شعورهن بطريقة يابانية قديمة ومميزة .

الغذاء

تعتمد الوجبة اليابانية أساساً على **الأرز** .. وبينما يستخدم الأوروبيون والأميريكيون الشوك والسكاكين لتناول الغذاء ، نجد أهل اليابان يأكلون الأرز **من إناء خاص يسمى بالتشاوان ، بدلا من الطبق ، بمساعدة**

★ باجودا من خمسة أدوار ★

زوج من العصي الخشبية الصغيرة التي تسمى (هاشي) . ومن بين الأطباق المكملة العديدة ، نجد أن حساء فول الصويا **(ميسوشيرو)** من الأطباق المحببة إلى الكثيرين .

أما الطبق المسمى **(سوكياكي)** والذي يجهز بطهي شرائح لحم البقر مع الخضروات فإنه **يزداد شعبية بين الأجانب** .

ومن الأطباق اليابانية الأصيلة ذلك المسمى **(ساشيمي)** ، **ويتكون من شرائح السمك النيء الذي يقدم على طبق صغير لفتح الشهية** . كما أن هناك طبق **(تمبورا)** ، وهو عبارة عن مقليات من طراز ياباني يلقى إقبالا مذهلاً في المعارض الدولية .

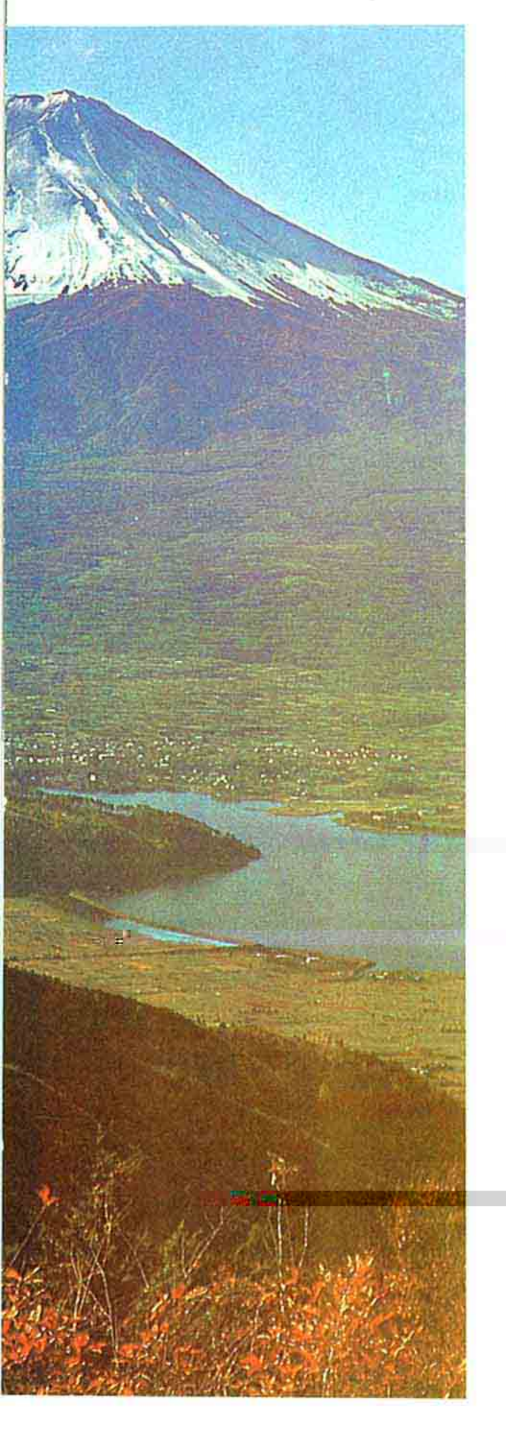
وسائل الإعلام

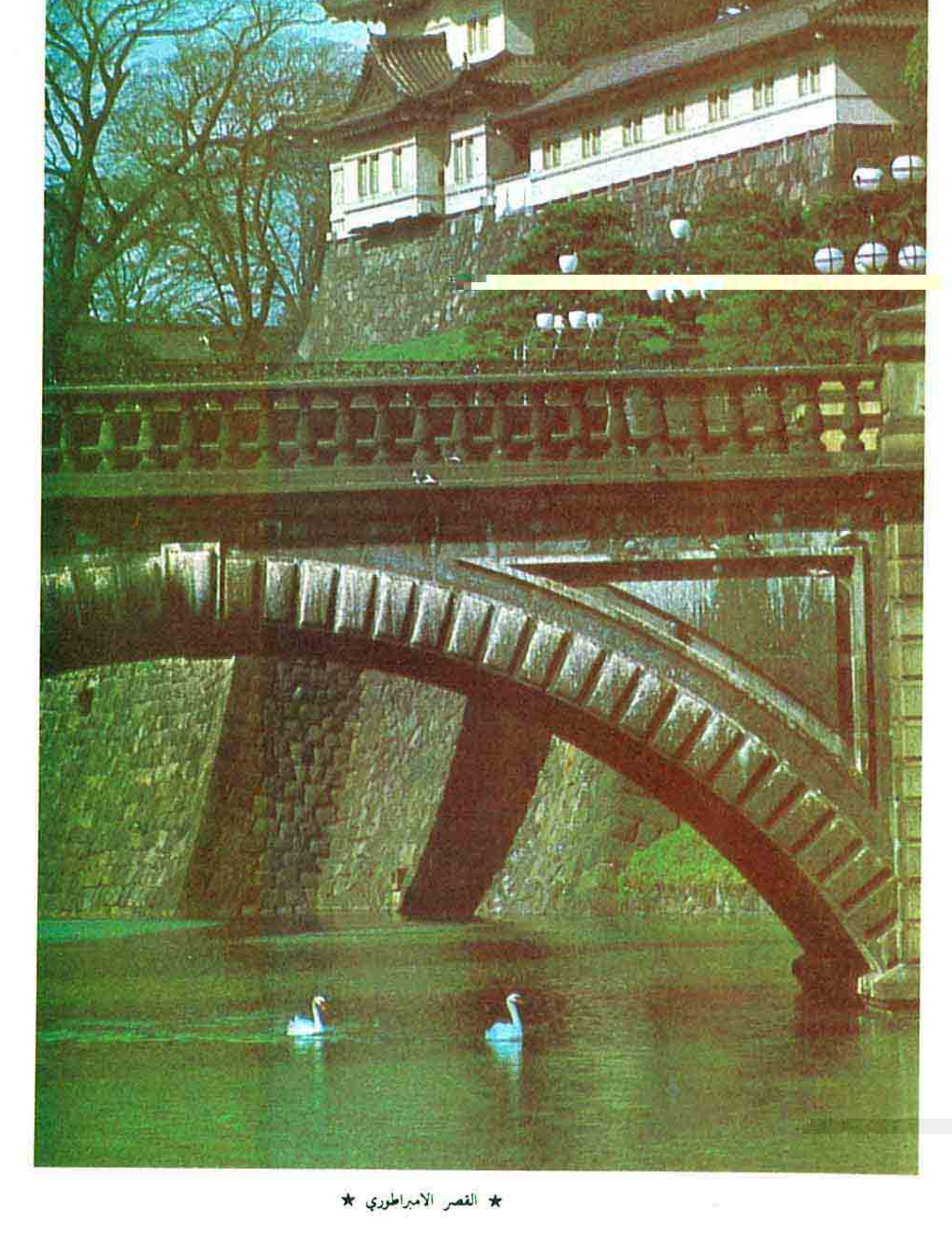
يزيد توزيع الصحف اليومية في اليابان عن **٥٣ مليون نسخة** ، وبذلك تكون **اليابان الدولة الثانية في العالم من حيث التوزيع الكلي للصحف اليومية** .

ومن بين الصحف اليومية واسعة الانتشار نذكر صحف « **أساهي** » ، « **ماينيشي** » ، « **يومي أورو** » . وهناك صحف اقتصادية ، وصحف تصدر بالإنجليزية .

وفي اليابان عدة نظم للإرسال الإذاعي ، منها هيئة الإذاعة اليابانية ، وهي منظمة عامة تملك شبكة للإرسال تغطي جميع أنحاء البلاد ، وتحصل على دخلها عن طريق **رسم**

★ جبل فوجي ★





★ القصر الامبراطوري ★

الاستماع المفروض على مالكي أجهزة الراديو .

وهناك أكثر من **مائة محطة إذاعية** خاصة تعتمد على عائد الإعلان الإذاعي .

وتعد اليابان الدولة الثالثة في العالم من حيث عدد أجهزة الراديو المستخدمة في المنازل .

أما الإذاعة المرئية فتقوم بها هيئة إذاعة اليابان وعدد من الشركات الخاصة ، وعدد أجهزة الاستقبال في ازدياد مستمر .

وفي مدينة طوكيو عاصمة اليابان ، تجد ست محطات إرسال للإذاعة المسموعة ، وخمس محطات للإذاعة المرئية .





الرياضة

يمارس أهل اليابان جميع أنواع الرياضة ، وتوجد ملاعب **الجولف** في ضواحي المدن الكبيرة . وهناك عدد كبير من نوادي **لعبة التنس** ، كما أن لبعض الشركات الكبيرة [illegible] **الانزلاق على الجليد** عديدة في المناطق الجبلية . وهناك فرق عديدة **لكرة القدم** .

ومن بين الرياضات اليابانية المميزة نذكر هنا **لعبة «سومو» ولعبة «جودو»** .

وتشبه لعبة «سومو» **المصارعة** ، واللاعب الذي يدفع منافسه خارج الحلبة المستديرة أو يطرحه أرضاً يكون هو الفائز .

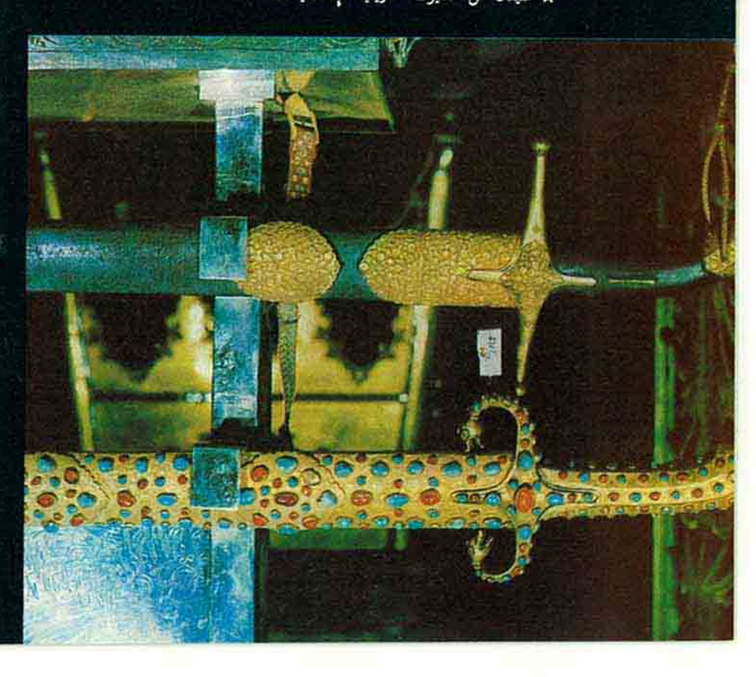
كما أن **رياضة الجودو تشبه المصارعة** ، ويرتدي اللاعبون ملابس [illegible] هذه الرياضة في عدد من البلاد الأجنبية .

من متاحف العالم

متحف طوباقي في اسطنبول

★ القرآن الكريم المخطوط على جلد غزال ★

★ سيفان من السيوف التاريخية الإسلامية ★



يعتبر «متحف طوباقي» في مدينة إسطنبول في تركيا واحداً من أكبر المتاحف الموجودة في العالم، وهو يقع في الجزء القديم من مدينة إسطنبول ويرجع تاريخ بنائه إلى عام ١٤٧٨م، حيث كان في السابق قصراً خاصاً لإقامة السلطان محمد الفاتح بعد فتحه لمدينة إسطنبول.

ويتألف القصر من عدة أجنحة، كل جناح يمثل مسكناً مستقلاً، ولكل جناح حديقته الخاصة، وتبلغ مساحة القصر ٨٢,٠٠٠ متر مربع، محاطة بسور نصفه محاذ للبحر، ولسور القصر سبعة أبواب.. أربعة منها في اتجاه المدينة، وثلاثة تطل على البحر، وأحد تلك الأبواب يسمى «**طوباقي**» لذلك سمي القصر **بقصر طوباقي**، وأطلق

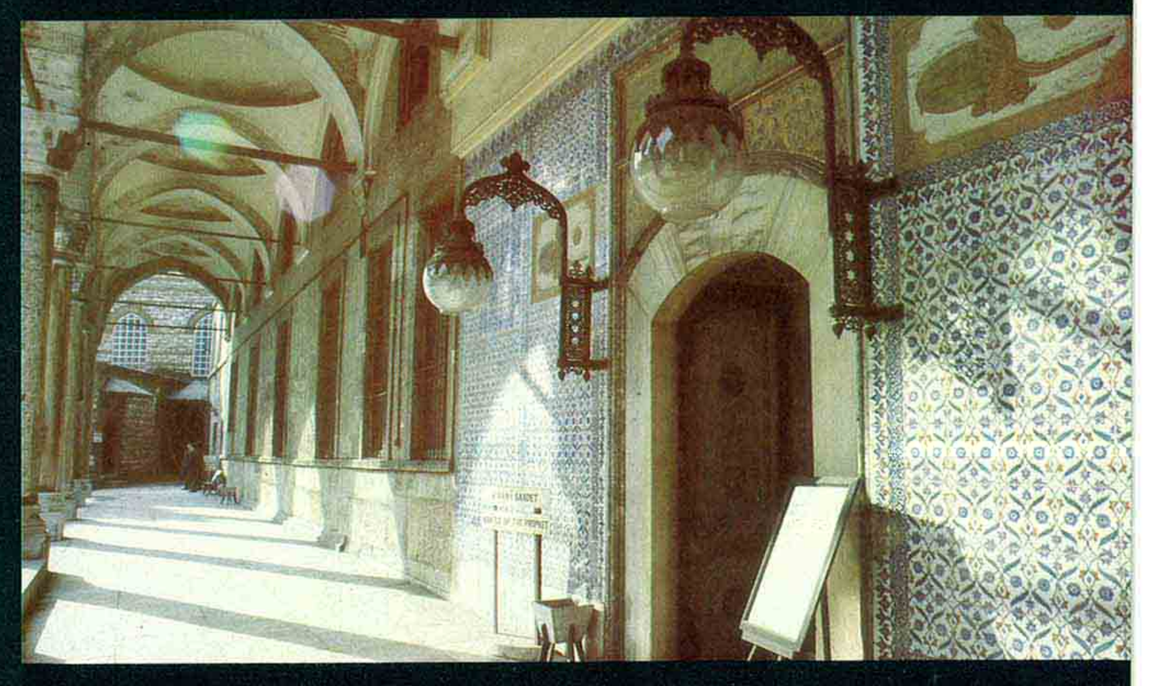
الثالث عشر حتى الثامن عشر الميلادي .

●● بيت بغداد :

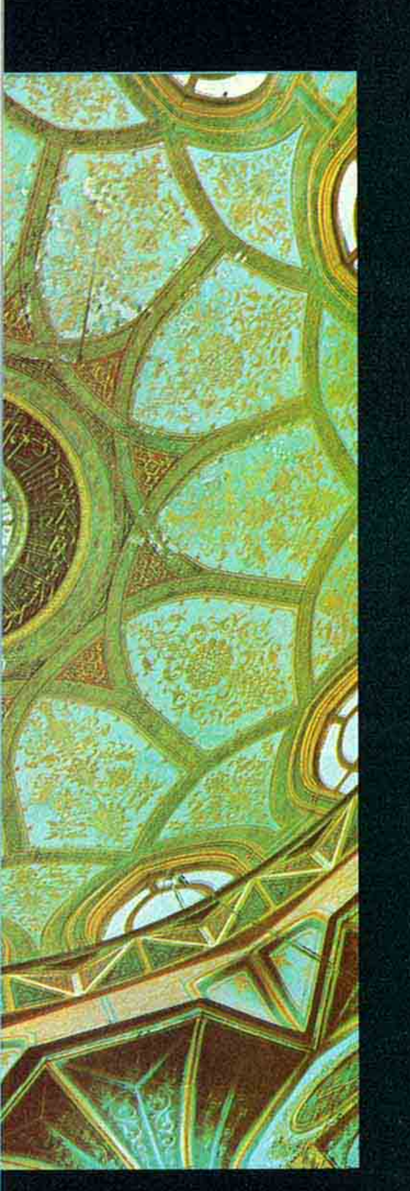
بني في عهد السلطان **مراد الرابع** بمناسبة زيارته لمدينة **بغداد** ، وقد زينت جدرانه وسقوفه بالفسيفساء والعاج ، وطليت أبوابه ونوافذه وخزائنه بعرق اللؤلؤ مما جعله غاية في الإبداع .



▲ ★ جانب من أحد أقسام المتحف ★



★ دهليز غرفة السعادة والأعمدة الرخامية ★ ▼



الاسم نفسه فيما بعد على المتحف .

وقد بقي القصر حتى عام [illegible] العثمانيين ومركزاً لإدارة شؤون دولتهم ، فشهد مجموعة من الاحتفالات والأحداث الهامة لتلك الفترة .

أقسام المتحف

ينقسم المتحف إلى عدة أقسام ، كل قسم منها يحتوي على مجموعة من الآثار .. وهذه الأقسام هي :

●● غرفة الأرز :

وهي قاعة عروش السلاطين العثمانيين المخصصة لاستقبال سفراء الدول والشخصيات الهامة من رجالات الدولة العثمانية .

●● غرفة النفائس :

وتحتوي على كل ثمين وغال من زمن السلاطين العثمانيين ، نذكر منها على سبيل المثال لؤلؤة كبيرة أهديت للسلطان **عبد العزيز** من الهند عام ١٨٧٦ م ، وساعة ذهبية صنعت في باريس عام ١٧٧٥ م .

●● قاعة النحت والمخطوطات :

وقد بنيت هذه القاعة في عهد السلطان **عبد المجيد** عام ١٨٥٨ م ، وتحتوي على نماذج من النحت والمخطوطات من القرن

●● مكتبة أحمد الثالث :

تقع في وسط الحديقة الثالثة للقصر ، أسست في عهد السلطان **أحمد الثالث** في القرن الثالث عشر الميلادي ، وتحتوي على جميع مخطوطات القصر .

●● قاعة السلاح :

وهي القاعة التي تحتوي على مختلف الأسلحة والدروع والخوذات ، وفيها نماذج من الأسلحة لأشهر المحاربين منذ القرن الأول الهجري حتى العصر العثماني ، وتعلو هذه القاعة ثماني قباب .

●● جناح الحريم :

وهو السكن الخاص بسلاطين العثمانيين منذ عهد السلطان **مراد الثالث** ؛ تبلغ مساحته حوالي (٦٧٢٠) متراً مربعاً ، وتتراوح مبانيه ما بين ٣ : ٤ طوابق ، تحتوي على (٢٥٩) غرفة ، و ٢٦ حماماً ، و ١٢ غرفة للخزين ، و ٨ حمامات تركية ، وقسم خاص بالتمريض مع غرفتين للاستجمام ،

هذا بالإضافة إلى ٤ مطابخ و ٦ غرف لتجفيف اللحوم ، وحمام للسباحة . ويُبرز الجناح روعة الفن المعماري في تلك الفترة حيث زينت جدرانه بالفسيفساء ، وسقوفه على شكل قباب .

●● قاعة الملابس :

تضم الملابس التي كانت لأشهر السلاطين العثمانيين ابتداء من السلطان **محمد الفاتح** حتى السلطان **مراد السابع** ، ويوجد في هذه القاعة العديد من القفاطين ، من بينها قفطانين للسلطان محمد الفاتح أحدهما موشى بالذهب ، وآخر موشى بالفضة وهما مصنوعان من أفخم أنواع الحرير . **وتضم القاعة**

★ رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس ★



★ مفتاحا الكعبة المصنوعان من الفضة ★



★ غرفة السعادة والقبة ★

أيضاً قفطانه الذي كان يرتديه حين فتح مدينة إسطنبول والذي قيل بأنه ارتداه لمدة (٥٣) يوماً حيث كان على رأس الجيوش ليل نهار، وقفطانه الذي كان يرتديه حين توفي.

وبقياس ملابس السلطان محمد الفاتح يبدو أن طوله كان يبلغ ١,٧٠ سم إلى جانب أنه كان نحيفاً معتدل البنية.

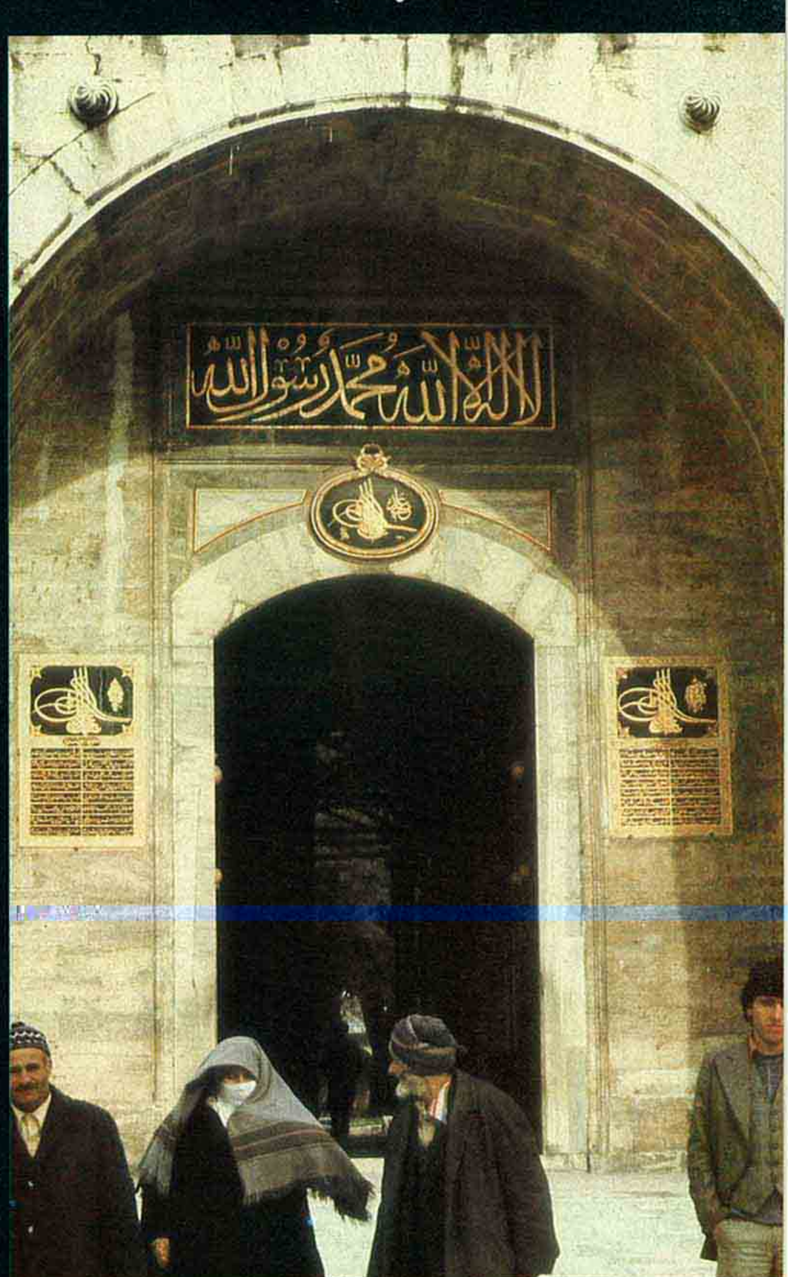
●● الجناح الإسلامي:

ويسمى بجناح (**الأمانات المقدسة**) ففي القرن الخامس عشر الميلادي أمر السلطان **محمد الفاتح** بإنشاء قسم خاص للأمانات المقدسة. في هذا القسم من القصر كان السلطان يقوم بإدارة أمور الدولة اليومية، ويستقبل الزائرين، ويقبل البيعات الخاصة.

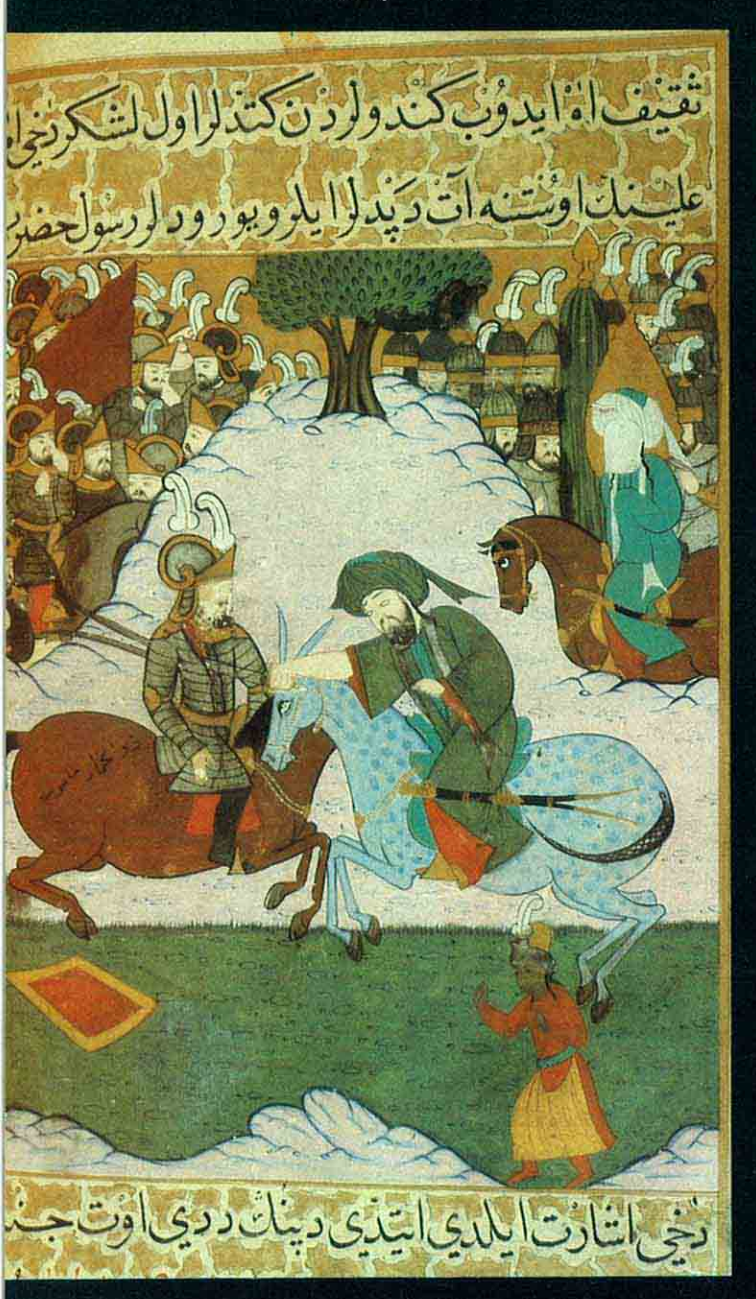
ولم يحتفظ هذا الجناح من القصر بشكله الأصلي فقد تأثر بفعل الزلازل والأحداث التي مرت عليه، وقد عُمل على ترميمه أكثر من مرة. وعندما فتح السلطان **سليم الأول** مصر أمر بإرسال الآثار الإسلامية التي يجدها الباحثون إلى قصر طوبقاي. وقد حرص السلطان **أحمد** (١٦٠٧ – ١٦١٧م) أن توضع جميع الآثار الإسلامية في هذا الجناح، إلى أن أمر السلطان **محمد الثاني** بتخصيص مكان للآثار الإسلامية، أطلق عليه اسم (**الأمانات المقدسة**).

وأول ما يشاهد الزائر في هذه القاعة اللوحة التي كتب عليها «**لا إله إلا الله محمد رسول الله**» وهي محفوفة بالماس كتبت بخط يد السلطان أحمد الثالث الذي اشتهر بجودة خطه.

وفي القاعة إطار من الذهب



★ مدخل المتحف ★



★ إحدى اللوحات التي تزين بعض جدران المتحف ★

الخالص يزن (١٤,٦٠٠) غرام كان حول الحجر الأسود ، ودرفة قديمة لباب الكعبة المشرفة كانت قد استبدلت بأخرى جديدة عام ١٥٩٢ م ، ومزاريب من الذهب والفضة ومفتاحان من الفضة كانت قد صنعت للكعبة المشرفة ، إلى جانب قطع من ثوبها الشريف .

وهناك نسخة من المصحف الشريف كتبت على جلد الغزال عليها بعض بقع من الدم يقال بأنها النسخة التي كان يقرأ فيها الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه حينما استشهد . كذلك يشاهد الزائر في هذه القاعة ختماً من العقيق كتب عليه « **محمد رسول الله** » .

وفي ناحية أخرى من القاعة يوجد (٢١) سيفاً أثرياً لأشهر المحاربين المسلمين وهي موضوعة في أغماد مرصعة بالأحجار الكريمة التي صنعت لها في عصر العثمانيين ، **ويقال بأن من بين تلك السيوف سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسيوف الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم** .

ومن بين تلك الآثار الموجودة في متحف طوبقاي رسالة النبي صلى الله عليه وسلم التي بعث بها إلى المقوقس ملك الأقباط داعياً إياه إلى الإسلام ، وقد وضعت في إطار من الذهب ووضع إلى جانب الرسالة النص الكامل الذي تضمنته الرسالة وذلك لأن أجزاء منها قد تقادم عليها الزمن .

هذه لمحة سريعة عن هذا المتحف الزاخر بكثير من الآثار الإسلامية والتاريخية التي لا توجد في كثير من متاحف العالم .

والحديث عنه في شمول يتطلب صفحات طويلة تتناسب وصفحات التاريخ الكبيرة والهامة التي تختصر آثارها داخل غرفه العديدة . . . وقد لقي المتحف عناية كبيرة من حيث التنسيق من ناحية ، والكتابة عنه من ناحية أخرى ، فقد صدرت مجموعة من الكتب والنشرات المزودة بالصور ، مما يجعل الإحاطة بما يحتويه في هذه السطور أمراً ليس سهلاً .

ويرتاد المتحف الآن الزوار في كل عام الذين يأتون من كل بلاد العالم . . وهو من المعالم الهامة والبارزة التي تعتز بها مدينة إسطنبول .





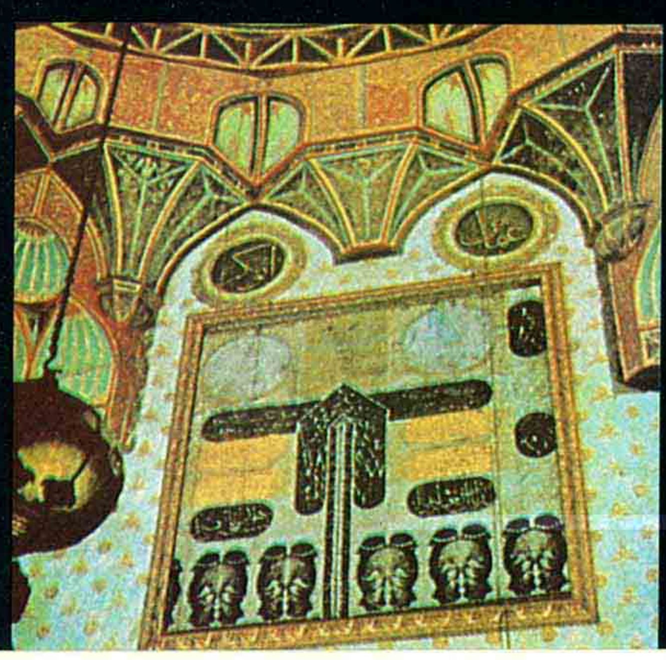


★ إحدى اللوحات التي تعكس تطور الخط العربي وتقدمه ★

★ لوحة كلمة التوحيد ويراها الزائر معلقة على الجدار ★



★ قطعة من الستائر المأخوذة من غطاء الكعبة ★





الحسيني





الشيخ محمد الغزالي



في هذا الحوار يحدثنا الشيخ محمد الغزالي عن الدين الإسلامي وقضاياه المعاصرة ... عن المساواة والعدل الاجتماعي ، وما للمرأة المسلمة من حقوق وما عليها من واجبات ، وكيف يمكن للعرب أن يصلوا إلى قوتهم ومجدهم القديم .

والشيخ محمد الغزالي ، أحد الذين كرَّسوا حياتهم من أجل الدين والعقيدة ، مجتهداً دؤوباً .. وله كثير من المؤلفات والبحوث الإسلامية ، بالإضافة إلى أنه رئيس لقسم الدعوة وأصول الدين بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة .

إعداد :
عاطف مصطفى

الأمة الإسلامية في وضع يفرض عليها اليقظة

المساواة والعدل الاجتماعي في الإسلام

●● الإسلام دين عالج كل قضايا العصر ، مليء بالجوانب المشرقة التي تتصل بالإنسان ، وتبحث أمور حياته ، نود أن تحدثنا عن المساواة والعدل الاجتماعي في الإسلام .

★ يتفق الباحثون جميعاً على أن الإسلام عبادات ومعاملات .. إيمان ونظام ، أو بتعبير العصر .. دين ودولة .

والدولة أو النظام في الإسلام تخدم النصوص والقواعد والقيم التي تقررت في هذا الدين العظيم .

وقد بدأ الإسلام في **مكة المكرمة** ، فقرن بين الإيمان ، وبين إطعام الجائعين ، ومواساة المحرومين ، فمن أوائل ما نزل نقرأ قوله تعالى في وصف من يستحق العذاب **﴿ إنه كان لا يؤمن بالله العظيم . ولا يحض على طعام المسكين ﴾** . وكذلك قوله جل شأنه **﴿ أرأيت الذي يكذب بالدين . فذلك الذي يدع اليتيم . ولا يحض على طعام المسكين ﴾** .

وعندما جاء مندوب قريش ليستمع إلى ما عند **النبي عليه الصلاة والسلام** ، قرأ عليه فيما قرأ **﴿ وويل للمشركين . الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون ﴾** . فلما انتقل إلى **المدينة المنورة** ، قام المجتمع الإسلامي على الأخوة المتكافلة في السراء والضراء ، فليس هناك متخم وجائع .. بل الأمر كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « **ما آمن بي من بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع وهو يعلم** » .

ولما كانت المدينة بلداً زراعية ، فقد تدخل التشريع في **عقد الإيجار** ومداه ، ورغب النبي عليه الصلاة والسلام ، الأنصار ملاك الأرض في أن يعطوا المهاجرين الفقراء الأرض يزرعونها ، دون أن يدفعوا إيجاراً لها .

وعندما ملك النبي غنائم **بني النضير** ، جعل هذه الغنائم كلها لفقراء المهاجرين ، ولم يعط إلا اثنين من الأنصار كان بهما فقر ، وعلل القرآن الكريم هذا التقسيم بقوله سبحانه وتعالى **﴿ كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ﴾** . أي لا يكون المال حكراً على طائفة من الناس ، يتداول بين أفرادها ، لا يتجاوزهم إلى غيرهم ، أي أن النبي



● أتمنى أن تعم الأمة العربية نهضة سريعة

عليه الصلاة والسلام ، بهذا العطاء للمهاجرين ، أقام توازناً اجتماعياً في المدينة المنورة ، هو من أهداف الإسلام كما بينا .

ونصوص الدين وقواعده العامة ، توجب على المسلمين جميعاً العمل في أرض الله ، واكتساب الرزق من الكدح فيها ، والضرب في جنباتها ، وهذا هو المصدر الأول لدخل الفرد ، فما يجوز أن تمتد إلى **الزكاة** يد قادر على العمل ، متسكع في دروب الحياة ، وفي الحديث : « **لا تجوز الصدقة على غني ، ولا على ذي مرة سوي** » أي صاحب قوة سليم الأعضاء والحواس ، وكأن الزكاة بهذا التوجيه ، إنما تجيء إغاثة لمن أرغم على التعطل بسبب معقول .

وتعاليم الإسلام في هذا المجال تحترم **رأس المال** وتعطيه حق التكون والنماء ، ولكنها تثقله بالحقوق الاجتماعية ، التي تسد كل ثغرة في الحياة العامة .

أما ما يتصل بالمساواة فأريد أن أفرق بين أمرين :

هناك حقوق عامة يمكن أن نفهم فيها معنى المساواة وتحققها .. مثل **حق الحياة ، وحق التملك ، وحق التعليم** وما أشبه ذلك .

والناس في هذه الحقوق العامة سواء ، فلو أن عبقرياً قتل كانس طريق لقتل فيه قصاصاً عدلا ، فما يعرف الإسلام في هذه المساواة نسباً ولا امتيازاً .

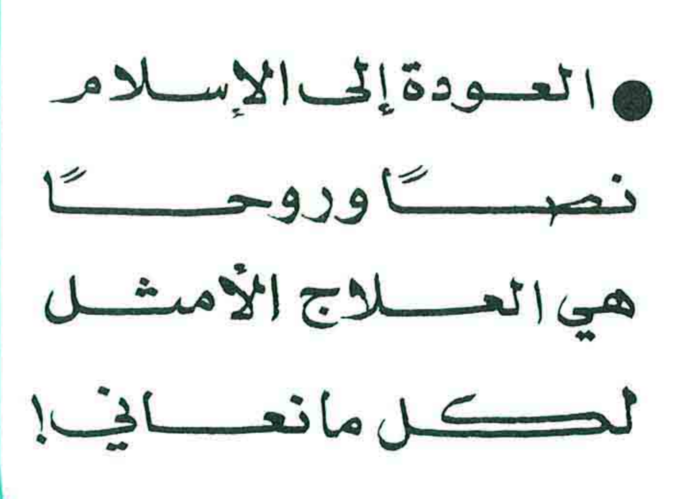
لكن هناك مواهب تتفاوت ، ونشاطاً في الإنتاج لا يتساوى الناس فيه بداهة ، ولا يقبل أحد أن يسوي بين خائن وأمين ، ولا بين منتج وعاطل كسول . . .

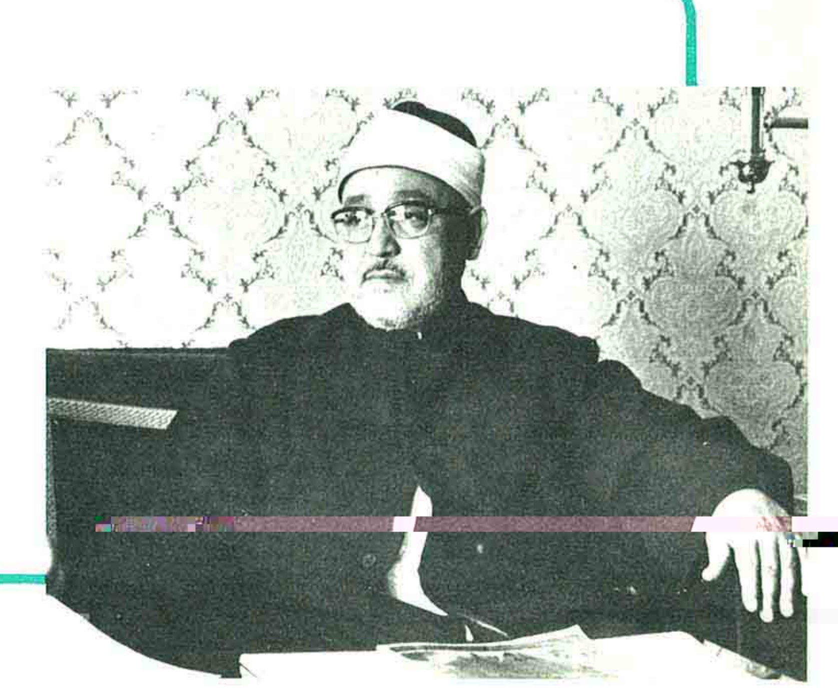
المساواة أن يأخذ المتكافئان أجراً واحداً ، وأن تتاح لهما الفرص على سواء ، أما أن يأخذ الأذكى مرتباً أكبر ، فهذا لا حرج فيه ، ولا يوجد في الدنيا نظام يفرض المساواة بين المختلفين في قدراتهم وخبراتهم ،

والشكوى التي يجأر بها الناس ترجع إلى المساواة في الحقوق العامة غالباً ، وعدم التزام قواعد دقيقة في تطبيقها ، فربما تخرج اثنان من كلية واحدة ،

وأسعف الحظ أحدهما فبلغ القمة وقعد بالآخر ، فبقي يضرب في السفوح ، وربما كانت الأمور فوق ما يتصور الحليم أي ربما كان الأغبى هو الذي صعد ، والأذكى هو الذي هبط .

إن هذا الاضطراب الخلقي هو الذي يجعل كثيراً من الناس يطلب المساواة ، ويسعى وراءها ، والإسلام ظهيره في هذا الطلب ، وذاك السعي ، فإن الناس في الحقوق العامة سواسية كأسنان المشط ، وما يتفاضلون إلا بالتقوى والعمل الصالح .





تعود بها إلى الإسلام وأصوله السمحة وشرائعه العادلة



تعاليم الإسلام ضمان كامل للمرأة

●● ما دمنا نتحدث هنا عن العدل الاجتماعي والمساواة في المجتمع الإسلامي ، فما الذي تقوله عن حقوق المرأة في الإسلام ، وما واجباتها تجاه دينها الحنيف ؟

★ النساء شقائق الرجال ، كما جاء في **الحديث الشريف** ، وحقوقهن هي حقوق الرجال ، لا خلاف بين الجنسين إلا فيما ندر ، واتصل بطبيعة المرأة . أما في **الحقوق العامة** فهي والرجل سواء في كل شيء ، كما قال تعالى ﴿ **فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض** ﴾ .

وإذا كان الإسلام قد جعل نصيب المرأة في **الميراث** ، هو في الغالب على النصف من نصيب الرجل ، فذلك لأن المرأة في النظام الإسلامي لا تكلف بنفقة ولا مهر ، بينما يكلف الرجل بذلك . فالنصيب الكامل الذي أخذه الرجل لم يبق له ، أما النصف المقرر للمرأة ، فهو باق لها .

وإذا كان الإسلام قد جعل **شهادتها** على النصف من شهادة الرجل ، فإن السبب في ذلك أن طبيعة الدورة الشهرية التي تنتظم في حياتها تسبب لها مضايقات نفسية وفكرية ، وقد قرأت لأحد **علماء الطب** في هذا المجال أن المرأة تُصاب في أثناء الدورة بعمى الألوان ، وبمجموعة من العلل الأخرى ، فإذا احتاط الشارع لضمان العدل ، فضم إلى المرأة امرأة أخرى ، فلا لوم عليه في هذا ولا تجريح للمرأة ... أما ما عدا ذلك ، فإن المرأة والرجل في الحقوق الدينية والمدنية سواء .

إن أوروبا ورثت مجتمعاً غير المجتمع الإسلامي ، **أوروبا** كانت بها مجامع تناقش هل المرأة إنسان له روح كالرجل ، وكان **القانون الروماني** ولا يزال يمنع تصرفها في مالها الخاص ، ويجعل الزوج هو القيم على تصرفاتها المالية .

صحيح أن المرأة في العصر الحديث أخذت حق العمل في المجتمع ، وخرجت لتشارك الرجال في كل شيء ، فماذا كسبت المرأة من هذا المسلك إلا الشقاء ؟

أنا أفهم أن تكون المرأة **مدرسة أو طبيبة** ، لكن ما معنى أن تكون سكرتيرة أو كاتبة في بعض الدواوين ؟

إن كل اللجان التي درست العلاقات الجنسية في الحضارة الحديثة انتهت إلى أن الخيانات الزوجية والاتصالات المنحرفة تجاوزت الثمانين في المائة في العلاقات بين الجنسين ...

هل يلام الإسلام ، إذا أقام نظامه على عدم تكليف المرأة بالارتزاق ، وجعل الزوج أو الأب مسؤولا عن زوجته أو ابنته ! ..

هل يلام الإسلام إذا عرف أن المرأة ستفقد عرضها في طريق لقمة الخبز ، فوضع نظامه على أساس توفير اللقمة لها واستبقاء عرضها مصوناً ؟

ونستطيع أن نتساءل .. **هل العري والرقص والتبذل واستثارة الغرائز الهاجعة .. هل هذه حقوق رفيعة كسبتها المرأة ، فدعمت بها جانبها في المجتمع ، أم أن هذه نزعات حيوانية فرضها الرجال الأشرار لكي يتبذلوا المرأة ، ويجعلوها طوع شهواتهم ؟**

إن تعاليم الإسلام بالنسبة إلى النساء ، فيها ضمان كامل للكرامة المادية والأدبية ، لكني أعرف بأن هناك أشخاصاً انتسبوا للإسلام ، وباسمه ظلموا المرأة ومنعوها حق العبادة في المسجد ، وحق التعلم في الجامعة ، بل منعوها حقها الطبيعي في الزواج ، إذا لم يأخذ الأب أعداداً كثيفة من الريالات ... آسف لأنه باسم الإسلام أنشئت تقاليد ظلمت المرأة ، وأضعفتها مادياً وأدبياً ، ولكن علاج هذا الانحراف الديني ، لا يكون بإيثار الانحراف الحضاري الحديث ، وإلا كنا كالمستجير من الرمضاء بالنار .

العودة إلى الإسلام نصاً وروحاً ، هي الدواء الوحيد لكل ما نعاني ! ..

بدع دخيلة على الإسلام

●● هناك بدع كثيرة دخلت الإسلام .. كيف يمكننا أن نتخلص من دعاوى الضعف والوهن .. فالإسلام هو دين القوة والإرادة والعزيمة ، دين التشريع والأحكام التي حددها القرآن الكريم .. ناموس هذه الأمة ؟..



● ابن عربي يزعم أن كتابه "الفتوحات" تلقاه

★ الأمة الإسلامية أصابتها أمراض الأمم التي سبقتها ، فأدخلت في دينها ما ليس منه ، ونقصت منه ما هو من صميمه ، وتوجد مخترعات وخرافات تنسب إلى الإسلام ، والإسلام منها بريء .

لقد رأيت أحد الحكام في يوم من الأيام يدخل المسجد بعد صلاة المغرب ليحضر حفلاً دينياً مبتدعاً ، ويخرج قبل صلاة العشاء ، أي أنه أهمل ركنين ، وأماتهما ، وأحيا خرافة وشارك فيها .. فأي تدين هذا ! ...

والمسلمون الآن مصابون بتدين الشكل ، لا تدين الموضوع . **والدين عندما يتحول إلى طقوس ومراسم يفقد قيمته .. لأن الدين قبل كل شيء ، قلب حي ، وضمير يقظ ، وسريرة نظيفة .**

وأرى أن الأمة الإسلامية في وضع يفرض عليها سرعة اليقظة ، فإن الذئاب تتعاوى من كل ناحية كي تنهشها ، ويعود كل ذئب بشلو منها .. والعودة إلى الإسلام في هذه الحال هي ضمان حياة وسياج وجود .

أي أن الدين ، والحالة هذه ليس كسباً للجنة ، وبعداً عن النار فقط ، بل هو قبل الآخرة وقدومها كسب ليومنا الحاضر ، وضمان لقضايانا المهددة .

إن أمتنا إلى الآن تنال من نفسها أكثر مما ينال أعداؤها منها . والسبب أن الناس إذا لم يجمعهم الحق فرقهم الباطل ، وإذا لم يحتشدوا على الصراط المستقيم ، تفرقوا في عشرات الطرق ، وعندئذ تكون الفرص موانية لأعداء متربصين كثيرين .

لقد نجح المسلمون الأوائل في توسيع رقعة الدولة الإسلامية ، فإذا هي تشمل المعمور من ثلاث قارات . **كان البحر الأبيض والأحمر والأسود بحيرات إسلامية ، فما الذي جعل المسلمون الآن يدفعون بعجز عن تراثهم ، ويطمع كل عدو في النيل منهم ؟..**

لا أمل إلا بعد العودة إلى الإسلام الحقيقي ... أما الخرافات التي لبست ثوب الدين ، والبدع والخرافات التي يجنح إليها العوام ، والحيل والمهازل التي يرتكبها بعض المنتسبين إلى الفكر الديني ، فهذا كله لا يجدي على أمتنا فتيلاً .. ولذلك فإني أرجو أن تعمنا نهضة سريعة تعود بنا إلى الإسلام وأصوله السمحة وشرائعه العادلة .

ابن عربي

●● حدثت محاولة لمنع كتاب ابن عربي « الفتوحات المكية » .. ما هي في نظركم حدود المنع والإباحة بالنسبة للفكر من وجهة نظر الإسلام ؟

★ أنا ممن يحترمون **حرية الرأي** . ومن يرون أن الحق يملك من الأدلة ما يرجح كفته ، ويزينه في أعين الناس ، ولذلك فإن مبدأ المصادرة يحتاج إلى تحفظ في إقراره ، ربما أقبله عندما يكون ما نشر هدماً لمقومات الأمة ، وخدمة لأعدائها ، أو نوعاً من النزق العقلي ، لا يخدم مثلاً أعلى ولا غرضاً شريفاً .

ومن حق الأمم في هذه اللحظة أن تحمي نفسها وشبابها ، وأن تضع سدوداً أمام من يبتغون لها الدمار .

أما في الأمور الأخرى ، أي حيث تتفاوت وجهات النظر من النواحي السياسية أو التشريعية أو الاجتماعية ، فالرأي عندي أن نسمع كل ما يُقال على شرط أن يتمكن حملة الحق من إبداء رأيهم وسوق أدلتهم .. وأنا حسن الظن بالضمير الإنساني ، وبالفكر الإسلامي .

إن الإنسانية لا تجنح إلى باطل إذا عرفت الحق معرفة شاملة مستوعبة ، وعندي أنه إذا عجز أهل الحق عن خدمة قيمهم بالطريق العقلي ، والإقناع الحر فليسوا أهلاً للحياة .

وأضاف الشيخ محمد الغزالي :

بعد هذا التقديم أقول : **إن كتاب ابن عربي « الفتوحات المكية » ، وكتابه الآخر « الفصوص » مليئان بخزعبلات ما أنزل الله بها من سلطان ، وليست الرؤى في المنام مصدراً للمعارف الدينية** ، وابن عربي يزعم أن كتاب الفتوحات تلقاه في الرؤية ، فهل يترك الناس الحقائق التي تلقوها عن الثقاة لأحلام نائم ؟! .. وهل يترك الناس الحقائق التي وصلت بهم إلى غزو الفضاء لمنطق نظري يتجهم للأدلة الحسية والمعنوية المعتبرة ؟! ..



في الرؤية وهو نائم، فكيف لنا أن نصدق أحلام نائم ؟!

إن المتصوفين أنفسهم ، والغريب أن ابن عربي من بين هؤلاء ، ينكرون وحدة الوجود ، ومع هذا الإنكار ، فإن كتابات ابن عربي تدور على محور واحد ، هو وحدة الوجود . وقد قرأت لابن عربي بحثاً يقوم على أن فرعون من أهل الجنة !.. وأن الله قبل توبته وغفر له ، وعقل يصل إلى مثل هذه النتيجة ، لا ثقة في أحكامه !..

كيف نسمع له ، أو لبحثه ، والله يقول في فرعون ﴿ **يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود** ﴾ .

وأنا سيئ الحظ بمن يدافعون عن كتاب ابن عربي .. إنهم يعطون حرية الرأي للضلال وحده كي يقول ما عنده ، فإذا تحرك الحق لدفع الشبهات ، بدأت المصادرة والمكابرة ، فأين هذه الحرية ، وما مداها .

والذين غضبوا لمصادرة كتاب ابن عربي ، لماذا لم يغضبوا لمصادرة كتبنا نحن ، ويطلبوا بتركها تأخذ مكانها بين أيدي القراء .

لقد تبيَّن لي أنه في المجتمعات المختلة ، يكون لكلمة الحرية رنين العملة المزيفة ، فهي حرية موجهة تقبل إذا نفعت فلاناً ، وترفض إذا وقفت دونه .

الوحدة الإسلامية

●● وكيف يمكن في نظركم التقاء الوحدة العربية والإسلامية ؟

★ إن الوحدة التي قامت عليها أمتنا خلال القرون الأربعة عشر التي تمثل تاريخها ، هي **الوحدة الإسلامية** ، والمسلمون على اختلاف أجناسهم كانوا يعطون العرب فضلاً زائداً ، وصدارة ملحوظة ، لأن العرب ، كما عبَّرت في بعض كتبي ، هم دماغ الإسلام وقلبه .

فالقرآن عربي اللسان ، والنبي عربي الجنس ، وقبلة المسلمين في الصلوات تقع في أرض عربية ، والثقافة الإسلامية في جميع ميادينها عربية المنبع .

أي أن الوحدة العربية أعزت العروبة وكرمتها ، حتى جاءت بدعة القومية العربية ، فإذا هذه القومية تكفر بالإسلام ، وتتجهم للأجناس الداخلة فيه ، وتختلق أعذاراً للفصل بين المسلمين والعرب ، وهم أكثر من تسعة أعشار الجنس العربي ، وبين المسلمين والهنود والأعاجم والأتراك وغيرهم .

وهذا الذي صنعته القومية العربية أضرَّ بها ، وأسقط قضاياها العالمية والمحلية .

لقد اعتبر العرب **قضية فلسطين** عربية لا إسلامية ، فماذا كسبوا ، وأرادوا أن يعيشوا بلا دين ولا عقيدة ، بينما يتحرك **اليهود** حولهم بدينهم وعقيدتهم ، ويسمون دولتهم تسمية دينية خالصة «**إسرائيل**» فماذا جنينا من هذا المسلك ؟..

إن العرب أكثر قليلاً من مائة مليون ، والمسلمون يبلغون الآن ملياراً من الأنفس ، فماذا يكسبه العرب عندما يصنعون فجوات عميقة بينهم وبين إخوان العقيدة في القارات الخمس ؟..

إن العروبة بلا إسلام مهزلة يجب أن تنتهي .. وإذا رجعت العروبة إلى أصلها الديني الذي شرفها الله به ، التقت مع الأمة الإسلامية الكبرى في وحدة تعطي العرب القيادة .. إذا أرادوا الزعامة ، وتجعل لهم ظهيراً من أجناس تزيد عليهم بتسعة أضعاف .

ولذلك فإن الوحدة العربية تتم على الوجه الصحيح ، يوم تنهض على دعائمها العقيدة ، وتلتقي مع الوحدة الإسلامية في صف واحد وهدف واحد .

كلمة أخيرة :

دعني أقول في النهاية موجهاً حديثي لعلماء اليوم : اتقوا الله في أمتكم ، واعلموا أن الله عاب علماء اليهود قديماً ، لما أخذ عليهم الميثاق أن يقولوا الحق ، فكتموا الحق حرصاً على الدنيا ... قال تعالى ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون** ﴾ .





أول من صنَّف كتاباً في **غزوات الرسول عليه الصلاة والسلام** هو إمام المغازي (**موسى بن عقبة بن أبي العباس الأسدي**) الذي عاش في زمن خلافة **بني أمية**، وتوفي سنة ١٤١هـ. ثم سلك طريقه **محمد بن إسحق** الذي توفي في بغداد سنة ١٥٠هـ.

وقد اشتهر **ابن إسحق** شهرة كبيرة بسبب كتابه في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وينقسم كتابه إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ **كتاب المبتدأ وقصص الأنبياء**، وقد احتفظ **الطبري** بنقول كثيرة منها في كتابيه الكبيرين: التاريخ، وتفسير القرآن الكريم.

٢ ـ **كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم**. ٣ ـ **كتاب المغازي**.

ولكن ما كتبه **ابن إسحق** عن السيرة الشريفة رواه لنا **عبد الملك ابن هشام** الذي توفي في مدينة **الفسطاط** بمصر يوم ١٣ من ربيع الآخر سنة ٢١٨هـ. وذاعت شهرة ابن هشام أكثر من ابن إسحق، وأصبحنا نعرف (**سيرة ابن هشام**) كمصدر أساسي في كتب السيرة، وقد ترجمها إلى الألمانية المستشرق **ج. فايل** (سنة ١٨٦٤م)، ونشرت نسختها العربية في ألمانيا (١٨٩٩م)، ونشرت في مصر مرات متعددة، كما ترجمت إلى **اللغة الفارسية**.

ومن كتَّاب السيرة القدماء «**أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي**»، وكان بائع حنطة في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد فسدت تجارته، وكثر عليه الدين، عندما حج **هارون الرشيد** وزار المدينة المنورة، فقام الواقدي بعمل الدليل للرشيد ودله على كل المشاهد، فأعجب به، وأمر له بعشرة آلاف درهم، لكنه أنفقها وضاقت به الدنيا، فرحل إلى **بغداد**، وعيَّنه الرشيد قاضياً في الجانب الشرقي لعاصمة العباسيين، وهناك ألَّف كتاب (**المغازي**) عن غزوات الرسول عليه الصلاة والسلام.

وكان **للواقدي** تلميذ يساعده، ويلقب نفسه بلقب (**كاتب الواقدي**).. وقد أصبح التلميذ أكثر شهرة من الأستاذ، وهذا التلميذ هو: **أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري**، صاحب الكتاب الشهير (**الطبقات الكبرى**) أو (**طبقات ابن سعد**)، وفي هذا الكتاب سيرة مطولة للرسول صلى الله عليه وسلم، ويضم تراجم مقسمة إلى طبقات مختلفة للصحابة والتابعين وتابعي التابعين حتى سنة ٢٣٠هـ، وهي سنة وفاة **ابن سعد**.

ولذلك أصبحت مصادر السيرة الشريفة تكاد تجتمع في (**سيرة ابن هشام**) و (**طبقات ابن سعد**)، ويعتمد عليهما كل كتَّاب السيرة من القدماء والمعاصرين على السواء.

هذه لمحة سريعة عن السيرة النبوية الشريفة التي سجلها القدماء في دقة بالغة، وحرص شديد، وقد ظلت كتاباتهم تتناقلها الأجيال عبر القرون من هذه النصوص التي ذكرت لك أهمها، ولم يحاول الكتَّاب والباحثون منذ القرن الثاني الهجري حتى القرن الثالث عشر أن يتعبوا أنفسهم بالدراسة والتحليل، بل كانت كتابات الواقدي تنسخ ـ وخاصة ما كتبه في **الفتوح الإسلامية** ـ وكثر انتشارها في أيام **الحروب الصليبية** لبث الشجاعة والحميَّة في نفوس المجاهدين.

ولم يكن المسلمون يعلمون شيئاً عما كان يكتبه الأوروبيون في سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام حتى مطالع العصر الحديث، وقد دهش

●● إن الكتّاب والمفكرين المسلمين لم ينفصلوا عن الفكرة الإسلامية المعاصرة ، وهي : تجديد الفكر في الإسلام ، وكانت فكرة إعادة كتابة السيرة النبوية الشريفة ، في مقدمة هذه الاتجاهات التجديدية .

●● الملاحظ في تاريخ الفكر الإسلامي المعاصر ، أنه كان ولا يزال يتجه إلى الأساسين الراسخين في الإسلام ، وهما :

● القرآن الكريم .
● السنّة النبوية الشريفة .

القدماء والمحدثين

بقلم : عبد المنعم شميس



★ جمال الدين الأفغاني ★

★ هارون الرشيد ★

الشيخ **عبد الرحمن الجبرتي** المؤرخ الشهير عندما شاهد عند **الفرنسيين** القادمين مع حملة **نابليون بونابرت** إلى مصر كتاباً فرنسياً عن السيرة ، وفي أول صفحة منه صورة مرسومة للنبي صلوات الله وسلامه عليه ، فأنكر عليهم ذلك واستنكره ، لكن الشيخ لم يعرف ماذا تحوي صفحات الكتاب .

ورغم قيام النهضة الحديثة في **مصر** وغيرها من بلاد الإسلام بعد خروج **الحملة الفرنسية** من القاهرة ، فإن الكتّاب لم يفكروا في كتابة سيرة جديدة بأسلوب عصري يتلاءم مع روح العصر ، ورغبات القراء ، وظلت الكتب القديمة للسيرة الشريفة هي المتداولة بين أيدي الناس ، وخاصة **سيرة ابن هشام** التي طبعت لأول مرة في مصر سنة ١٢٥٩هـ ، كما طبعت كتب أخرى تتناول بعض جوانب السيرة ، لكنها لا ترقى إلى أهمية **سيرة ابن هشام** .

بل إن كتاب **الطبقات الكبرى لابن سعد** لم يطبع في مصر إلا في سنة ١٣٨٨هـ (نوفمبر / تشرين الثاني ١٩٦٨ م) ، وكان قد سبق نشره في **ليدن بهولندة** بين عامي ١٩٠٤ و ١٩٢٨ من تاريخ الميلاد .

لكن علماء الإسلام عبر كل العصور كانوا يهتمون بالسيرة الشريفة اهتماماً خاصاً ، ويعرفون مصادرها ومراجعها .

أما جمهرة القراء من عامة المسلمين فقد كان علمهم يأتي عن طريق هؤلاء العلماء ، وليس بين أيدي عامة القراء كتاب سهل ميسر يستطيعون قراءته وفهمه .

ثم أصبحت الحاجة ملحة عند عامة القراء للحصول على كتاب مختصر مفيد في سيرة سيد المرسلين ، بعد أن انتشرت الطباعة ، وأصبح العلم ميسراً بين أيدي الناس . كما أن كثيرين من المثقفين المسلمين كانوا ولا زالوا غير قادرين على قراءة الكتب القديمة وفهمها ، حتى أصبحت هذه الكتب من عمل المتخصصين .

نور اليقين

ثم أراد الله جلت قدرته أن يلتقي عالم من علماء الإسلام كان يعمل قاضياً شرعياً في **مدينة المنصورة** بزميل له من قضاة المحاكم المختلطة التي كانت تنطق أحكامها باللغة الفرنسية ، وحاول قاضي المحكمة المختلطة أن يعرف من صاحبه **الشيخ محمد الخضري** القاضي الشرعي شيئاً عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ورأى الشيخ الخضري أن يؤلف كتاباً جديداً بأسلوب جديد عن سيرة سيد المرسلين حتى يعرفها من لا يستطيعون قراءة **سيرة ابن هشام** أو غيرها من كتب السيرة .

وكان كتاب (**نور اليقين في سيرة سيد المرسلين**) أول محاولة لإعادة كتابة السيرة الشريفة . . . وبسبب هذا الكتاب عين **الشيخ الخضري** أستاذاً للتاريخ الإسلامي في الجامعة المصرية القديمة ، ثم بدأ الاهتمام بدراسة التاريخ الإسلامي بصفة عامة ، ودراسة السيرة النبوية بصفة خاصة .

لم يكن كتاب (**نور اليقين**) دراسة جديدة للسيرة النبوية ، لكنه

كان اختصاراً مفيداً ، جمع مؤلفه مادته من الكتب القديمة ، وأسعفته دراسته الإسلامية على تحقيق هدفه من تصنيف كتاب جديد مختصر مقروء لكل المثقفين بغير عناء أو مشقة ، وقد استفاد منه القراء طوال خمسين عاماً ، ولا يزال يعاد طبعه .

أجانب يكتبون عن السيرة

ولكن القضية اتخذت اتجاهاً آخر بعد ذلك ، فقد عرف المسلمون بعد النهضة الحديثة ، وتعلم الشباب للغات الأجنبية ، ودراساتهم في جامعات أوروبا وأميريكا . . . عرفوا كتابات كثيرة ألّفها مؤلفون من الأجانب عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت بعض هذه الكتابات خطيرة ، وقد أراد أصحابها هدم الإسلام ، وهي قضية معروفة منذ نشوء **الاستعمار الأوروبي** في العصور الحديثة . فإن هذا الاستعمار كان يواجه قوة الإسلام فحارب الإسلام ، وأذاع المستشرق الفرنسي (**إرنست رينان**) مستشار وزارة المستعمرات الفرنسية نظريته التي تقول : إن الإسلام هو سبب تخلف المسلمين . وقد تصدى له **الشيخ جمال الدين الأفغاني** ، وفنّد أقواله ، وألجأه إلى التراجع ، حتى قال (**رينان**) بعد أن قابل (**الأفغاني**) إنه شعر كأنه كان يجلس مع **ابن سينا** أو **ابن رشد** .

وفي خضم الاندفاع الأوروبي نحو مهاجمة الإسلام ، كتب كثيرون من المستشرقين عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان لا بد من وجود مفكر باحث مسلم للرد على مفتريات هؤلاء القوم ، وكان هذا المفكر المسلم هو (**الدكتور محمد حسين هيكل**) صاحب كتاب (**حياة محمد صلى الله عليه وسلم**) الذي يعتبر أهم كتاب علمي في السيرة الشريفة صدر في عصرنا . وقد رجع الدكتور إلى الكتب الإنجليزية والفرنسية المشهورة التي ألّفت عن (حياة محمد صلى الله عليه وسلم) وأهمها ما كتبه : **واشنطون ارفنج وسير وليام موير ومرجليوث وتوماس كارليل وإميل درمنجم** والأب **لامانس** الفرنسي ، كما رجع إلى ما كتبته **دائرة المعارف البريطانية ومعجم لاروس الفرنسي** ، ولكنه لم يرجع إلى كتب المستشرقين الألمان مع أهميتها في الموضوع وأهمها كتاب محمد للمستشرق الألماني الشهير **نولدكه** ، لأنه لم يتيسر **للدكتور هيكل** معرفة اللغة الألمانية ، وهذا من نواحي النقص في كتاب **حياة محمد** . لكن هذا النقص لا يقلّل من قيمة الكتاب ، فإن آراء المستشرقين الأوروبيين والأميريكيين تكاد تكون متفقة ، وقد تعرض لها **الدكتور هيكل** في قوة حجة ، ونصاعة بيان . لأنه كان من رجال القانون وأصحاب الفلسفة والمنطق في وقت واحد ، كما كان كاتباً راسخ القدم ، مشرق القلم . وكانت معرفته بمصادر السيرة في اللغة العربية وافية كافية . ولذلك جاء كتابه كما وصفه الشيخ **محمد مصطفى المراغي** شيخ الجامع الأزهر :

« وقد وفق الدكتور في تنسيق الحوادث وربط بعضها ببعض ، فجاء كتابه عقداً منضداً وسلسلة متينة محكمة الحلقات . وقد أبدع في بيان الأسباب والأغراض والحكم بياناً قوياً واضحاً يجعل القارئ مطمئن النفس ، رخي القلب يستمتع بما يقرأ ويثلج صدره ببرد اليقين ، فيملك عليه أمره ، ويجبره على متابعة القراءة حتى يوفي على آخر ما بيده من البحث » .

كان **الدكتور محمد حسين هيكل** هو الذي فتح الباب للكتابات الجديدة حول السيرة الشريفة ، لأن الكتّاب المحدثين الذين سبقوه ومنهم **الشيخ محمد الخضري** كما أشرنا ، ومنهم أيضاً **الشيخ رشيد رضا** صاحب كتاب (**محمد المثل الكامل**) كانوا لا يبتعدون كثيراً عن الكتابات القديمة مثل **سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وتاريخ ابن جرير الطبري** وأمثالها من مصادر السيرة .

على هامش السيرة

ثم جاء **الدكتور طه حسين** ليكتب السيرة بأسلوب آخر غير أسلوب صاحبه **الدكتور هيكل** واستخدم طه حسين براعته الأدبية وأسلوبه الشيق في كتابه (**على هامش السيرة**) وبذلك خرج من الأسلوب العلمي إلى الأسلوب الأدبي ، فلفت الأنظار وجذب الأفكار ، ويسّر للأجيال الجديدة من الشباب معرفة السيرة الشريفة في سهولة ويسر مما يناسب روح العصر .

إن كتاب (**على هامش السيرة**) من أمتع الكتب التي أملاها **طه حسين** ، وقد اختزن قبل إملائه الأحداث التاريخية ، ومحصها وحققها ثم صدر الكتاب البديع .

وكانت طريقة **طه حسين** ومنهجه في كتابة السيرة الشريفة تعتمد على أمرين :

١ ـ **المعلومات التاريخية الصادقة المحققة** ، وهذا هو منهج **طه حسين** في الدراسة ، وكان يملك قدرة عظيمة باهرة من هذه الناحية ، فيطابق بين الروايات المختلفة حول الخبر الواحد حتى يصل إلى الحق والصدق مما يرضي عقله وتفكيره ويقينه . . . وأنت ترى ذلك في كل الأحداث التي استخدمها في كتابه (**على هامش السيرة**) ، فهو لا يستخدم خياله في وقائع التاريخ ، ولا يحاول أن يفعل ذلك حتى فيما سبق من أحداث قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ **إفراغ الحدث التاريخي في أسلوب أدبي جديد** يضفي



★ طه حسين ★ ★ د. محمد حسين هيكل ★

على الحدث أضواء من نور الكلمة وبراعة اللفظ.

وكان **طه حسين** يتأثر بالأحداث المرتبطة بالسيرة وما سبقها وما دار حولها تأثراً عاطفياً شديداً، وفي نفس الوقت يرتبط أشد ارتباط بجوهر العقيدة النقية، وأحب أن أذكر أن **طه حسين** كان من أوائل كتَّاب الإسلام في مصر ممن كتبوا عن الشيخ **محمد بن عبد الوهاب** ودافعوا عن دعوته دفاعاً علمياً يستند إلى جوهر القرآن الكريم ومبادئ الإسلام، وعندما حج **طه حسين** وكان معه الشيخ **أمين الخولي**، استلم **الحجر الأسود** وبكى فبكى من معه هو يشهق بصوته المنغم:

ـ الله.. الله.. لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله.

الوعد الحق

وبعد أن طاف (**طه حسين**) وسعى، لم تبرح خياله السيرة النبوية الشريفة وما حولها من أحداث فألَّف كتابه: **الوعد الحق**، وتدور أحداثه في بطاح مكة المشرَّفة عندما كان المشركون يعذبون المسلمين عذاباً شديداً، وكان المسلمون يقاومون العذاب بالعقيدة، وترتفع أصواتهم بالكلمة التي مزقت قلوب الكافرين:

ـ **أحد.. أحد.. أحد.**

إن كتاب (**الوعد الحق**) يتصل بالسيرة الشريفة من قريب، فقد كان هؤلاء المستضعفون من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الذين كان يشتري حريتهم صحابة الرسول وعلى رأسهم **الصديق أبو بكر** من أشرف المجاهدين في سبيل الله، وقد أعطاهم الله وأعطى أمة محمد صلوات الله وسلامه عليه الوعد الحق بظهور الإسلام وانتصار الإسلام.

ومنذ رأى **طه حسين** صورة هؤلاء المستضعفين [illegible]،
وصوَّر انتصار العقيدة على أعداء العقيدة تصويراً يمتد عبر الزمان ويحطم الطغيان في كل مكان.

كانت كلمة محمد صلى الله عليه وسلم إلى آل ياسر:

ـ «**صبراً.. صبراً آل ياسر موعدكم الجنة**».

أعظم وأشرف كلمة قيلت في معارك الدفاع عن دعوات المؤمنين ضد الكافرين.

وأنت تسمع صداها في **أفغانستان** بعد أربعة عشر قرناً من الزمان... وهي الكلمة التي رددها **عمار بن ياسر**:

ـ **أحد.. أحد.. أحد.**

مسرحية للحكيم

ثم أسرت هذه الأفكار كاتب المسرح الأستاذ **توفيق الحكيم** فلم يستطع الفكاك منها، أو البعد عنها، فأشرق فكره، ولمع قلمه، بعد أن وجد نفسه داخل هذه الأضواء التي تستمد النور من نور محمد صلى الله عليه وسلم.

وكتب توفيق الحكيم مسرحية (محمد صلى الله عليه وسلم) كتابة



★ عبد الرحمن الجبرتي ★

★ الشيخ المراغي ★

مقروءة، **لا يجوز تمثيلها على خشبة المسرح**.

وكان **الحكيم** في تأليفه لهذه المسرحية يمثل اتجاهاً فكرياً منسجماً بين كتَّاب المسلمين في عصرنا، فقد كانت المحاولات مستمرة لإعادة كتابة السيرة الشريفة بأقلام كبار الكتَّاب.

وتعتبر مسرحية الحكيم أهم كتاباته المسرحية لسبب واحد هو أن مؤلفها لم يحلم بتقديمها على خشبة المسرح، بل إنها المسرحية الوحيدة التي كتبها توفيق الحكيم لهدف غير تمثيلها مسرحياً.

ولكن... لماذا كتب الحكيم مسرحية لا تمثل على خشبة المسرح؟

أعتقد أن **توفيق الحكيم** أراد في تلك الفترة التعبير عن قدرته الفنية بالأسلوب المسرحي على تصوير السيرة، وهو إحساس إسلامي متفتح مشرق، ظهر واضحاً بعد سنوات عندما فاجأنا الحكيم بتلخيصه لتفسير **القرطبي** للقرآن الكريم، ولذلك فإن اتجاهات الحكيم الإسلامية يمكن تفسيرها على هدي النظرة الشاملة التي تضم كتَّاب الإسلام في عالمنا المعاصر.. وهي [illegible] السيرة الشريفة كما أوضحت.

إن الكتَّاب والمفكرين المسلمين لم ينفصلوا عن الفكرة الإسلامية المعاصرة وهي: تجديد الفكر في الإسلام.

وكانت فكرة إعادة كتابة السيرة الشريفة في مقدمة هذه الاتجاهات التجديدية. ومن الملاحظ في تاريخ الفكر الإسلامي المعاصر أنه كان يتجه إلى الأساسين الراسخين في الإسلام وهما:

● القرآن الكريم.

● السنَّة النبوية الشريفة.

وقد ظهر ذلك واضحاً منذ دعوة **محمد بن عبد الوهاب** وما تلاها من دعوات عند الشيخين **جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده**، أو في دعوة السنوسية في المغرب الإسلامي، ودعوة المهدية في السودان، ودعوة **عبد الحميد بن باديس** في الجزائر، وكلها دعوات متلاحقة في العودة إلى منابع الإسلام في الكتاب والسنَّة.

ثم جاء عباس محمود العقاد فبدأ كتاباته الإسلامية أثناء الحرب العالمية الثانية عندما هاجر من القاهرة إلى الخرطوم وألَّف أول كتب العبقريات الإسلامية، وهو كتاب: **عبقرية عمر**.

ثم كان كتابه (**عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم**) على نفس المنهج الذي اتخذه لنفسه ، وهو ما سماه مفتاح الشخصية ، وكانت شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام مفتاحها الإنسانية الكاملة الشاملة ، وقد سبقه إلى ذلك الأستاذ **محمد أحمد جاد المولى** في كتابه (**محمد المثل الكامل**) من ناحية فكرة الإنسانية الكاملة ، ولكن **جاد المولى** الذي كان كبيراً لمفتشي اللغة العربية في وزارة المعارف المصرية ، لم يكن في قدرة **العقاد** الفكرية والتحليلية مع أنه كان سابقاً للعقاد في الزمن وفي فكرة (**محمد المثل الكامل**) . . . والمثالية عند الكاتبين مثالية بشرية ، تعرف أن محمداً صلى الله عليه وسلم بشر رسول ، ولا خلاف حول هذه النظرة منذ نزل الوحي على النبي صلوات الله وسلامه عليه وحتى نهاية الزمان ، لأن هذا الوصف للنبي إنما هو من أوصاف القرآن الكريم لخاتم المرسلين .

ولذلك فإن كتابة السيرة بأي أسلوب إنما تعتمد على المصادر الأساسية وهي القرآن الكريم والأحاديث الشريفة ثم كتب السيرة التي ذكرنا أهمها ، وقد جمعها **العقاد** في إطار واحد داخل فكرة الإنسان الكامل وهي فكرة البشرية المثالية البعيدة عن الألوهية أو التأليه ، وبذلك أصبح كتاب (**عبقرية محمد**) من كتب السيرة الشريفة في ثوب عصري جديد ، يتميز بالتحليل العقلي المفكر الذي يصل بالعقل إلى اليقين ، وهو يلتقي مع العمالقة من معاصريه : **هيكل وطه حسين والحكيم** في الهدف مع اختلاف طرائقهم وطرقهم في الأسلوب .

الدكتور هيكل له منهج علمي منطقي في عرض السيرة الشريفة ، **والدكتور طه حسين** له نهج أدبي بياني يعتمد على المصادر الصحيحة للسيرة ، **وتوفيق الحكيم** له أسلوب مسرحي حواري يعرض من خلاله لمحات باهرة من السيرة ، **والعقاد** له أسلوب تحليلي يعتمد على نقطة ارتكاز واحدة يدور من حولها كل ما يقدمه من تعريف بشخصية الرسول البشر صلوات الله وسلامه عليه .

وتبقى بعد ذلك قضية . .

هل انتهى المطاف عند هؤلاء الكتّاب أو غيرهم ممن تناولوا بعض جوانب السيرة . . ومنهم من تحدث عن محمد صلى الله عليه وسلم في طفولته ، ومنهم من تحدث عن (محمد القائد) في حياته العسكرية ، وآخرون كثيرون تحدثوا عن الهدي النبوي في مختلف مظاهر حياته صلى الله عليه وسلم ؟

هل انتهى المطاف ؟

إن الأجيال الجديدة من المسلمين الذين تجددت ثقافاتهم ، وتعددت مصادر علمهم وتعلمهم ، وهم أصحاب لغات متعددة ، أصبحوا في حاجة إلى صياغة أو صياغات جديدة للسيرة النبوية الشريفة .

والمسلمون الذين يتحدثون بالإنجليزية أو الفرنسية أو الأوروبية أو الصينية إلى غير ذلك من لغات يجدون بين أيديهم ترجمات لمعاني القرآن الكريم ، لكنهم لا يجدون كتاباً عصرياً محرراً عن سيرة نبي الإسلام ، ومن حقهم أن يجدوا هذا الكتاب الذي يحدثهم عن نبيهم في يسر ووضوح منذ ولادته حتى وفاته عليه الصلاة والسلام .

لقد أصبح القارئ في عالمنا المعاصر على ثلاث طبقات أو درجات :

- الكبار .
- الشباب .
- الأطفال .

وأنت ترى أصحاب الديانات الأخرى يهتمون بهذه النوعيّات من الكتب لتثبيت دعواتهم ، وإفهام مريديهم بأصول عقائدهم وما حولها من آراء .

هل يجد المسلم في نيجيريا أو اليابان كتاباً مبسطاً عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم؟

بل . . هل يجد الشاب العربي المسلم كتاباً ميسراً في مائة صفحة عن السيرة الشريفة ؟ . . هل يجد الطفل العربي المسلم كتاباً في عشرين صفحة عن سيرة محمد صلى الله عليه وسلم ؟

لقد كنا في طفولتنا نحفظ في الكتاتيب النسب الشريف **لمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن عبد مناف** ، وكنا نعرف قداسته النبوية الشريفة ولا نعرف شيئاً بعد ذلك حتى نكبر ونتعلم ، ولكن طفل اليوم يجب أن يتعلم قبل أن يكبر . . وشباب اليوم يجب أن يعرفوا سيرة نبيهم قبل أن يستطيع بعضهم قراءة كتب **هيكل وطه حسين والحكيم والعقاد** وغيرهم إذا تيسر لبعضهم قراءة بعض هذه الكتب .

إن حياتنا اليوم ، وما تتعرض له دار الإسلام من هجمات وغزوات تحتم علينا تأصيل العقيدة الإسلامية في نفوس الكبار والشباب والأطفال ، وليس عندنا أشرف من إعادة كتابة السيرة النبوية الشريفة لهؤلاء جميعاً بكل لغة مقروءة في كتاب .

إنني لم أكتب هذه السطور لأعرف القارئ بما كان ، ولكن لأدعوه إلى ما يجب أن يكون ، ونحن نعيش الآن في نهضة إسلامية ، فكيف لا يكون عندنا هذه الكتب الجديدة في سيرة محمد صلى الله عليه وسلم؟

★ بلاد الروم ★

فاتح شطر بلاد الروم ومستعيد فتح شطر إرمينية

بقلم : اللواء الركن محمود شيت خطاب

نسبه وأيامه الأولى

هو محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي[1].

أبوه : أمير المؤمنين **مروان بن الحكم**، وأمه من أمهات الأولاد[2]، ويريدون بتعبير : (**أمهات الأولاد**)، الجواري والإماء اللواتي وَلَدْن كمواليهن ذكراناً .

نشأ محمد وترعرع في ظروف قاسية شديدة أيام أبيه مروان ، لكثرة الفتن والقلاقل التي عمّت أرجاء الدولة ، فقاتل أبوه ليستعيد الأمن والاستقرار ، ويقضي على الفتن والقلاقل ، فمات قبل أن يحقق جميع



أهدافه. وتولى الخلافة بعده **عبد الملك بن مروان** أخو محمد، فواصل الكفاح الدائب لاستعادة الوحدة الشاملة إلى الدولة الإسلامية، حتى تحقق له ما أراد سنة ثلاث وسبعين هجرية[٣]، (٦٩٢م)، وكان لمحمد نصيب في كفاح أبيه مروان، وأخيه عبد الملك في القضاء على الفوضى، واستعادة النظام، وإقرار الوحدة الشاملة كما سيرد ذكره وشيكاً.

وكانت ظروف والده القاسية وظروف أخيه عبد الملك الصعبة حتى سنة الوحدة الشاملة، تُعين على التعلم النظري والتدريب العملي بالنسبة لمحمد الذي عايش تلك الأحداث وعاناها واكتوى بها.

وتربى تربية أبناء الخلفاء، فوالده مروان خليفة، وأخوه عبد الملك بن مروان خليفة، فلا بد أنه **تلقى علوم القرآن الكريم والحديث الشريف وعلوم الدين والتاريخ واللغة والأدب على جهابذة العلماء في أيامه، كما تلقى العلوم العسكرية النظرية والعملية على المبرزين في تلك العلوم.**

كما مارس **الأعمال الإدارية والسياسية** عن كثب، وشهد كيف تعالج أمور الدولة المختلفة، وتعطى القرارات، وتصدر الأوامر، ويجرى تنفيذها في محيط الخلفاء والأمراء والقادة في أعلى المستويات السياسية والعسكرية والإدارية.

ومن الواضح أنه أصبح موضع ثقة والده، فسيَّره إلى **جزيرة ابن عمر** قبل موته سنة خمس وستين هجرية[٤]، (٦٨٤م)، قبل مسير مروان إلى مصر[٥]، وكانت الجزيرة حينذاك تحت حكم **عبد الله بن الزبير**[٦]، فنجح محمد في مهمته نجاحاً محدوداً في السيطرة على الجزيرة،

وأصبحت بعد حين تحت حكم الدولة الأموية، وهذا دليل على أنه أصبح من أبرز أبناء مروان بن الحكم، وأن العلوم النظرية والعملية والتدريب النظري والعملي التي تعلمها، وتدرب عليها في أيامه الأولى أثرت كفاياته، فأصبح قادراً على تحمل المسؤوليات السياسية، والإدارية، والعسكرية، وهو في ريعان الشباب.

لقد كانت أيامه الأولى تعلماً وتدريباً وتجارب عملية تشابه أنداده من إخوته: **عبد الملك بن مروان**[٧]، **وعبد العزيز بن مروان**[٨] وإخوته الآخرين.

توطيد الأمن الداخلي

١ ـ إخماد ثورة ابن الزبير:

صفا الشام سنة إحدى وسبعين هجرية، (٦٩٠م)، لعبد الملك بن مروان بعد قتل **عمرو بن سعيد الأشدق** سنة تسع وستين هجرية[٩]، (٦٨٨م) فوضع عبد الملك السيف وقتل من خالفه. فلما لم يبق مخالف في الشام، أجمع المسير إلى **مصعب بن الزبير** في العراق، وكان مصعب على العراق لأخيه عبد الله بن الزبير. واستشار عبد الملك في مسيره إلى العراق أصحابه، فأشار عمُّه **يحيى بن الحكم**: بأن يقنع بالشام، ويترك ابن الزبير والعراق، وقال بعضهم إن العام جدب، وقد غزوت سنتين فلم تظفر، فأقم عامك هذا، فقال عبد الملك: «الشام بلدٌ قليل المال ولا آمن نفاده، وقد كتب كثير من أشراف العراق يدعونني إليهم». وقال أخوه **محمد بن مروان**: «الرأي أن تطلب حقك وتسير إلى العراق فإني أرجو أن الله ينصرك».

وسار عبد الملك إلى العراق، وعلى مقدمته أخوه محمد بن مروان، **وخالد بن عبد الله بن خالد بن أسِيْد**، فنزلوا **بقَرْقيسيا**[١٠]، فصالح أميرها الذي بعث ابنه مع عبد الملك.

وسار عبد الملك حتى نزل (**مَسْكِن**)[١١]، قريباً من مُعَسْكر مصعب، وكان بين المعسكرين ثلاثة فراسخ ويقال فرسخان.

وكتب عبد الملك إلى أهل العراق من كاتبه ومن لم يكاتبه، وأغراهم بالمناصب والأموال، فعزم كثير منهم على الغدر بمصعب بن الزبير.

وتدانى العسكران، فقدَّم عبد الملك أخاه محمداً، وقدَّم **مصعب إبراهيم بن الأشتر**. والتقيا فتناوش الفريقان، فقتل صاحب لواء محمد، وجعل مصعب يمد إبراهيم، فأزال محمداً عن موقفه، ولكنه استعاد مواضعه ثانية.

واشتد القتال فقتل **مُسلم بن عمرو الباهِليّ** والد **قُتَيبَة بن مُسلم**[١٢]، وهو من أصحاب مصعب.

وأمد مصعب إبراهيم بن الأشتر **بعتاب بن ورقاء**، فساءَ ذلك إبراهيم وقال: «قد قلت له لا تمدني بعتَّاب وضربائه، وإنا لله وإنا إليه راجعون!» فانهزم عتاب بالناس وكان قد كاتب عبد الملك وبايعه، فلما انهزم صَبَرَ إبراهيم بن الأشتر فقُتل وحُمل رأسه إلى عبد الملك.

وتقدم أهل الشام، فقاتلهم مصعب، ولكن رجاله خذلوه، فكان يقول لقادته واحداً بعد واحد: تقدم يا فلان! فلا ينفِّذ أمره ويعتذر عن التقدم بأعذار واهية.

ودنا محمد بن مروان بن مصعب وناداه: أنا ابن عمك محمد بن مروان، فاقْبَلْ أمان أمير المؤمنين، فأجابه مصعب: «أمير المؤمنين بمكة» يعني أخاه عبد الله بن الزبير. فقال محمد: «إن القوم خاذلوك»، فأبى مصعب ما عرض عليه.

ونادى محمد بن مروان **عيسى بن مصعب بن الزبير**، فقال مصعب لابنه: «انظر ما يريد منك» فدنا منه، فقال له: «إني لك

ولأبيك ناصح ، ولكما الأمان » فرجع إلى أبيه فأخبره ، فقال : « إني أظن القوم يفون لك ، فإن أحببت أن تأتيهم فافعل » ، فقال : « لا تتحدث نساء قريش أني خذلتك ورغبت بنفسي عنك ! » ، فقال : « فاذهب إلى عمك بمكة فأخبره بما صنع أهل العراق ودعني فإني مقتول » ، فقال : « لا أخبر عنك قريشاً أبداً ، ولكن يا أبَهْ ! الحَقْ بالبصرة فإنهم على الطاعة أو الحقْ بأمير المؤمنين » ، فقال مصعب : « لا تتحدث قريش أني فررت » .

ولم يبق مع مصعب ممن معه يطيع أمره وينفذه ، فقال لابنه عيسى : « تقدم إذن أحْتسِبُك » فتقدم ومعه ناس ، فقُتِلَ وقُتِلوا . وجاء رجل من أهل الشام ليحتزَّ رأس عيسى ، فحمل عليه مصعب وقتله ، ثم شد على الناس فانفرجوا له ، ثم عاد ثانية فانفرجوا له .

وبذل عبد الملك لمصعب الأمان قائلاً : « إنه يعزُّ عليَّ أن تقتل ، فاقبل أماني ولك حكمك في المال والعمل » فأبى ، وجعل يضارب ، فقال عبد الملك : « هذا والله كما قال القائل :

ومُدَجَّج كره الكُماةُ نِزالَه
لا مُمْعِناً هَـــرَباً ولا مُستَسلِما

ودخل مصعب سُرادقه ، فتحنط وخرج فقاتل . . وترك الناس مصعباً وخذلوه ، حتى بقي في سبعة نفر .

وأثخن مصعب بالرمي ، وكثرت الجراحات فيه ، ولكنه بقي يقاتل حتى قُتل[١٣] بطلاً عليه رحمة الله .

وكان قتل مصعب بدير الجاثليق عند نهر **(دجيل)** سنة اثنتين وسبعين هجرية[١٤] ، (٦٩١ م) .

لقد كانت معركة هائلة ، خان مصعباً بعض جيشه ، والتحق قسم من قادته بعبد الملك بن مروان لأنه كتب إليهم يَعِدُهم ويُمَنِّيهم حتى أفسدهم[١٥] ، وكان ذلك هو سبب انتصار عبد الملك على مصعب .

وتكبد الجانبان في هذه المعركة الهائلة آلاف القتلى والجرحى من العرب المسلمين الفاتحين الذين كانت سيوفهم على عدوهم المشترك من المشركين والكفار في البلاد المفتوحة ، فأصبحت سيوفهم عليهم في قلب البلاد العربية ، وفي قواعدها الرئيسية التي ينطلق منها الفاتحون ويعودون إليها ثانية بفتح جديد .

وكان من نتيجة هذا الاقتتال بين الإخوة ، أن الروم انتهزوا هذه الفرصة السانحة فوثبوا على المسلمين ، فصالح عبد الملك ملك الروم على أن يؤدي إليه كل جمعة ألف دينار خوفاً منه على المسلمين[١٦] .

وهكذا أصبح الطالب مطلوباً ، والرئيس مرؤوساً ، والسيد عبداً ، نتيجة للاقتتال وتفرق الكلمة وغياب الوحدة ، وخسر المسلمون كثيراً من قادة الفتح وجنوده .

وكان محمد بن مروان الرجل الثاني في هذه المعركة بعد عبد الملك بن مروان ، وكان له فضل كبير في إحراز النصر .

٢ ـ إخماد ثورة ابن الأشعث :

كان من أهم واجبات **الحجاج بن يوسف الثقفي** بعد أن تولى (العراقين) : العراق والمشرق الإسلامي سنة خمس وسبعين هجرية[١٧] ، (٦٩٤ م) ، هو القضاء على الفتن الداخلية في العراق وبلاد المشرق الإسلامي المفتوحة ، واستعادة البلاد التي انتفضت على الدولة ، وفتح بلاد جديدة .

ومضى الحجاج ينفذ هذه الواجبات بحزم وعزم وإقدام وإصرار ، وكان **(رتبيل)** مصالحاً يؤدي الخراج وربما امتنع منه[١٨] ، فأراد الحجَّاج أن يصفي الحساب جذرياً بين الدولة وبين (رُتْبِيل) ، فأمر والي **(سجستان)**[١٩] ، سنة تسع وسبعين هجرية (٦٩٨ م) أن يناجزه ولكنه اندحر أمام قوات (رتبيل) متكبداً خسائر فادحة في الأموال والأرواح[٢٠] .

ولم يكن الحجاج من القادة الذين يسكتون على اندحار قوة من قواته في إحدى جبهات القتال ، لذلك قرر أن يلقِّن (رتبيل) في عقر داره درساً لا ينساه أبداً ، فاستأذن عبد الملك بن مروان في تسيير الجيوش إلى (رتبيل) فأذن له .

وعكف الحجاج على تجهيز الجيش ، فجعل على أهل **(الكوفة)** عشرين ألفاً ، وعلى أهل **(البصرة)** عشرين ألفاً ، وجدَّ في ذلك جداً لا هوادة فيه ، وأعطى الناس أعطياتهم كاملة ، وأنفق فيهم ألفي ألف سوى أعطياتهم ، وأنجدهم بالخيل الرائقة والسلاح الكامل ، وأعطى كل رجل يوصف بشجاعة وغناء ، وأمَّر على الجيش بعد الفراغ من إعداده **عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث**[٢١] .

وسار عبد الرحمن على رأس جيشه ، وأحرز نصراً مؤزَّراً على (رتبيل) فكتب إلى الحجاج بما فتح الله على المسلمين وبما يريد أن يفعل .

وهناك روايات أخرى عن إرسال عبد الرحمن ، لا مكان لها هنا ، لأنها خارجة عن نطاق سيرة محمد بن مروان .

وكان عبد الرحمن يرى أن يتريث المسلمون التوغّل في بلاد (رتبيل) حتى يعرفوا طريقها ويجبوا خراجها ، وكتب بمجمل خطته هذه إلى الحجاج .

ولكن الحجاج رفض خطة ابن الأشعث، وأمره بالوغول في بلاد (رتبيل) وهدم حصونهم وقتل مقاتليهم وسبي ذراريّهم.

ودعا ابن الأشعث الناس وقال لهم: «أيها الناس! إني لكم ناصح، ولصلاحكم محب ولكم في كل ما يحيط بكم نفعة ناظر، وقد كان رأيي فيما بيني وبين عدوّي بما رضيه ذوو أحلامكم وأولو التجربة منكم. وكتبت بذلك إلى أميركم الحجاج فأتاني كتابه يُعجّزني ويضعّفني ويأمرني بتعجيل الوغول بكم إلى أرض العدو، وهي البلاد التي هلك فيها إخوانكم بالأمس، وإنما أنا رجل منكم، أمضي إذا مضيتم وآبى إذا أبيتم».

وثار إليه الناس وقالوا: بل نأبى على عدو الله ولا نسمع له ولا نطيع!!

ووثب الناس إلى ابن الأشعث فبايعوه على خلع الحجاج ونفيه من أرض العراق وعلى النصرة له، ولم يذكر عبد الملك بن مروان بشيء[22].

وعاد عبد الرحمن بن الأشعث إلى العراق بمن معه، فلما بلغ (فارس)[23] اجتمع الناس بعضهم إلى بعض وقالوا: إذا خلعنا الحجّاج عامل عبد الملك، فقد خلعنا عبد الملك.

واجتمعوا إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وخلعوا عبد الملك ابن مروان إلا قليلاً منهم. وبايعوا عبد الرحمن وكانت نص البيعة: «نبايع على كتاب الله وسنّة نبيه صلى الله عليه وسلم، وعلى جهاد أهل الضلالة وخلعهم وجهاد المحلّين».

ولما بلغ الحجاج خلعُه، كتب إلى عبد الملك بخبر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ويسأله أن يُعجّل بعثة الجنود إليه، ثم سار الحجاج حتى نزل (البصرة).

وجهّز عبد الملك الجند إلى الحجاج، فسار الحجاج من (البصرة) إلى (**تستر**)[24]، وقدّم بين يديه مقدمة إلى (**دجيل**)[25]، فلقي عنده خيلاً لعبد الرحمن، فانهزم أصحاب الحجاج بعد قتال شديد، وكان ذلك يوم الأضحى سنة إحدى وثمانين هجرية (٧٠٠م).

فلما أتى خبرُ الهزيمة الحجّاج، رجع إلى (البصرة)، ثم أقبل حتى نزل (**الزاوية**)[26]، وأخلى البصرة لأهل العراق، وفرّق في الناس مئة وخمسين ألف ألف درهم.

وأقبل عبد الرحمن حتى نزل البصرة، فبايعه جميع أهلها: قرّاؤها وكهولها على قتال الحجاج ومن معه ومن أهل الشام[27].

وخسر عبد الرحمن **معركة (الزاوية)**، فقصد (الكوفة) واستقر فيها، فاجتمع إليه الناس، وقصده أهل البصرة.

وسار الحجّاج من البصرة إلى الكوفة لقتال عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، فنزل (**دير قرة**)[28]، وخرج عبد الرحمن من الكوفة فنزل (دَيْر الجَماجِم)[29].

وتفاقم أمر عبد الرحمن واستشرى خطره، فقال عبد الملك بن مروان وأهل الشام: «إن كان يُرضي أهل العراق نزع الحجّاج عنهم نزعناه، فإن عزله أيسَرُ من حربهم، ونحقن بذلك الدماء»، فبعث عبد الملك ابنه عبد الله[30]، وأخاه محمد بن مروان بن الحكم، وكان محمد بأرض (**الموصل**)، إلى الحجاج في جند كثيف، وأمرهما أن يعرضا على أهل العراق عزل الحجّاج وأن يجريا عليهم أعطياتهم كما تُجرى على أهل الشام، وأن ينزل عبد الرحمن أي بلد شاء من بلد العراق فإذا نزله كان واليه ما دام حيًّا وعبد الملك خليفة، فإن أجاب أهل العراق إلى ذلك عزلا الحجّاج عنها وصار محمد بن مروان أمير العراق، وإن أبى أهل العراق قبول ذلك فالحجّاج أمير الجماعة ووالي القتال، ومحمد بن مروان، وعبد الله بن عبد الملك في طاعته.

وحاول الحجّاج عبثاً أن يعيد عبد الملك بن مروان النظر ثانية في عزله، فأبى عبد الملك إلا عرض عزل الحجّاج على أهل العراق!

وخرج عبد الله بن عبد الملك إلى جموع أهل العراق وعلى رأسهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقال: «يا أهل العراق! أنا ابن أمير المؤمنين، وهو يعطيكم كذا وكذا».

وخرج محمد بن مروان فقال: «أنا رسول أمير المؤمنين، وهو يعرض عليكم كذا وكذا....».

فقال أهل العراق: نرجع العشيّة!

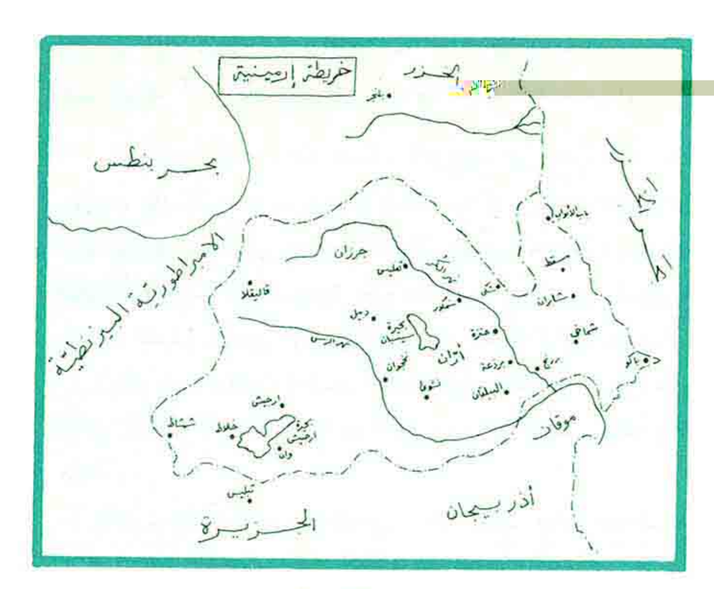
واجتمع أهل العراق عند ابن الأشعث، فقال لهم: «قد أعطيتم أمراً، انتهازكم اليوم إياه فرصة، وإنكم اليوم على النصف، فإن كانوا اعتدّوا عليكم يوم (الزّاوية)، فأنتم تَعتدُّون عليهم بيوم (تُستَر)، فأقبلوا ما عرض عليكم، وأنتم أعزاء أقوياء لقوم هم لكم هائبون وأنتم لهم منتقصون، فوالله لا زلتم عليهم جُرّاء وعندهم أعزّاء أبداً ما بقيتم إن قبلتم».

ووثب الناس من كل جانب، فقالوا: إن الله قد أهلكهم فأصبحوا في الضنك والمجاعة والقِلّة والذلة، ونحن ذوو العدد الكثير والسّعر الرّخيص والمادة القريبة، لا والله لا نَقْبل!!

وأعاد أهل العراق خلع عبد الملك ثانية، فقال عبد الله بن عبد الملك، ومحمد بن مروان للحجّاج: «شأنك بعسكرك وجندك، واعمل برأيك، فإنا قد أمرنا أن نسمع لك ونطيع». فقال: «قد قلت إنه لا يُراد بهذا الأمر غيركم»، فكانا يسلّمان عليه بالإمرة ويسلم عليهما بالإمرة أيضاً.

وجعل كل من الحجّاج وابن الأشعث قواته على تعبئة: ميمنة، وميسرة، ومقدّمة، ومؤخّرة، وساقة، وجعلا على كل تشكيل من تشكيلات القتال قائداً مسؤولا، وجعل ابن الأشعث على القرّاء — وهم علماء المسلمين وقادة الفكر الإسلامي والفقهاء والمحدّثون — قائداً.

وأخذ الجانبان يتزاحفان كل يوم ويقتتلان، وأهل العراق تأتيهم موادهم التموينية من الكوفة وسوادها، وهم في خصب، وأهل الشام في



★ خريطة إرمينية ★

ضنك شديد ، قد غلت عليهم الأسعار ، وفُقِدَ عندهم اللحم ، كأنهم في حصار .

وكان القرّاء أشد الناس ثباتاً واستبسالا من أصحاب ابن الأشعث ، وكانوا قد شكلوا كتيبة منهم هي : **كتيبة القراء** ، فعبّأ الحجّاج لكتيبة القرّاء ثلاث كتائب ، فحملوا على كتيبة القرّاء ثلاث حملات متعاقبة ، كل كتيبة حملت حملة واحدة ، فلم يبرحوا مواضعهم وصبروا[٣١] ، وصابروا وثبتوا ، وحملوا على كتائب الحجّاج الثلاث حتى أزالوها وفرَّقوها ، ثم تقدموا حتى واقعوا صفوفهم فأزالوها .

واستمر الاقتتال بين الإخوة مئة وثلاثة أيام ، فقد كان نزول عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث (**دير الجماجم**) لثلاث مضين من ربيع الأول ، وكانت الهزيمة لأربع عشرة مضين من جمادى الآخرة ، حيث انتصر الحجّاج على ابن الأشعث بعد قتال مديد مرير[٣٢] .

وعاد محمد بن مروان إلى الموصل ، وعاد عبد الله بن عبد الملك إلى الشام ، ورجع الحجّاج إلى الكوفة .

وأتى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث البصرة ، فاجتمع إليه من المنهزمين جمع كثير ، وبايعه خلق كثير على الموت ، فاجتمعوا بـ(**مسكن**)[٣٣] ، ولكن قواته انهزمت أمام قوات الحجّاج .

وبدأت مطاردة قوات الحجّاج لفلول ابن الأشعث فقاتلت قوات ابن الأشعث في انسحابها بمواضع متعاقبة كثيرة ، حتى وصل ابن الأشعث (رُتبيل)[٣٤] ، وأخيراً مات أو قُتل في اختلاف كثير بالروايات ، فانتهت حروب داخلية طاحنة ، تكبد فيها الجانبان خسائر لا تُعد ولا تُحصى[٣٥] .

وقضى ابن الأشعث نحبه سنة خمس وثمانين هجرية[٣٦] (٧٠٤ م) .

وكانت عودة محمد بن مروان بن الحكم إلى مدينة الموصل بعد انتصار الحجّاج على ابن الأشعث في معركة (دير الجماجم) الحاسمة سنة ثلاث وثمانين هجرية (٧٠٢ م) ، وكان قد قَدِم العراق سنة اثنتين وثمانين هجرية (٧٠١ م) .

وقد أردت من إبراز أهم معالم هذه الثورة ، إظهار أثر محمد بن مروان فيها وتأثيرها فيه .

وهدفي من تسليط الأضواء على أبرز معالم الاقتتال بين الإخوة في هذه الثورة ، هو إظهار أهمية الواجب الذي حمله محمد بن مروان في تلك الأيام العصيبة التي كادت تعصف بالدولة عصفاً .

إن محمداً لم يكن قائداً في المعارك التي خاضها الحجّاج ، ولكن الحجّاج لم يكن يغفل محمداً في مجال الرأي ورسم الخطط ، ودعم قوات الحجّاج مادياً ومعنوياً .

أما **الدعم المادي** ، فمن الواضح أن عبد الملك حشد كل طاقاته المادية لإحراز النصر ، وقد كان للمال – وهو عصب الحرب – أثر حاسم في إحراز هذا النصر ، لأن أكثر المقتتلين من الجانبين كان يهم بجيبه أكثر مما يهتم بقلبه .

أما **الدعم المعنوي** ، فوجود أخ الخليفة وابنه بين المقتتلين يؤثر في المعنويات تأثيراً كبيراً : يرفع معنويات الحجّاج وقواته ، ويزعزع معنويات ابن الأشعث ورجاله .

وكما أثر محمد بن مروان في المعارك ونتائجها ، فقد أثرت فيه شخصياً : أغنت تجاربه في القيادة وإدارة القتال ، وفي معرفة الطبيعة البشرية للمقاتلين في أثناء القتال ، وفي معرفة طاقاتهم وكفاياتهم ، كما وضعت معلوماته العسكرية في محك التطبيق العملي ، فجعلته يعيش في جو المعارك بما فيها من صعوبات ومشاق ومآسٍ ، وهو ما نطلق عليه اليوم في المصطلحات العسكرية الحديثة : **تطعيم المعركة** .

في ميدان الجهاد

لما كانت ثورة عبد الله بن الزبير ، انتقضت **إرمينية**[٣٧] ، لأن الإخوة الفاتحين شغلوا بالاقتتال بينهم ، فانتقضت أكثر البلاد المفتوحة .

وفي سنة ثلاث وسبعين هجرية (٦٩٢ م) استعمل عبد الملك بن مروان أخاه محمداً على الجزيرة (**جزيرة ابن عمر**) وإرمينية ، فغزا منها وأثخن في العدو[٣٨] ، وهزم الروم[٣٩] وقتل وسبى وغلب على البلاد[٤٠] .

وفي سنة أربع وسبعين هجرية (٦٩٣ م) ، غزا الصائفة الروم فبلغ (أندولية)[٤١] ، وعاد منها منتصراً .

وفي سنة خمس وسبعين هجرية (٦٩٤ م) ، غزا الصائفة الروم ، فخرجت الروم في جمادى الأولى من هذه السنة من قِبَل (**مرعش**) إلى الأعماق[٤٢] ، فالتقى المسلمون بعمق مرعش بالروم ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فهزمت الروم واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون[٤٣] .

وفي سنة ست وسبعين هجرية (٦٩٥ م) ، غزا الروم من ناحية (**ملطية**)[٤٤] .

وفي سنة اثنتين وثمانين هجرية (٧٠١ م) ، غزا إرمينية فهزمهم ،

ولكنهم قتلوا وكيله عليها غدراً بعد أن صالحهم محمد[٤٥].

وفي سنة خمس وثمانين هجرية (٧٠٤م)، غزا إرمينية فصاف فيها وشتى[٤٦].

وهكذا نهض محمد في أكثر سني حكمه للجزيرة وإرمينية بالغزو، ومصاولة الروم، وأهل إرمينية، فاستعاد فتح إرمينية وشطراً من بلاد الروم ونجح في قيادته.

الإنسان

بدأ محمد حياته العملية سنة خمس وستين هجرية (٦٨٤م)، إذ سيَّره أبوه مروان بن الحكم إلى (**الجزيرة**) التي كانت تحت سيطرة عبد الله بن الزبير، كما ذكرنا سابقاً، فبدأ حياته بمهمة صعبة للغاية، فلم يتردد في تحمل مسؤوليته كاملة، وبذل قصارى جهوده من أجل إنجاحها.

ويبدو أنه أصبح بعد وفاة أبيه مروان بن الحكم، أحد أعضاء مجلس الشورى لأخيه عبد الملك بن مروان، وكان عضواً فاعلاً مؤثراً في هذا المجلس، يستشار فيشير فيعمل بمشورته، فقد أشار على عبد الملك بالمسير إلى مصعب بن الزبير في العراق، وأشار غيره بخلاف ذلك، فعمل عبد الملك بمشورة أخيه محمد، وغض الطرف عن مشورة غيره.

وقد استعمله أخوه عبد الملك على الجزيرة وإرمينية سنة ثلاث وسبعين هجرية (٦٩٢م) وبقي على عمله طيلة حياة أخيه عبد الملك الذي توفي سنة خمس وثمانين هجرية[٤٧] (٧٠٤م) وشطراً من حياة الوليد بن عبد الملك الذي عزله سنة خمس وثمانين هجرية[٤٨] (٧٠٩م)، بعد أن أمضى في ولايته ثماني عشرة سنة أعاد فيها سيطرة الدولة على الجزيرة وإرمينية واستعاد فتح الأجزاء التي انتقضت منها.

وكان محمد يتمتع بشخصية قوية نافذة وكان شجاعاً قوياً وكان أخوه عبد الملك يغبطه على سجاياه المتميزة، فلما انتظمت الأمور لعبد الملك أظهر ما في نفسه لمحمد، فتجهز محمد ليسير إلى إرمينية. وجاء محمد ليودع أخاه عبد الملك قبل رحيله، فسأله عبد الملك عن سبب مسيره فأنشد:

وإنك لا ترى طرداً لحُرٍ ... كالصاق به بعض الهوان

فلو كنا بمنزلة جميعاً ... جريتُ وأنت مضطربُ العِنان

فقال له عبد الملك: «أقسمت عليك لتقيمَنَّ، فوالله، لا رأيتَ مني ما تكره»، ثم صَلُحَ له[٤٩].

ويبدو أن عبد الملك بعد أن تيقَّن من إصرار أخيه محمد على السير إلى إرمينية، استعمله عليها تداركاً للموقف ومنعاً للانشقاق في العائلة الواحدة وبين الإخوة منها.

ولما أراد الوليد بن عبد الملك، عزل محمد عن الجزيرة وإرمينية، طلب من يسد مكانه، فلم يقدم عليه أحد إلا **مسلمة بن عبد الملك**[٥٠]، وهذا دليل آخر على قوة شخصية محمد بن مروان.

ويظهر أن الوليد عزل عمّه محمداً، لأنه توقف عن الغزو لمدة ست سنوات، فقد كانت آخر غزوة له في المنطقة سنة خمس وثمانين هجرية كما أسلفنا ولم يغز بعدها حتى عزل سنة إحدى وتسعين هجرية، مع أن المنطقة بحاجة ماسة إلى استمرارية الغزو دفاعاً عن الحدود الشمالية والشمالية الشرقية بالهجوم، والهجوم أنجع وسائل الدفاع كما هو معروف.

كما أن إرمينية بخاصة انتقضت أكثر أجزائها، فكان لا بد من غزو المناطق المنتقضة لاستعادة فتحها مرة أخرى، بينما بقي محمد مُسْتَكناً بلا حركة.

ولعل له عذراً سكت عنه المؤرخون، وقد يكون عذره أنه شاخ لتقدّمه في العمر أو مرض، فآثر السكون على الحركة، في وقت تكاثرت فيه الاضطرابات في إرمينية من جهة وتزايد نشاط الروم من جهة ثانية، لهذا بادر مَسْلَمَة بن عبد الملك[٥١]، بالغزو واستعاد فتح إرمينية ودوَّخ الروم بعد استعماله على إرمينية وأذربيجان مباشرة.

وقد كان لمحمد فضل كبير في انتصار أخيه عبد الملك على ثورتي ابن الزبير وابن الأشعث في العراق كما فصّلناه في الحديث عن: توطيد الأمن الداخلي، من هذا البحث.

وكانت لمحمد همة عالية في البناء، والتعمير، ففي سنة خمس وثمانين هجرية أمر ببناء مدينتيْ: (أردبيل) التي هي من أشهر مدن أذربيجان، و (برذعة) التي تعتبر من إرمينية الأولى على رأي قسم من الجغرافيين القدامى[٥٢].. كما أنه بنى سور مدينة الموصل سنة ثمانين هجرية[٥٣].

وقد كان يهتم بالقضايا الاقتصادية، فحوى بحيرة (الطِّرِّيْخ) في صيدها وباعه، وكان يستغل هذه البحيرة ثم صارت لولده مروان بن محمد بن مروان[٥٤]، من بعده، وكانت منذ فتحها **حبيب بن مسلمة الفهري** مباحة[٥٥].

وبحيرة (**الطريخ**) سميت باسم السمك الذي يعيش فيها، وهو نوع من السمك الصغار الذي يعالج بالملح فيؤكل، يبلغ طول الواحدة منه حوالي شبر واحد، ويكثر في موسم صيده ويصاد بالأيدي والآلات المصنوعة، ويصدر إلى إرمينية وخارجها بعد تمليحه ويشبه سمك (الشبُّوط) ولا يزال يصطاد بكثرة من هذه البحيرة حتى اليوم.

وهذه البحيرة هي بحيرة (أرْجيش)، ويطلق عليها الجغرافيون العرب اسم بحيرة (خِلاط) وذلك لقربها من هذه المدينة، وتسمى بحيرة (وَان) حالياً، وتقع إلى الجنوب من مدن (خِلاط) و (أرجيش) وشرقي مدينة (خلاط) على مسافة يوم منها[٥٦].

ولم يفكر الفاتحون الأولون باستغلال ثروات هذه البحيرة من الأسماك وغيرها ولم يفرضوا ضريبة مالية على الصيادين، لأنهم اعتبروها من الثروات الطبيعية المشاعة بين الناس كافة تطبيقاً لتعاليم الإسلام في أمثالها

من الثروات ، لذلك اعتبر المؤرخون استغلال محمد لأسماك البحيرة لمصلحته الشخصية نوعاً من الاحتكار غير المشروع ، فقالوا : « وكانت بحيرة (الطِّرِّيخ) التي بأرض إرمينية مباحة لم يعرض لها أحد ، بل يأخذ منها من شاء ، فمنع محمد بن مروان من صيدها ، وجعل عليها من يأخذه ويبيعه ويأخذ ثمنه ، ثم صارت بعده لابنه مروان ، ثم أخذت منه لما انتقلت الدولة عنهم ، وهي إلى الآن على هذه الحال من الحَجْر ، ومن سَنّ سُنّة سيّئة كان عليه وِزْرُها ووزر مَنْ عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شيء »[٥٧] .

ومن حق المؤرخين وغيرهم أن يلوموا محمداً على استئثاره بالثروة السمكية واحتكاره لها ، فما كان ينبغي له أن ينحرف عن سنن من سبقه من القادة الفاتحين .

وكان مروان بن الحكم قد ولد : عبد الملك ، ومعاوية ، وأم عمرو ، وعبيد الله ، وأباناً ، وداود ، وعبد العزيز ، وعبد الرحمن ، وأم عثمان ، وعَمْراً ، وأم عمرو ، وبشراً ، ومحمداً[٥٨] ، فهو عاشر إخوته الذكور .

وأم محمد أم ولد[٥٩] ، وقد ولد لمحمد : مروان أمير المؤمنين ، ويزيد الذي كان من الفضلاء والنسّاك ، ومنصور ، وعبد العزيز ، وعبد الرحمن[٦٠] .

ولا نعرف متى وُلد محمد بن مروان ، لأن المصادر التي بين أيدينا واطلعنا عليها أغفلت ذلك . ولكن يمكن استنتاج سنة مولده دون القطع بأن استنتاجنا مصيب ، وإنما هو محاولة حسب .

فقد ولد ابنه البكر مروان بن محمد سنة ست وسبعين هجرية[٦١] ، (٦٩٥ م) ، كما أن محمد بن مروان تولى أول منصب له سنة خمس وستين هجرية (٦٨٤ م) ، وكانوا يولون ذوي الكفايات العالية من أبناء الخلفاء وإخوتهم في سن العشرين بشكل عام ينقص قليلاً أو يزيد قليلاً .

ويمكن أن نستنتج أن محمد بن مروان ولد سنة خمس وأربعين هجرية (٦٦٥ م) ، قبل ذلك بسنوات أو بعد ذلك بسنوات . . وقد توفي محمد ابن مروان سنة إحدى ومئة هجرية[٦٢] ، (٧١٩ م) .

لقد كان إدارياً حازماً ، قويّ الشخصية ، ألمعيّ الذكاء ، حريصاً على جمع هذا المال ، رجل دولة في تفكيره وتنفيذه ، خدم الدولة في ميداني الإدارة والقيادة .

القائد

كان محمد بن مروان على مقدمة أخيه عبد الملك في المعركة التي دارت بين عبد الملك ومصعب بن الزبير في العراق[٦٣] .

ومن المعروف أن قائد المقدمة يتميز بصفات قيادية كثيرة منها : سرعة الحركة ، والاندفاع السريع الأمين ، وإعطاء القرارات الفورية السليمة ، والذكاء الخارق ، وسبق النظر ، واليقظة التامة ، والحذر الشديد ، وذلك لحماية الجيش من كمائن العدو ، وحرمان العدو من التصدي للجيش وعرقلة مسيرته ، ومنع العدو من الحصول على المعلومات عن قواته المتقدمة ، تعدادها وتسليحها ، وقيادتها ، ونياتها ، ومواطن الضعف فيها .

ومن الصعب أن ينتصر جيش من الجيوش على عدوه ، إذا كانت مقدمته ضعيفة في قيادتها ، لذلك يحرص القادة المتميزون أعظم الحرص على اختيار قادة مُقدِّمات جيوشهم ، ليكون حسن اختيارهم لهم أول ضمانات النصر .

إن اختيار عبد الملك أخاه محمداً ليقود مقدمته في حرب قد يؤدي الاندحار فيها إلى انهيار الدولة الأموية وإلى نتائج خطيرة ، دليل قاطع على ثقة عبد الملك الكاملة بكفاية محمد القيادية ، وتمتعه بمزايا قائد المقدِّمة المعروفة .

وقد كان محمد أشد بني مروان ، وهو قاتل إبراهيم بن الأشتر ومصعب بن الزبير[٦٤] ، وهذا دليل على تميزه بالشجاعة والإقدام وتحلّيه بالضبط المتين ، وثقته الكاملة بنفسه ، وقوة شخصيته .

ولعل هذه الصفات القيادية هي التي جعلت أباه مروان بن الحكم يوليه قيادة مستقلة في (**الجزيرة**) من بين سائر إخوته ، وهذا دليل على تميّزه عليهم في كفاياته القيادية ، ولولا أنه كان أصغرهم سناً ، وأمه أم ولد — ولم يكونوا يولّون أمثاله الخلافة حينذاك — لكان له شأن في تولي الخلافة .

وقد ذكرنا أن أخاه عبد الملك بن مروان وهو من هو كفاية وعلماً واقتداراً ، كان يغبطه على كفاياته المتميزة العالية ، فآثر محمد أن يرحل عن دمشق بعيداً عن العاصمة ، حتى لا تؤدي غبطة عبد الملك له إلى احتكاك محتمل لا مسوّغ له . فولاه أخوه عبد الملك الجزيرة وإرمينية بعد أن وضعت الحرب أوزارها ، واستقرت أمور الخلافة ، وعادت الوحدة الشاملة إلى أرجاء شبه الجزيرة العربية بخاصة ، وأنحاء الدولة الإسلامية بعامة ، أما قبل القضاء على الفتن والقلاقل والاضطرابات الداخلية ، فقد استأثر عبد الملك بأخيه محمد ، وأبقاه معه ، وكلفه بأصعب الأمور وأعقدها ، للاستفادة من كفاياته المتميزة العالية .

لقد تهيّأ له **الطبع الموهوب ، وهي السجية الأولى في القيادة** ، في ذكائه الخارق ، وسرعة بديهته ، وثقته بنفسه ، وشخصيته القوية المؤثرة ، وشجاعته وإقدامه ، وتمتعه نتيجة لكل ذلك بالمعنويات العالية .

وتهيّأ له **العلم المكتسب ، وهي السجية الثانية في القيادة** : في تعلمه الفنون العسكرية نظرياً وعملياً ، وتفوقه على أضرابه في تعلم هذه الفنون ، وتلقي أساليب التطبيق العملي لها في محيط أعلى مستويات القيادة العسكرية والإدارية والسياسية ، باعتباره من بيت الخلافة واتصاله المباشر بتلك المستويات القيادية الرفيعة .

وعلى أهمية الطبع الموهوب ، فإن العلم المكتسب يهذب هذا الطبع ويصقله ، ويجعله يؤتي ثمراته المرجوة على أفضل الوجوه .

وتهيّأت له **التجربة العملية** ، من سنة ثلاث وستين هجرية إلى سنة خمس وثمانين هجرية في ساحات الجزيرة والعراق وإرمينية فأغنى طبعه الموهوب وعلمه المكتسب بالتجربة العملية التي امتدت اثنتين وعشرين سنة ، قائداً مستقلاً في الجزيرة ، وقائداً مرؤساً للخليفة مباشرة وهو القائد الأعلى للدولة في العراق ، وقائداً ووالياً في الجزيرة وإرمينية ، وبذلك أفنى زهرة شبابه وكهولته في التجربة العملية ، التي بدونها يكون القائد نظرياً لا عملياً وقادراً على إزجاء النظريات فحسب لا على التطبيق العملي .

ولم تقتصر مهمته التطبيقية على القيادة في ميادين القتال ، بل شملت إعطاء المشورة للخليفة باعتبار محمد أحد أعضاء مجلس شورى الخليفة البارزين ، إن لم يكن أبرز أعضاء هذا المجلس وأكثرهم أثراً وتأثيراً في الخليفة عبد الملك بن مروان ، والخلفاء الذين تعاقبوا على تولي الخلافة من بعد عبد الملك بن مروان ، حتى انقضى أجله ففارق الحياة .

كما لم تقتصر تجربته العملية على حرب مصعب بن الزبير وعبد الرحمن ابن الأشعث الكندي في العراق لتوطيد الأمن الداخلي ، وعلى حرب الروم في الجزيرة وبلاد الروم وعلى حرب الخزر والترك وغيرهم من الملل والنّحل في إرمينية ، بل شملت كثيراً من قمع الاضطرابات المذهبية في أرجاء ولايته الشاسعة : الجزيرة وإرمينية .

وكمثال واحد على ما عاناه من تجارب عملية في ميدان الاقتتال المذهبي ، هو ثورة **ثورة صالح بن مسرح التميمي** أحد بني امرئ القيس بن زيد مناة من تميم الذي كان يرى رأي الصّفرية من الخوارج وهو أول من خرج فيهم[٦٥] .

وكان صالح بن مُسَرِّح التميمي رجلاً ناسكاً مصفرّ الوجه صاحب عبادة وكان بـ(دارا)[٦٦] ، وأرض الموصل والجزيرة ، وله أصحاب يقرأ بهم القرآن والفقه ويقص عليهم ، فدعاهم إلى الخروج وإنكار الظلم وجهاد المخالفين لهم ، فأجابوه وراسل صالح أصحابه بذلك ، فتلاقوا به ، كما التحق به **شبيب الخارجي** وأتباعه ، فتعاظم خطره على الأمن .

وبثّ صالح رسله ، وواعد أصحابه الخروج إلى ذلك هلال صَفَر سنة ست وسبعين هجرية (٦٩٥ م) ، فاجتمعوا عنده تلك الليلة .

ووعظ صالح أصحابه وأمرهم بأمره وقال لهم : « إن أكثركم رجّالة ، وهذه دواب لمحمد بن مروان فابدأوا بها ، فاحملوا عليها رجالكم ، وتقوّوا بها على عدوكم » .

وخرج صالح على رأس أصحابه تلك الليلة ، فأخذوا الدواب واحتملوا عليها ، وأقاموا بأرض (دارا) ثلاث عشرة ليلة . وتحصّن منهم أهلها وأهل (نصيبين) و (سِنْجار)[٦٧] .

وبلغ محمداً مخرجُهم ، فبعث إليهم جيشاً بقيادة عَدِي بن عَدِي الكندي ، فهزمهم صالح ، فبعث إليهم جيشين آخرين ، كل جيش منهما تعداده ألف وخمسمائة فكبدهما صالح خسائر فادحة ، ولكنه آثر الانسحاب من المنطقة ، لأن رجاله كانوا مئة وعشرين رجلاً !!

ودخل صالح منطقة (الدَّسْكَرَة)[٦٨] وهي ضمن ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي وخارج ولاية محمد بن مروان ، فتولى الحجاج معالجة الموقف[٦٩] .

وهكذا تخلص محمد بن مروان من ثورة الخوارج ، وأعاد الأمن والاستقرار إلى أرجاء ولايته .

لقد اجتمعت في محمد بن مروان السجايا الثلاث للقائد المتميز : الطبع الموهوب ، والعلم المكتسب والتجربة العملية ، وهذه السجايا الثلاث قد لا تجتمع في قائد واحد إلا نادراً .

وكانت لمحمد عقليّة تنظيمية واضحة ، فقد سأل عبد الملك بن مروان تجنيد الجزيرة فوافق عبد الملك على اقتراح محمد ، وكانت الجزيرة تابعة إلى (قِنّسْرين) قبل تجنيدها . وقد اختلفوا في تسمية الأجناد ، فقال بعضهم : سمى المسلمون فِلَسْطين جُنْداً لأنه جمع كوَراً ، وكذلك دِمشق والأرْدُنْ وحمص وقِنّسْرين ، وقال بعضهم سُمِّيَتْ كل ناحية لها جند يقبضون أطماعهم بها جنداً[٧٠] ، والرأيان سديدان .

وهكذا أصبحت الجزيرة جنداً مستقلاً عن قِنّسْرين ، فصار جندها يأخذون أطماعهم بها من خراجها[٧١] ، وبذلك ضمن محمد السيطرة الكاملة في ولايته على رجاله المقاتلين .

وعند تطبيق مبادئ الحرب على مزايا محمد القيادية ، نجد أنه كان قائداً (تعرّضيًا) ، يطبق الحرب السيارة ، ويدافع عن الحدود والثغور بالتعرض لا بالدفاع المُسْتكن ، ويرى بحق أن الهجوم أفضل أساليب الدفاع .

وبالأسلوب التعرضيّ ، حمى محمد الحدود الشمالية ، والشمالية الشرقية للدولة ، ونقل القتال من مواضع المسلمين إلى مواضع الروم وأهل إرمينية ، وجنب بلاد المسلمين خسائر القتال ، واستعاد فتح شطر من بلاد الروم وإرمينية .

وكان يطبق **مبدأ (التحشد)** في غزواته ، فيحشد القوة المناسبة للعمل المناسب في المكان والزمان المناسبين ، كما يحشد القوات المناسبة في القواعد الأمامية ، للدفاع عنها في حالة تعرضها لهجوم مفاجئ غير متوقع زماناً أو مكاناً .

وكان يطبق **مبدأ (الأمن) في مسير الاقتراب** ، وفي صفحة الاشتباك بالعدو ، كما كان يضع الحاميات في الأماكن الحساسة ويحصّنها تحصيناً متميزاً _ كما فعل في تحصين (أرْدَبِيل) و (بَرْذَعة) و (الموصل) _ فأمن الدفاع عنها بسهولة ويسر ، وجعلها قواعد أمامية متقدمة أمينة لحمايتها أولا ، وللانطلاق منها للفتح ثانياً ، وللاستناد عليها لاستعادة فتح البلاد المنتقضة .

وبهذه التدابير الأمنية صان البلاد وأهلها من مباغتة العدو لها ولهم في مختلف صفحات القتال التي خاضها ، وفي أيام ولايته أيضاً ، فلم ينكب المسلمون على عهده الطويل نسبياً أبداً .

والحق أنه برز في قيادة المقدمة ، مما يدل على أنه قائد يطبّق مبدأ

(الأمن) نصاً وروحاً .

وكان يطبّق **مبدأ (اختيار المقصد وادامته)** ، فقد كان دائماً يعرف ما يريد ، ويحاول أن يتوصل إليه من أقرب الطرق وأنجع الوسائل ولا يتخلى عما يريده ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

وكان يطبّق **مبدأ (المباغتة)** ، ولعل مشورته لعبد الملك بمبادرة مصعب بن الزبير على جناح السرعة ، كان مباغتة كاملة لمصعب لم يكن يتوقعها ، فهي مباغتة بالزمان ، كما أن اندفاعه في مقدمته للاقتتال واندفاعه إلى الصفوف الأمامية من المقدمة لمراقبة الموقف الراهن شخصياً مباغتة بالزمان والمكان أيضاً .

وكان يطبّق **مبدأ (الاقتصاد بالجهود)** ، فيضع القوات المناسبة بالمكان المناسب دون زيادة ولا نقصان .

وكان يطبّق **مبدأ (المرونة)** ، فليست خططه العسكرية قوالب جامدة ، بل هي قابلة للتحوير حسب الموقف الراهن .

وكان يطبّق **مبدأ (التعاون)** ، فقد ساد هذا المبدأ بين المقدمة والقسم الأكبر من الجيش في حرب مصعب بن الزبير ، ولولا هذا التعاون الوثيق لما كتب النصر في ذلك الاقتتال أبداً .

كما أن هذا المبدأ ساد سيادة مطلقة بين قواته التي بإمرته في الجزيرة وإرمينية ، فهي تعمل بتعاون وانسجام ، كما ساد هذا المبدأ بين قواته كافة وقوات الدولة في جميع الظروف والأحوال .

كما كان يطبّق **مبدأ (إدامة المعنويات)** ، لأنه يعلم أهمية المعنويات العالية في إحراز النصر ، فلا يغفل عن إدامتها في حالتي السِّلم والحرب .

وكان يطبّق **مبدأ (الأمور الإدارية)** ، فأشاع البناء والتعمير ، وفرض الاستقلال المالي على جنوده ، فجعل الجزيرة جنداً يتقاضى مرتباته من بيت المال الذي يسيطر عليه ولم يتركهم خاضعين لبيت مال لا يسيطر عليه .

لقد عاش محمد بن مروان في أيام اضطراب الدولة وفي أيام استقرارها ، ولكن الدولة حتى في أيام استقرارها كانت كالمريض الذي شفي من مرضه القاسي المرير ، ولكنه في مدة النقاهة لا في مدة الشفاء الكامل ، ولولا تلك الظروف وهو من هو في مزاياه القيادية ، لكان له شأن آخر في الفتوح ، واستعادة الفتوح ، ولترك بصماته الظاهرة الباقية في الفتوح ومصير الدولة في حاضرها ومستقبلها .

وحسبه أنه بذل غاية جهوده في خدمة الدولة قائداً وإدارياً ، ولكن الظروف الراهنة التي عايشها حرمته ليس من النجاح بل من التميز في النجاح .

محمد بن مروان في التاريخ

يذكر التاريخ لمحمد بن مروان ، أنه كان من ألمع إخوته ، إن لم يكن ألمعهم ذكاءً وشجاعة وكفاية واقتداراً .

ويذكر له ، أنه أعان الدولة على التخلص من أخطر ثورتين عارمتين هددت الدولة بالزوال ثورة ابن الزبير وثورة ابن الأشعث .

ويذكر له ، أنه كان رجل دولة بكل ما يعنيه هذا التعبير قائداً وإدارياً .

ويذكر له ، أنه استعاد فتح شطر بلاد الروم وشطر إرمينية ، وحمى الحدود الشمالية والشمالية الشرقية من الروم وغيرهم من الأمم .

ويذكر له ، أنه كان قائداً فذاً ، لو ساعدته الظروف لكان له شأن أي شأن .

يرحمه الله جزاء ما قدم للدولة وللمسلمين من جهد وجهاد .

الحواشي

(١) انظر التفاصيل في طبقات ابن سعد (٥/٢٢٣) ، وتهذيب الأسماء واللغات (١/٢٠٩) ، وجمهرة أنساب العرب (١٠٣ ـ ١٠٥) ، وفوات الوفيات (٢/٣١) .

(٢) جمهرة أنساب العرب (٨٧) .

(٣) انظر التفاصيل في كتابنا : قادة فتح المغرب العربي (٢/١١٣ ـ ١١٤) .

(٤) العبر (١/٧١) .

(٥) الطبري (٥/٦٢٢) .

(٦) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح المغرب العربي (٢/٣٦ ـ ٩٢) .

(٧) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح المغرب العربي (٢/٩٥ ـ ١٥٢) .

(٨) انظر سيرته في : الولاة وكتاب القضاة (٤٢ ـ ٥٨) ، والنجوم الزاهرة (١/١٧١ ـ ٢١٠) .

(٩) انظر التفاصيل في : ابن الأثير (٤/٢٩٧ ـ ٣٠٣) .

(١٠) قرقيسيا : بلد على نهر الخابور (خابور الفرات) عند مصب الخابور بالفرات ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/٥٩ ـ ٦٠) .

(١١) مسكن : موضع على نهر دجيل عند دير الجاثليق .

(١٢) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح المشرق الإسلامي .

(١٣) انظر التفاصيل في : الطبري (٦/١٥١ ـ ١٦٢) ، وابن الأثير (٤/٣٢٣ ـ ٣٣٦) ، وانظر المعارف (٢٢٤) .

(١٤) العبر (١/٨٠ ـ ٨١) .

(١٥) العبر (١/٨٠) .

(١٦) العبر (١/٧٨) .

(١٧) العبر (١/٨٥) ، وشذرات الذهب (١/٨٣) .

(١٨) ابن الأثير (٤/٤٥٠) .

(١٩) سجستان : اسم منطقة واسعة ، بينها وبين (هراة) عشرة أيام أو ثمانون فرسخاً ، وهي جنوب هراة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/٣٧) ، والمسالك والممالك للاصطخري (١٣٨) ، وآثار البلاد وأخبار العباد (٢٠١) .

(٢٠) الطبري (٦/٣٢٢) ، وابن الأثير (٤/٤٥٠) .

(٢١) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس بن معديكرب الكنديّ ،

انظر جمهرة أنساب العرب (٤٢٥)، وهو من أبطال العرب وأشرافهم وقادتهم وولاتهم.

(٢٢) انظر التفاصيل في: الطبري (٦/٣٢٦ ـ ٣٢٩)، وابن الأثير (٤/٤٥٤ ـ ٤٥٦).

(٢٣) فارس: ولاية واسعة وإقليم فسيح، أول حدودها من جهة العراق (أرجان)، ومن جهة كرمان (السيرجان)، ومن جهة ساحل بحر الهند (سيراف)، ومن جهة السِّند (مكران)، وقصبتها (شيراز). وفي هذه الولاية من أمهات المدن المشهورة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٣٢٤)، وتقويم البلدان (٣٢١ ـ ٣٣١)، والمسالك والممالك للاصطخري (٦٧ ـ ٨٤)، والمسالك والممالك لابن خرداذبّة (٤١ ـ ٤٣)، ومختصر كتاب البلدان (١٩٥ ـ ٢٠٥)، والأعلاق النفيسة (١٠٦)، وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (٤٢٠ ـ ٤٥٩)، وكتاب صورة الأرض (٣٣٤ ـ ٣٧٣).

(٢٤) تستر: أعظم مدينة بخوزستان، وهي تعريب: شوشتر، انظر التفاصيل في المسالك والممالك للاصطخري (٦٤)، وآثار البلاد وأخبار العباد (١٧٠)، ومعجم البلدان (٢/٣٨٦).

(٢٥) دجيل: نهر بالأهواز، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/٤١ ـ ٤٢).

(٢٦) الزاوية: موضع بالقرب من البصرة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/٣٧١).

(٢٧) ابن الأثير (٤/٤٦٥).

(٢٨) دير قُرَّة: دير بإزاء دير الجماجم، وهو ملاصق لطرف البر، ودير الجماجم مما يلي الكوفة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/١٦٢).

(٢٩) دير الجماجم: دير بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها، على طرف البر السالك إلى البصرة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/١٣١ ـ ١٣٢).

(٣٠) انظر سيرته المفصلة في كتابنا: قادة فتح بلاد الروم، وانظر مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد (٢) جمادى الأولى ١٤٠٠هـ، نيسان ١٩٨٠م ـ بغداد ـ ١٤٠٠هـ.

(٣١) انظر التفاصيل في الطبري (٦/٣٤٢ ـ ٣٥٠)، وابن الأثير (٤/٤٦٧ ـ ٤٧٢)، وانظر ابن خلدون (٣/١١٠)، والبدء والتاريخ (٦/٣٦)، والتنبيه والإشراف (٢٧٢).

(٣٢) انظر التفاصيل في الطبري (٦/٣٤٢ ـ ٣٥٠) وابن الأثير (٤/٤٦٧ ـ ٤٧٢).

(٣٣) مسكن: موضع قريب من (أوانا) على نهر (دُجَيْل) عند (دير الجاثليق)، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٥٤)، وأوانا: بليدة من نواحي (دُجَيْل) بغداد، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/٣٦٦) أقول وهي بالقرب من (سُمَيْكَة) التي أصبح اسمها: (الدُجيل) الحالية، والمكان معروف.

(٣٤) انظر التفاصيل في الطبري (٦/٣٦٦ ـ ٣٦٩)، وابن الأثير (٤/٤٨٢ ـ ٤٨٣).

(٣٥) انظر التفاصيل في الطبري (٦/٣٦٧ ـ ٣٨٣)، وابن الأثير (٤/٤٨٤ ـ ٤٩٤).

(٣٦) انظر التفاصيل في الطبري (٦/٣٨٩ ـ ٣٩٣)، وابن الأثير (٤/٥٠١ ـ ٥٠٢).

(٣٧) فتوح البلدان (٢٨٩).

(٣٨) ابن الأثير (٤/٢٦١).

(٣٩) الطبري (٦/١٩٤)، وتاريخ خليفة بن خياط (١/٢٦٧).

(٤٠) فتوح البلدان (٢٨٩).

(٤١) وردت في ابن الأثير (٤/٣٧٣) كذلك، ووردت في تاريخ خليفة بن خياط (١/٢٦٨): أندرلية وفي معجم البلدان (١/٣٤٥): أنْدرين، وهي قرية من قرى الجزيرة.

(٤٢) الأعماق: جمع عُمْق، وهي كورة قرب دابق بين حلب وانطاكية، انظر معجم البلدان (١/٢٩٢).

(٤٣) فتوح البلدان (٢٦٦) وانظر ابن الأثير (٤/٣٩١).

(٤٤) ابن الأثير (٤/٤١٨) وانظر تاريخ خليفة ابن خياط (١/٢٧٣).

(٤٥) ابن الأثير (٤/٤٧٦).

(٤٦) ابن الأثير (٤/٥١٤).

(٤٧) العبر (١/١٠٢).

(٤٨) تاريخ خليفة ابن خياط (١/٣٠٧)، وابن الأثير (٤/٥٥٥).

(٤٩) ابن الأثير (٥/٧٠).

(٥٠) ابن الأثير (٥/٧٠).

(٥١) انظر سيرته المفصلة في كتابنا: قادة فتح بلاد الروم، وفي فصل: استعادة الفتح من هذا الكتاب.

(٥٢) المسالك والممالك لابن خرداذبة (١٢٢)، وانظر العبر (١/١٠٥) حول بناء هاتين المدينتين وانظر فتوح البلدان (٢٨٨).

(٥٣) تاريخ الموصل (٢٥).

(٥٤) انظر سيرته المفصلة في كتابنا: قادة فتح بلاد الروم.

(٥٥) فتوح البلدان (٢٨١)، وابن الأثير (٤/٣٦١)، والنجوم الزاهرة (١/١٩٠).

(٥٦) تقويم البلدان (٤٢).

(٥٧) ابن الأثير (٤/٣٦١)، والنجوم الزاهرة (١/١٩٠).

(٥٨) المعارف (٣٥٤) وانظر جمهرة أنساب العرب (٨٧ ـ ٨٨).

(٥٩) جمهرة أنساب العرب (٨٧).

(٦٠) انظر التفاصيل في جمهرة أنساب العرب (١٠٧ ـ ١١٠).

(٦١) ابن الأثير (٤/٤١٨).

(٦٢) ابن الأثير (٥/٧٠)، وتاريخ خليفة بن خياط (١/٣٢٢)، والعبر (١/١٢١).

(٦٣) الطبري (٦/١٥٦)، والمعارف (٢٢٤).

(٦٤) المعارف (٣٥٥).

(٦٥) الطبري (٦/٢١٥)، وابن الأثير (٤/٣٩١).

(٦٦) دارا: بلدة في لحف جبل بين نصيبين وماردين من بلاد الجزيرة. انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/٥).

(٦٧) سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام. وهي في لحف جبل عال يسمى: جبل سنجار، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/١٤٤ ـ ١٤٦).

(٦٨) الدَّسْكَرَة: قرية كبيرة بنواحي نهر الملك غربي بغداد، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/٦٠).

(٦٩) انظر التفاصيل في الطبري (٦/٢١٦ ـ ٢٢٣)، وابن الأثير (٤/٣٩٣ ـ ٣٩٦).

(٧٠) فتوح البلدان (١٨٠).

(٧١) فتوح البلدان (١٨٠).

بين شاعرين

لورد بايرون ● علي محمود طه

البحر

هي قصيدة الشاعر الإنجليزي الشهير **لورد بايرون** (١٧٨٨ ـ ١٨٢٤ م) وهي من قصيدته المطولة المعروفة باسم «**قصيدة تشايلد هارولد**» ، وقد كان بايرون أحد شعراء الرومانسية في الشعر الإنجليزي الحديث ، وواحداً من شعراء الطبيعة الذين اشتهر منهم **جون كيتس** ، **وبيرسي شيللي** ، **ووليم وردز ورث** ، ولقد عاش **بايرون** حياته نهباً لصراع نفسي مرير بينه وبين نفسه ، وبينه وبين المجتمع من حوله ، وكان لولادته بقدم مشوهة أثر في إحساسه بفاجعة المصير ، وزاد من هذا الإحساس ، فقدان دفء الحب وحنان الوالدين ، فكان أن لجأ إلى الطبيعة إذ وجد فيها أملاً لا يتبدد ، وزاداً لا يغيض ، فالأبطال والعظماء يتساقطون في الميدان ، ولكن الطبيعة باقية ما بقي الزمان ، وها هو يتغنى بالبحر ، ويرى فيه صديقاً راسخاً على مر الأيام :

إلى البحر

تعد هذه القصيدة واحدة من أبرز قصائد الشاعر الرومانسي **علي محمود طه** (١٩٠٢ ـ ١٩٤٩ م) الذي كان قطباً من أقطاب مدرسة أبولو الشعرية ، التي تزعمها الشاعر **أحمد زكي أبو شادي** . وقد عاش **علي محمود طه** حياة هادئة حالمة ، تنعم بالجمال وتشدو للطبيعة ، فكان دائم الأسفار إلى البلاد الأوروبية ، شديد التأثر بالاتجاه الرومانسي في الشعر ، وخاصة شعراء البحيرة ، والشاعر الفرنسي **لا مارتين** . أصدر ديوانه الأول «**الملاح التائه**» عام ١٩٤٥ م ، وتتابعت دواوينه بعد ذلك «**ليالي الملاح التائه**» و«**زهر وخمر**» و«**أغنية الرياح الأربع**». غلب على شعره انسجام الأنغام الموسيقية ، وتصوير العواطف البشرية ، والتغني بجمال الطبيعة .

قصيدة ○ قصيدة

البحر

يا طيبَ عيش بين غاب موحش

أو فوق شط مقفر

في رفقة من لا بشرْ

في رفقة البحر العميق ، وسحر موسيقى الهدير الصاخب

الناس خُلّاني ولكن الطبيعة لي خليل أقرب

ولكم أفيق من الحياة لأختلي

بالكون في وَلَهٍ فيخفق بي الفؤادُ خفوقا

يعيا البيان به فليس يطاوله

وأنا أنوء به لما أقوى على كتمانه

* * *

فلتصطفق يا أيها البحر البعيد الغور ، تمعن في الغموض بصفحة زرقاء

فلتصطفق : كم في عبابك من أساطيل هزأت بها

أن يعبث الإنسان بالأرض

فحدودُ رقعته إلى الشطُّ

وبسطتَ أنت يديك فوق الماء

فأحلْتَ ما يجري عليه حطاما

حتى إذا لم يبْقَ غيرُ الناس فوقك طافيا

تهوي بهم فقاعةٌ فقاعةٌ للقاع

تهوي فلا قبرٌ ولا كفَن ولا دقات ناقوس

واهاً وما يدري بهم أحدُ

ما داس قط عليك إنسان بأقدام

وسهولك الزرقاء لم تكُ مغنماً للطامع

سرعان ما ترغي فتنفض عنك كل دخيل

* * *

إلى البحر

قِفْ من الليل مصغياً والعبابِ

وتأملْ في المزبداتِ الغضابِ

صاعداتٍ تلوك في شِدقها الصخر

وترمي به صدورَ الشعابِ

هابطات تئنُّ في قبضة الر

يح وتُرغي على الصخور الصلابِ

ذلك البحرُ : هل تشاهدُ فيه

غير ليلٍ من وحشة واكتئابِ ؟

ظلماتٌ من فوقها ظلماتٌ

تترامى بالمائج الصخّابِ

لا ترى تحتهنَّ غير وجود

من عباب وعالم من ضَبابِ

أيها البحر كيف تنجو من الليـ

ـل ؟ وأين المنجَى بتلك الرحابِ

هو بحرٌ أطمُّ لجًا وأطغى

منك موجاً في جيئةٍ وذهابِ

أوما تبصر الكواكب غرقى

في دياجيه كاسفاتٍ خوابي ؟

وترى الأرض في نواحيه حيرى

تسألُ السُحبَ عن وميضٍ وشهابِ

ويك يا بحر ما أنينك في الليـ

ـل أنينَ المروَّع الهيَّابِ

امض حتى ترى المدائنَ غرقى

وترى الكونَ زفرةً من عُبابِ

امض عبر السماء واطغ على الأفـ

ـلاك واغمر في الجوِّ مسرى العقابِ

ذاك أو يهتكَ الظلامُ دياجيـ

ـه وينضو ذاك السواد الكابي

وترى الشمس في مياهك تُلقي

خالصَ التبر واللجين المذابِ

* * *

أقبل الفجرُ في شفوفٍ رقاقٍ

يتهادى في منظر خلابِ

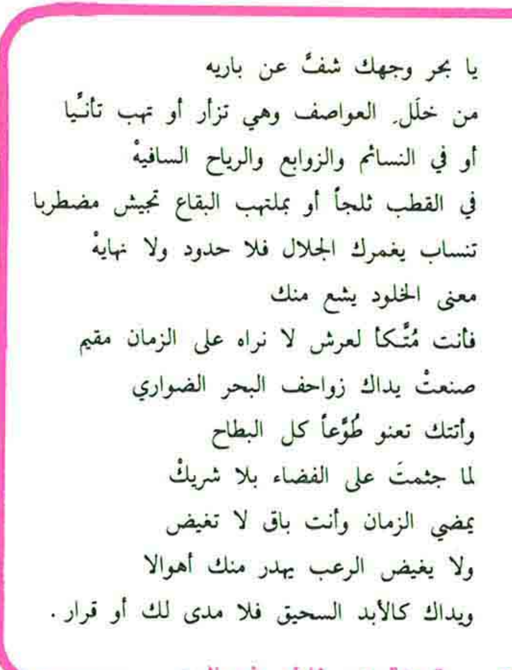
حُللٌ من وشائع النور زهر

يتماوجن في حواشي السحابِ

وإذا الشاطئُ الضحوك تغنى

حوله الطير بالأغاني العذابِ





يا بحر وجهك شفَّ عن باريه
من خلَلِ العواصف وهي تزأر أو تهب تأنّيا
أو في النسائم والزوابع والرياح السافيهْ
في القطب ثلجاً أو بملتهب البقاع تجيش مضطربا
تنساب يغمرك الجلال فلا حدود ولا نهايهْ
معنى الخلود يشع منك
فأنت مُتَّكأ لعرش لا نراه على الزمان مقيم
صنعتْ يداك زواحف البحر الضواري
وأتتك تعنو طَوْعاً كل البطاح
لما جثمتَ على الفضاء بلا شريكْ
يمضي الزمان وأنت باق لا تغيض
ولا يغيض الرعب يهدر منك أهوالا
ويداك كالأبد السحيق فلا مدى لك أو قرار .

« روائع من الشعر الإنجليزي .. ترجمة د . زاخر غبريال »

ونسيم الصباح يعبث بالغا
بِ ويثني ذوائبَ الأعشابِ
ومن الشمس جمرة في ثنايا الـ
ـموج يذكو ضرامُها غير خابي
ومن البحر جانب مطمئنٌ
قزحيُّ الأديم غضُّ الإهابِ
نزلت فيه تستحمُّ عذارى الـ
ضوء من كل بضةٍ وكعابِ
عاريات يسبحن في اليم لكنْ
لفها الرغو في رقيقِ الثيابِ

فإذا البحر يرقص الموج فيه
وإذا الطير صُدَّحٌ في الروابي
راقصات الأمواج علِّمْن قلبي
رقصات المغرِّدِ المطرابِ
وأفيضي عليه من سلسل الوحـ
ـي نميراً كالجدول المنسابِ
واستثيري عواطفي ودعيني
أسمعُ البحرَ أغنيات الشبابِ

★ ★ ★

لي وراء الأمواج يا بحرُ قلبُ
نازحُ الدار ما له من مآبِ
نزعته مني الليالي فأمسى
وهو مُلقىً في وحشة واغترابِ
ذكرياتٌ تُدني القصيَّ ولكنْ
أين مني منازل الأحبابِ
أنا وحدي هيمانُ في لجك الطا
مي غريق في حيرتي وارتيابي
أرمق الشاطئَ البعيدَ بعينٍ
عكفت في الدجى على التسكابِ
فسواء في مسمعي من ذراهُ
صدحةُ الطير أو نعيقُ الغرابِ
وسواء في العين شارقةُ الفجـ
ـر أو الليلُ أسودُ الجلبابِ
بيد أني أحسُّ فيك شفاءً
من سقامي ورحمة من عذابي
أنت مهد الميلاد والموت يا بحـ
ـر ومثوى الهموم والأوصابِ
فأنا فيك أطرحُ الآن آلا
مي وعبء الحياة والأحقابِ

« ديوان : الملاح التائه : علي محمود طه »



★ الأمير عبدالله الفيصل ★

★ محمود عارف ★

★ حسن عبدالله القرشي ★

أثر الصحراء في الشعر

بقلم: د. عبد الله الحامد

أكثر من باحث تحدث عن ظاهرة البداوة، وألصقها بشعرنا إلصاق الطابع على الظرف، وكأنها قضية مسلمة لا نقاش فيها.

تحدث عنها طه حسين، وهو يعرض لديوان وحي الحرمان فقال: «أنا أزعم أن الشاعر مصري اللغة بدوي النزعة»[١] !

محمد حسين هيكل وهو يقدم كتاب «وحي الصحراء»، **وعلي محمود طه** في تقديمه ديوان «صبابة الكأس» **للفلالي** فنعت شعره بأنه «باقة يانعة من زهرات البادية العربية»، وآخرون. بل لعل أكثر الباحثين من خارج الجزيرة يرددون هذا الرأي، وباحث آخر من الجزيرة ينساق بعفوية، ليزعم أن سمة البداوة ليست صفة في شعر البلاد فحسب بل إن «أبرز خصائص أدبنا (هي) سمة البداوة المتحضرة»[٢].

ولا أدري إذا كان طه حسين يتصور شاعراً **كعبد الله الفيصل** فوق الناقة يقرأ ديوان «ليالي الملاح» **لعلي محمود طه**، و«الطائر الجريح» **لإبراهيم ناجي**، و«رندلى» **لسعيد عقل**، و«الهوى والشباب» **للأخطل الصغير**، ويرى النزعة بدوية، واللغة حضرية ضعيفة ومصرية[٣]، **لا أدري كيف تكون اللغة في واد، والنزعة في واد آخر**؟ أحسب الألفاظ أواني المعاني، فمعاني البادية لا يعبر عنها بألفاظ الحاضرة، وعبد الله الفيصل مثله مثل **بشار وأبي العتاهية** حيناً أكلا المرقق، ورغدا في ظلال **الزوراء**، لا تكون نزعتها بدوية.

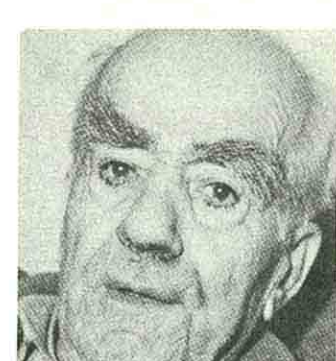
ولعل مارون عبود أدق نقداً لمحروم من طه حسين إذ قال: «البداوة في ديوان محروم ليس يدل عليها شيء غير تلك الصور الفنية التي زين بها الكتاب»[٤]، ويبدو أن المصور نفسه أخطأ وهو بشر مثل النقاد يتصور جو القصيدة، كجو الجزيرة المزعوم الخيام والبين، وشد المطي وإزماع الرحيل، والنوق والحداة، مثل قول عبدالله الفيصل:

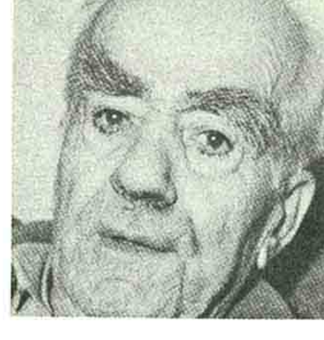
أزمعوا بيناً وشدوا رحلهم
فتوارى طيف أحلامي الجميل

لا أدري إذا كان هؤلاء النقاد يجهلون الجزيرة، وأخذتهم صورة الجزيرة الجاهلية وتصوروا أهلها بدواً فوق الأكوار وتحت الخيام وفي العراء، طعامهم لحم الإبل وألبانها؟ وربما كانوا كأحد المدرسين الذين قدموا منذ سنين إلى **نجد** من أحد الأقطار المجاورة وفوجئ به الناس يحمل كيسين من الخبز اليابس وسئل عن ذلك فقال أنا لا أستطيع الأكل من طعام بدو الجزيرة: لحم الإبل وألبانها، لكنه حين استقر ألقى خبزه للدواب، وانغمس فيما ينغمس الناس فيه من ترف وخير، أما قبل ذلك فكان كمن لم يعرف الجزيرة في أوروبا وأمريكا كما قال **محمد المشعان**[٥]:

عيرتني أن بيتي خيمة
وبعيري لم يبارح خيمتي
رسخت في رأسها أكذوبة
عن جهاد العرب والعرقية

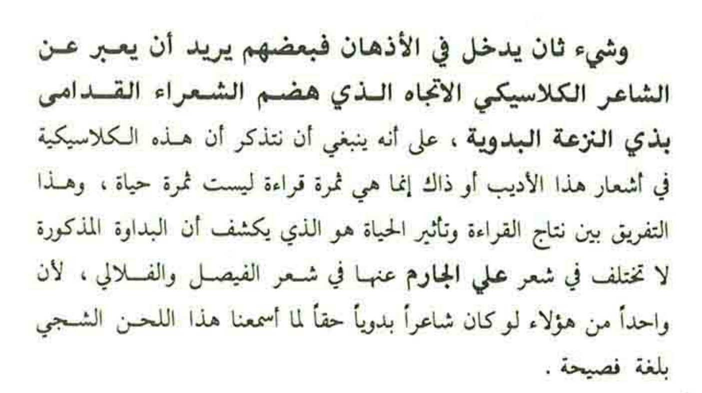
وليس هذا نفياً للبداوة الموجودة حقاً في الجزيرة مثلما هي موجودة في أطراف البلاد العربية كالعراق والأردن وسورية وليبيا والجزائر ومصر،





★ مارون عبود ★

★ علي الجارم ★



السعودي



★ إبراهيم ناجي ★

★ علي محمود طه ★

فالبداوة والبدو موجودون ، لكن لهم شعراً بدوياً هو أبعد الشعر عن الفصاحة والتعبير السليم ، وإن كان أقرب الأدب إلى الصدق والبساطة والصفاء ، ويسمى **الشعر النبطي أو العامي الشعبي** ، وهو الذي يصح أن يطلق عليه كلام أولئك الدارسين بدقة وحق ، لا شعر الحواضر والمدن والثقافة والترف .

فكيف جاءت صفة البداوة إذن إلى أذهان الناقدين ؟ أعتقد أن هؤلاء الناقدين عندما يتناولون شعراً أو شاعراً من الجزيرة العربية تنداح إلى أذهانهم الموروثات القديمة ، من الثقافة والحنين ، فيتداعى إلى أذهانهم أن هذا الشاعر أو ذاك متأثر **بعمر بن أبي ربيعة وبجميل بن معمر وبالمجنون** ، ويرد ذكر **العرار والشيح وصبا نجد** ، سواء قالها الشاعر أو لم يقلها ، فهم يخلطون بين البداوة القديمة ، وحياة شبه الجزيرة العربية الحديثة ، ويريدون أو يتوهمون أن الثانية كالأولى ، وأن هؤلاء الشعراء من **الفلالي والقرشي والفيصل** ، إنما هم بدو كأولئك الشعراء **زهير والنابغة والأعشى** ، وهذا مزلق خطر يخلطون فيه بين الذكريات القديمة والحياة الحاضرة يقوي هذا الوهم غيوم الرؤية عن شعر الجزيرة .

وشيء ثان يدخل في الأذهان فبعضهم يريد أن يعبر عن الشاعر الكلاسيكي الاتجاه الذي هضم الشعراء القدامى بذي النزعة البدوية ، على أنه ينبغي أن نتذكر أن هذه الكلاسيكية في أشعار هذا الأديب أو ذاك إنما هي ثمرة قراءة ليست ثمرة حياة ، وهذا التفريق بين نتاج القراءة وتأثير الحياة هو الذي يكشف أن البداوة المذكورة لا تختلف في شعر **علي الجارم** عنها في شعر الفيصل والفلالي ، لأن واحداً من هؤلاء لو كان شاعراً بدوياً حقاً لما أسمعنا هذا اللحن الشجي بلغة فصيحة .

وشيء ثالث يزيد الإبهام ، فبعض الأدباء يخلط بين معنى الصحراء والبداوة ، كما فعل **محمود عارف** حينما شرح سمة البداوة المتحضرة التي ذكر أنها أبرز خصائص أدبنا[٦] ، « فالإطار هو جو الصحراء ، ومميزات أدب الصحراء ، هي الحرارة في العرض ، والوحشة في غربة المسيرة الطويلة » ، وهذا وهم جديد ، فالصحراء ليست هي البداوة . في **أميريكا** صحراء كبيرة ، لكن ليس فيها بدو بل فيها مصانع ومزارع ، وفي جنوب **الجزائر** صحراء لكن الذين فيها من البدو ، وبين **الرياض وجدة** صحارى شاسعة ، **فهل** فيها بدو يقولون الشعر الفصيح ويتأثرون بالصحراء ؟ الجواب : لا ، **إذن الصحراء ليست هي البداوة ، كل من عاش في الجزيرة لا بد أن يدرك أثر الصحراء على نفسه وفي حسه ، لكنه ليس ضرورياً أن يكون بدوياً ، صاحب خيمة وناقة ، بل هو صاحب سيارة وبيت** ، ينعم فيما ينعم الناس فيه من ترف ، لكنه يخرج إلى الصحراء ليتنفس من جو المدن القاتم ، فلا يجد في الصحراء ماء ولا ظلاً ولا روضاً ، إلا السراب والقيظ وعصف الرياح ، والرمال الحمر ، والصحارى الممتدة الموحشة ، التي تضع في الإنسان الإحساس الحزين ، وتشعره بالخوف وقد عرضت في غير هذا المجال لأثر الصحراء في الشعر[٧] ، وذكرت أنها من أسباب النفس الحزين في **الشعر النجدي** خاصة ، لأن نجداً أكثر صحراء مما سواها ، وشعراؤها ، لذلك أقل الشعراء وصفاً لمناظر البهجة والفرحة والرياض والبساتين والطبيعة ، وأكثرهم حزناً ، يمتد بامتداد الصحراء الموحشة ، التي لا تنقطع إلا لماماً على نزول المطر ، الذي سرعان ما يحرق ربيعه ورياضه الصيف الحارق والريح العاصفة .

الحواشي

(١) من أدبنا المعاصر : ١٢٨ .

(٢) أدب المملكة بين الآداب العربية : بحث محمود عارف ، بحوث المؤتمر الأول للأدباء ٢/٨٤٣ .

(٣) من أدبنا المعاصر : ١٣١ .

(٤) جدد وقدماء : ٢٨٧ .

(٥) قصيدة « همسة الشوق » من مجموعة شعرية مخطوطة .

(٦) أدب المملكة بين الآداب العربية ، بحث محمود عارف ، بحوث المؤتمر الأول للأدباء ، ٢/٨٤٣ .

(٧) الشعر الواقعي في المملكة العربية السعودية ، دراسة مخطوطة .

شخصية الكفيف

بقلم : د . ماهر محمود الهواري



كانت المجتمعات القديمة لا تهتم بالكفيف ، بل إنها كانت تنظر إليه كشخص شاذ أو شخص غير طبيعي فكان يهمل إهمالا تاماً . وفي بعض **المدن الإغريقية كأسبرطة** كان ينظر إلى الكفيف وغيره من المعوقين والمرضى نظرة غير عادية ، وكان ذلك الاتجاه ينادي بترك المعوقين بدون رعاية حتى يدركهم الموت . **ومن أشهر المكفوفين في التاريخ القديم هوميروس الشاعر الإغريقي** الذي تنتسب إليه الإلياذة والأودسا . **وديدموس** ، وكان من أهالي الإسكندرية ، وعاش في القرن الرابع الميلادي وقد اكتشف طريقة لتعليم نفسه بنفسه وأصبح معلماً ورجل دين .

وكان للديانات السماوية تأثير كبير في الاتجاه نحو المكفوفين . وقد نادى رجال الدين من المسيحيين القدامى برعاية المعوقين والمرضى . ومع ذلك فقد كانت **أوروبا المسيحية في العصور الوسطى** لا تعمل على رعايتهم بزعم أن كف البصر عقوبة إلهية . . وما دامت هذه رغبة الإله فيجب عدم رعاية المكفوفين . **أما الإسلام فهو دين الرحمة للبشر كافة ، وقد عمل الحكام على رعاية المكفوفين ، وصرف الصدقات لهم ، وإنشاء المستشفيات لعلاجهم . كما عمل بعض ذوي الخير على وقف الأملاك على ملاجئ ومؤسسات لرعايتهم وإيوائهم** . وفي القرآن الكريم جاء ذكر الأعمى في قوله تعالى :

﴿ عبس وتولى . أن جاءه الأعمى . وما يدريك لعله يزكى . أو يذكر فتنفعه الذكرى ﴾ (سورة عبس ، الآيات ١ ــ ٤) .

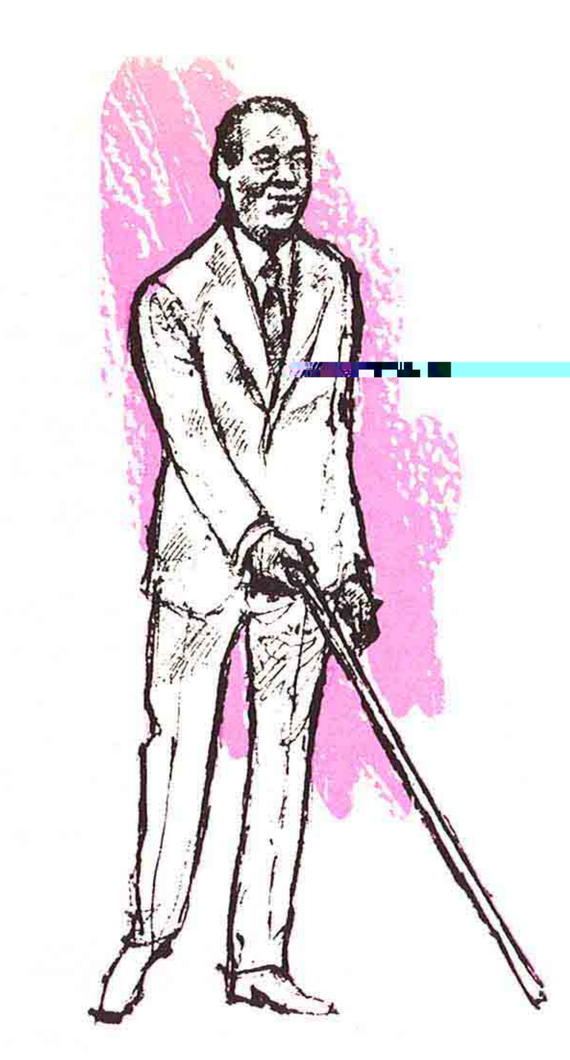
ففي هذه الآيات عتاب للنبي الكريم لأنه عبس من إلحاح الأعمى الذي جاء لطلب المشورة والعلم من النبي . وفي آية أخرى :

﴿ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ (سورة الحج ، الآية ٤٦) ، ففي هذه الآية إشارة إلى أن العمى الحقيقي ليس عمى الإبصار ولكن العمى عمى القلوب التي ملأها الشر .

وتمشياً مع الروح الإسلامية السمحاء ، فتحت المدارس والكتاتيب أبوابها لتعليم المكفوفين خصوصاً حفظ القرآن الكريم ، مما يسر لهم الحياة العادية الكريمة ، وجعلهم يشعرون بأهميتهم وكيانهم في المجتمع . ومن شعراء العرب المشهورين بشار بن برد وأبو العلاء المعري .

ومن الأشخاص المبرزين في عالم المكفوفين الذين كان لهم فضل كبير في هذا الميدان **لويس برايل** الذي ولد عام ١٨٠٩ م ، وفقد بصره في سن الثالثة ، ثم أراد أن يتعلم الموسيقى فابتدع الطريقة التي سميت باسمه لإمكان معرفة « **النوتة** » الموسيقية ، ثم عم استخدامها للقراءة والكتابة في العالم أجمع . والوحدة في هذه الطريقة عبارة عن ست نقط بارزة في شكل منظم ، وتبعاً لعدد النقط واختلاف موضعها يمكن تمييز حروف الأبجدية المختلفة ، فمثلاً حرف الألف له نقطة واحدة ، والباء نقطتان رأسيتان وهكذا . وقد أدى اكتشاف هذه الطريقة في القراءة والكتابة إلى إنشاء مدارس كثيرة لتعليم المكفوفين .

وفي العصور الحديثة بدأت رعاية المكفوفين بالإحسان المادي لهم عن طريق المساعدات ، ثم تطور الأمر إلى محاولات فردية للرعاية ، ومن هذه المحاولات محاولة **فالنتين هوي** حيث أنشأ **المعهد القومي للمكفوفين الصغار** عام ١٧٨٥ م ، وقد لفتت هذه المحاولة الأولى للتربية المنظمة للمكفوفين الأنظار ، وسرعان ما اتبع هذا الإجراء في



جهات أخرى ، حيث أنشئت مدارس للمكفوفين في بريطانيا وفرنسا وأمريكا .

وبالإضافة إلى ذلك فإن عدداً من المنظمات ركزت على مساعدة **المكفوفين** لتشغيلهم بعد تدريبهم ، وإعدادهم للحياة بطريقة عادية أو شبه عادية . وكثير من الجمعيات أعدت كلاب الإرشاد لقيادة المكفوفين أثناء سيرهم ، وحفظهم من أخطار الطريق . كذلك قامت هيئات للنشر تخصصت في طبع وتوزيع الكتب والمجلات الخاصة بالمكفوفين . وفي الوقت الحاضر في الولايات المتحدة تقوم الحكومة المركزية والولاية بمد يد المساعدة للمكفوفين خصوصاً هؤلاء الذين يبقون في منازلهم ، وذلك بمساعدتهم على تعلم القراءة بطريقة (**برايل**) ، والحصول على مجلات ومعدات خاصة ، مثل (ساعات برايل) ومساعدات الضمان الاجتماعي وغيرها . **ومكتبة الكونجرس** مسؤولة عن إعداد وتوزيع الكتب المعدة بطريقة برايل ، كذلك الأشرطة وآلات الكتب المتكلمة (**جردانن ١٩٥٦ م**) .

الاحتياجات النفسية للطفل الكفيف

للطفل الكفيف احتياجات أساسية من المهم إتاحة الفرص لإشباعها ، خصوصاً قبل سن المدرسة ، حتى لا ينمو شاعراً بالإحباط ، متأثراً بالحرمان ، وحتى لا تصبح هذه الإحباطات ذات آثار مدمرة على شخصيته . ومن هذه الاحتياجات الإحساس الملموس بحب الوالدين ، الإحساس بالانتماء ، إتاحة الفرص لاكتشاف العالم الخارجي ، إتاحة الفرص للتعلم خلال الخبرة ، معرفة قدراته ، تنمية الشعور بالاستقلال . فالطفل يحتاج لأن يشعر بعلاقته الحميمة بالوالدين ، ولأن يشعر بانتمائه إلى أسرة متعاطفة متحابة . إن الاستجابات عن طريق البصر للطفل العادي تتيح له بسرعة معرفة الوالدين ، وإدراكهم ، والتعلق بهم ، وجعلهم يتعلقون به ، مما يؤكد معنى الانتماء في نفسية الطفل ، ولكن الطفل الكفيف استجاباته محدودة ، فهي تتم عن طريق السمع واللمس ، لذلك من المهم أن يشعر الآباء الطفل بعلاقتهم الوثيقة به ، وبدور الأسرة وانتمائه إليها .



★ لعبة تعتمد على تنمية مهارة التعرف إلى الكلمات ★

★ طفل كفيف البصر وضع على رأسه جهاز الكتروني يحاول بواسطته تحديد موقع الشيء الذي أمامه ★

الحاجة إلى الحب

أما الحاجة للحب فلا يكفي أن يعبر الوالدان لفظياً عن حبهم للطفل الكفيف . إنه يحتاج إلى وسيلة محسوسة لتؤيد ذلك الحب ، ولذلك من المهم حمل الطفل أحياناً ، ومداعبته في أكثر الأحوال ، وإشباع حاجاته الأساسية كالطعام والشراب والنظافة وغيرها ، عن طريق الوالدين كلما أمكن ذلك ، حتى يشعر الطفل بدلائل ملموسة على الاهتمام والحب .

الحاجة إلى التعلم

ومن احتياجات الطفل الكفيف أيضاً **الحاجة للتعلم** خلال الخبرة . إن الخبرات التي يحصل عليها الطفل في أعوامه الأولى لا ترجع أهميتها فقط إلى ما تضيفه من معلومات ، لكنها أيضاً تتيح تعلم الوسائل التي يمكن اتباعها لزيادة معارفه . فالأهم من المعلومات في ذاتها معرفة كيفية الحصول عليها لأن هذا يتيح للكفيف منبعاً دائماً للمعلومات طيلة حياته .

وبالإضافة إلى ذلك فإن التعلم عن طريق الخبرات يؤدي بالطفل الكفيف إلى التفاعل مع العالم الخارجي ، فيتيح له الخروج من سلبيته ، تلك السلبية التي قد يرغم عليها نتيجة لإحساسه بالسجن الكبير الذي لا يستطيع التحرك فيه وفهمه ، إلا بمساعدة الآخرين . فالتعلم يؤدي إلى تعديل كبير في شخصيته يجعله إيجابياً متفاعلاً متمكناً من الحصول على الخبرات المختلفة بطرقه الذاتية ومتفهماً للعالم المحيط به . وقد وجدت **روجو** (١٩٧٥ م) في دراسة عن التنظيم الإدراكي عند المكفوفين أن البحوث بيّنت أن فقد البصر لا يمنع أو حتى لا يؤخر نمو عملية اكتساب المعلومات .

معرفة القدرات

والطفل الكفيف أيضاً يريد أن يعرف قدراته المختلفة . إلى أي مدى يستطيع أن يتحرك ، إلى أي مدى يستطيع أن يثق بنفسه في أعمال معينة ،

كيف يسلك في مواقف مختلفة السلوك المناسب الذي يتيح له حب الوالدين وتقدير الآخرين . **إن الطفل الكفيف للأسف محاط بقيود شديدة ، وأوامر عديدة ، خوفاً على حياته ، ووقاية له من الحوادث ، ومحافظة على نظافته** . . . لذلك من المهم تدريب الطفل وإتاحة الفرصة له لتجربة إمكاناته وتحسينها حتى يستطيع أن يصبح شخصاً واثقاً بنفسه وقدراته .

الشعور بالاستقلال

كذلك **الطفل الكفيف في حاجة ماسة إلى الشعور بالاستقلال** . إن الاستقلال والاعتماد على النفس ، ولو أحياناً ، يؤدي إلى تقدير الذات . إنه يشعر دائماً أن هناك من يعتني به ، هناك من يطعمه ، هناك من يقوده ويحركه من مكان لآخر . ولكنه في محاولته تلك لبناء ذاته المستقلة يشعر أيضاً بالملل والتمرد لتبعيته للآخرين . لذلك يا حبذا لو قام الوالدان وغيرهم من المربين والمختصين بتدريب الطفل على الاعتماد على نفسه ولو في الأمور اليومية الحميمة مثل النظافة الشخصية ، وتغيير الملابس ، وترتيب السرير ، والتحرك في حدود معينة وهكذا . لهذا فكلما سارعنا في تدريبه واستقلاله ساعد ذلك على بناء شخصيته المستقلة .

تجربة عملية

وقد حاول **صامويل جريدلي هوي** منذ مائة عام أن يدرس مشاعر المكفوفين وأحاسيسهم ، وما يؤثر فيها في المواقف المختلفة ، وكان أول مدير **لمعهد بركنز للمكفوفين** ، فقام بتجربة رائعة (**بيكر ١٩٥٤ م**) إذ ربط عينيه لعدة أيام ، وتحرك في الأماكن المختلفة ، وقام بالمناشط العادية التي يمكن أن يقوم بها المكفوفون ، وذلك حتى يستطيع فهم شخصياتهم والاستبصار بمشكلاتهم . فكان يمشي في الشوارع ، ويخترقها ، ويتنبه لحركة المرور ، وكان يركب السيارات العامة ، وينزل منها . وقد أدرك مثلاً أن توقف السيارات فجأة أو تغيير اتجاهاتها يؤدي إلى بعض مشاعر الاضطراب والارتباك . كما أدرك أن أي فرد يغطي عينيه لفترات قصيرة يصبح عارفاً وشاعراً بنفسه وبما حوله ، ويعطي انتباهاً للحواس الأخرى ، وأن الإحساسات الحركية يمكن أن تحل محل الإحساسات البصرية في الظلام ، وأن الأصوات كأصوات السيارات أثناء السفر تبدو أكثر شدة في غياب البصر ، وأن بعض ومضات من الضوء على فترات قصيرة يمكن أن تضايق الكفيف وتجعل توافقه مع الظلام أكثر صعوبة .

خصائص الطفل الكفيف

ومن خصائص الطفل الكفيف أنه قليل المشي بطيء الحركة ، ومحاولة اكتشافه للبيئة وتفاعله معها محدود . وهو غالباً متأخر في الكلام . وقد يبدو أن هذه الأمور تبعث على الدهشة ، ولكن بالتأمل والتفكير يتضح أن هذه الظواهر نتيجة طبيعية للتحديد الشديد لخبرات الطفل ، وتفاعله المحدود مع البيئة . وهذا أيضاً نتيجة للجهود التي تبذل للمحافظة عليه من الضرر . وبسبب أنه لا يرى الأخطار القريبة منه ، فإنه يبعد عن المواقف التي فيها أقل مخاطرة . كما يمنع من محاولة التوافق مع زملائه المبصرين . وعادة تتبعه حماية مستمرة من حارس راشد . ولا شك أن هذه الاتجاهات تؤثر في شخصيته إلى حد كبير .

القدرة على الاتصال والتفاعل

ومن حيث القدرة على الاتصال والتفاعل مع الآخرين فإن الطفل الكفيف قد تكون حالته أحسن من الأصم ، وذلك لقدرة الكفيف على الاستماع والمناقشة وتعديل المفاهيم . وبالرغم من أن الأصم يستطيع أن يكوّن عدداً كبيراً من المفاهيم عن بيئته ، فإن الحاجة للصوت ضرورية للوصف والمناقشة تنقصه إلى حد كبير . والطفل الكفيف من جهة أخرى فإنه في خطر مستمر من الفشل في اكتساب أي خبرة عن الحقائق التي تشير إليها الكلمات حتى إذا كان استعماله لها يبدو طبيعياً فإن كلامه يبدو أنه لم ينبن على أساس خبرته الذاتية ، هذه الخبرة التي يمكن أن تكون وحدها حقيقة بالنسبة له .

وهناك مثال واضح لذلك فقد كتبت **هيلين كيلر** (جوانن ١٩٥٦ م)، التي ولدت بكماء صماء عمياء تاريخ حياتها بقلمها .. كتبت تصف ليلة بجوار البحر، ونجد في الوصف أن الجمل جميلة والتعبير قوي. والقارئ المتنبه سوف يدرك أن الخبرات التي تصفها تعتمد كلية على الإحساسين اللذين ينقصان هيلين كيلر وهما السمع والبصر. إنها تتحدث عن ألوان الأزهار، وصوت البحر، وبزوغ القمر وانعكاساته على سطح البحر، فمن أين لها بالأحاسيس التي تؤدي إلى القدرة على هذا الوصف الرائع ؟ إنها بالطبع لم تعبر عن أحاسيسها، لكنها نقلت عن خبرات وكتابات الآخرين، كما هو الموقف لبشار بن برد الشاعر العربي الذي ولد أعمى والذي يقول في وصف الحرب:

وجيش كجنح الليل يزحف بالحصى
وبالشوك والخطى حمر ثعالبه
غدونا له والشمس في خدر أمها
تطالعنا والطل لم يجر ذائبه
كأن مثار النقع فوق رؤوسنا
وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ويقابل هذا الوصف بوصف آخر لفتاة عمياء تصف فيه معتمدة على أحاسيسها فقط، جولة في الصباح الباكر فتتحدث عن الأصوات والروائح، والإحساس بالمشي بالطريق تحت الأشجار الضخمة، وعلى الحشائش والأشياء التي تلمسها بأصابعها.

إن الصورة هنا زاهية وحية كالقطع الأخرى. ولكن بينما القطع الأولى لهيلين كيلر وبشار بن برد تعتمد على تقارير وأوصاف الآخرين، فإن القطعة الثانية تعتمد على الخبرات والأحاسيس الشخصية للفتاة. فإذا كان عالم الكفيف يمده بمجال متنوع وثري للفكر والخبرات مثل الطفل المبصر إذا ما أعطي الفرصة لاكتشافه كلية، وبعمق على أساس مفاهيم الصوت والملمس والرائحة، إذا استطاع ذلك فإنه من المحتمل أن الثغرة في النمو والقدرة قد لا تظهر بين المبصر والكفيف.

★ عصى خاصة لمساعدة المكفوفين في السير ★



الحاسة السادسة

ومن الأمور الهامة التي تبعث على التساؤل وتثير الاهتمام في شخصية الكفيف: كيف يستطيع أن يتبين طريقه بدقة ويتجنب العوائق ؟ هل يتمتع بحاسة سادسة يسترشد بها في طريقه ؟ هل فقد البصر أدى إلى نمو في حواسه الأخرى بما يعوضه عن فقد هذه الحاسة ؟ الواقع أن هناك تساؤلات كثيرة في هذا الموضوع، فقد لوحظ على مدى التاريخ أن كثيراً من المكفوفين يستطيعون أن يتجنبوا أخطاراً تواجههم في الطريق كحفرة في الشارع، أو رصيف مرتفع، أو حائط يعترض الطريق، إلى غير ذلك. وقد شغلت مثل هذه الملاحظات بال الباحثين، واعتقد كثير من الناس أن المكفوفين يمتلكون «**حاسة سادسة**» يمكن أن ترشدهم، وتكون لهم عيوناً بديلة.

فمن قائل إن المكفوفين يشعرون بتغيير ضغط الهواء نتيجة وجود عائق، وقائل آخر إنهم يشعرون بتغير في أصوات وقع أقدامهم، أو العصي التي يمسكون بها.

وقد قام **رولانسكي** (بيكر ١٩٥٤ م) بعمل تجارب في هذا الشأن حيث وضع أقنعة على أوجه المكفوفين حتى لا يشعروا بضغط الهواء عند الاقتراب من العوائق. ومع ذلك فقد استطاعوا تمييز العوائق بالأقنعة، كما هو الأمر بدونها، وإن كانوا أقل ثقة وقدرة. وعندما غطى رولانسكي آذانهم حتى يمكن استبعاد الإحساسات خلال الأذن لم يستطع المكفوفون تمييز العوائق بدقة. كيف تستطيع الآذان اكتشاف اقتراب العوائق ؟ هذا أمر ليس من السهل تفسيره. ولكن يعتقد أن المكفوفين يستطيعون التقاط الإحساسات السمعية الدقيقة. وبعض الباحثين حاولوا توضيح هذا الإحساس بالعوائق على أساس تغير في أصوات وقع الأقدام والتغير في الحرارة وعوامل أخرى مشابهة.

الفروق في القدرات

والبحوث الحديثة تثبت أنه في غياب البصر فإن القدرات الأخرى تستخدم أكثر. ولكن يبدو أن هذه القدرات توجد بدرجة متساوية بوجه عام بين المبصر والكفيف. والفروق الظاهرة هي مجرد فروق في الاستخدام الشعوري للحواس الأخرى غير البصرية. وقد وجد **ورشل** (جردانن ١٩٥٦ م)، أن الأفراد المبصرين الذين يتحركون مغطو العينين كانوا أكثر تفوقاً من

المكفوفين في معرفة الأمكنة من حيث الإدراك اللمسي للأشكال، ومن حيث القدرة على تخيل أوضاع الأشكال في الفراغ.

سن حدوث العمى

وهناك عامل هام آخر له تأثير كبير على شخصية الكفيف وهو السن الذي حدث فيه العمى. فالعمى الذي يحدث قبل سن خمس سنوات له تأثير أخطر وأشد من ذلك الذي يحدث بعد هذه السن، لأنه في الحالة الأخيرة يكون الطفل قد تمكن من بناء المفاهيم الأساسية في الحياة، والوعي بنفسه وبصورة جسمه وبيئته خلال الخبرات البصرية. كذلك فإن قدرته على التصور البصري تظل قائمة ولو إلى حد ما.

الخوف من الضرر

ومن العوامل الأخرى التي تؤثر في شخصية الكفيف خوفه من الضرر بواسطة العوائق، فالكفيف يسمع الأصوات المثيرة، ويشعر بالأحاسيس المختلفة، اللمسية والسمعية والشمية، وهو ككل إنسان يرغب في الاستجابة لتلك المثيرات، وإشباع الميل للكشف والاستطلاع، لكن خوفه من الاصطدام بالعوائق أو التعثر مما قد ينجم عنه أذى بدني، يكبل حركته ويكف نشاطه. وبالتدريج قد يصبح خاملاً بطيء الاستجابة إذا لم يبادر الوالدان أو المربون بتعليمه وسائل التحرك السليمة، والطرق الآمنة التي قد يستطيع الانتقال خلالها داخل المنزل، أو حتى خارجه. هذا ويمكن أن تعد البيئة المنزلية لتسهيل تحرك الكفيف بإزالة العوائق من الأماكن المطروقة له، فيؤدي ذلك إلى انطلاقه، وعدم إحساسه بالقيود، وتفاعله مع البيئة، وهذا بالتالي قد يساهم في توافق شخصيته.

مواجهة المشكلات

هذا والكفيف مثل العادي عليه أن يواجه المشكلات التي يواجهها كل فرد في المجتمع مثل مشكلات النمو، وخصوصاً مراحل المراهقة واكتمال النمو، كذا مشكلات التوافق الاجتماعي. وقد وجد **فاين** في دراسة أجراها عام ١٩٦٨م، نسبة مرتفعة من الاضطرابات الانفعالية لدى المكفوفين، ومتعلقة باضطرابات الشخصية خلال مراحل النمو (**جيلفورد ١٩٧١م**). ومن الظواهر غير العادية في الشخصية التي تلاحظ كثيراً عند بعض المكفوفين كثرة التخيل، وأحلام اليقظة.

فأحلام اليقظة يمكن اعتبارها ظاهرة عادية حيث إنها موجودة عند جميع الأفراد تقريباً، وقد يكون لها فائدة أحياناً، حيث تعمل على التنفيس عن بعض الرغبات، كما قد تؤدي إلى حث الدوافع عند الإنسان لتحقيق ما يتمناه، إلا أن كثرتها قد تؤدي إلى السلبية، وبالتدريج قد تؤدي أيضاً إلى خروج الإنسان عن عالم الواقع إلى عالم الخيال الذي يبنيه على هواه، ويحقق فيه كل رغباته.

والواقع أن الكفيف كالشخص العادي قد يشعر بالإحباط فيلجأ إلى **أحلام اليقظة** في محاولة تعويضية لإشباع نزعاته المختلفة. ويلاحظ أن أحلام اليقظة كأحلام النوم عند الكفيف، عبارة عن صور صوتية، وليست بصرية خصوصاً عند المولود أعمى. وفي أحلام اليقظة يحقق ما عجز عن إدراكه، أو فهمه، أو إشباعه في العالم الخارجي. ونظراً للظروف المحيطة التي تحيط بالكفيف فإن لجوئه إلى مثل هذه الإشباعات البديلة قد يكون أكثر منه لدى العاديين. وقد يصاحب هذه التخيلات كلام كثير مع نفسه يناقش فيه سلوكه وسلوك الآخرين. وكثرة أحلام اليقظة وزيادتها عن الحد المعقول قد تؤدي إلى تعود الكفيف الحياة في عالم من نسج الخيال يشبع فيه رغباته، ويحقق آماله، وينتصر على أعدائه، ويحصل فيه على ما لم يحصل عليه في عالم الواقع. وقد يؤدي هذا بالتدريج إلى انفصاله عن عالم الواقع إذا ساعدت ظروف أخرى على ذلك.

الاعتماد على النفس

والكفيف بطبيعة عاهته، يعتمد على غيره في بعض الأحوال، ويعتبر هذا عادياً. ولكن إذا كان الاعتماد على الغير تاماً وفي كل الأحوال فإن هذا يجعل منه شخصية اتكالية إلى حد كبير، وقد تأخذ هذه الاتكالية في التزايد – كوسيلة هروبية – حتى تشمل كل نواحي الحياة تقريباً. ولذلك فإن **تربية الطفل الكفيف يجب أن تشمل أيضاً إعطاؤه الحرية والفرصة للاعتماد على النفس، بتدريبه على الحركة في الحدود الآمنة، وقضاء بعض حوائجه مهما لاقى في ذلك من صعوبات كالاغتسال وترتيب سريره وارتداء ملابسه وإطعام نفسه. ثم إعطاؤه الفرصة للحركة داخل المنزل وخارجه، وهكذا تتاح له الفرصة لنمو الشخصية المستقلة المعتمدة على نفسها**.

كذلك فإن الكفيف بحكم عاهته قد يشعر بالنقص، خصوصاً حالات الذين أصيبوا بالعمى بعد الولادة بفترة، ولا نريد هنا أن نقول إن الكفيف يحسن أن يتجاهل عاهته فهذا أمر مرفوض تماماً، وله نفس الأخطاء والخطورة كالمبالغة في العاهة وآثارها. إن دراسات علم النفس ودراسة حالات الأفراد الذين تفوقوا في الحياة إلى مدى بعيد مثل **هوميروس** الشاعر الإغريقي، **وديديموس** المصري، **وبشار بن برد، وأبو العلاء المعري**، وفي العصور الحديثة **طه حسين، وهيلين كيلر** تبين أن الإنسان يمكن أن يتفوق رغم عاهته، أو على الأقل يمكن أن يعيش ناجحاً سوياً. لذلك فإن مشاعر النقص الشديدة عند الكفيف تعتبر مشاعر غير سوية، ويجب العمل على وقاية الطفل الكفيف منها بتفهيمه حقيقة قدراته، وبإعطائه الفرص للنجاح في الأعمال التي يمكنه أداءها، ولا شك أن النجاح يؤدي للنجاح، وبذلك يمكن وقايته من أثر ذلك الشعور الضار بالشخصية.



★ الأفضل استخدام كافة الأصابع في قراءة (برايل) ★

لازمات الكفيف

ومن الخصائص الموجودة عند كثير من المكفوفين ما يسمى باللازمات ، فإذا لاحظنا المكفوفين بدقة نجد أن كثيراً منهم يقومون بحركات عصبية تعتبر من الخصائص المميزة لهم مثل وضع الأصبع في العين ، هز اليدين ، هز الرأس . وأغلب الأطفال المكفوفين يمرون بمثل هذه المرحلة من اللازمات في خلال نموهم العادي ، ويرى كثير من الباحثين أن مثل هذه اللازمات هي نتيجة ضعف أو بطء الاستثارة (**ستراتون ١٩٧٧ م**) ، سواء منها اللمسية أو السمعية من أحد الوالدين ، لذا فإن الطفل يترك نفسه للمثيرات الداخلية مما يلجأ معه إلى تلك اللازمات .

وفي المراحل الأولى من العمر فإن هذه اللازمات لا تثير الاهتمام في حد ذاتها إلا أنها قد تؤدي إلى تعطيل أو اضطراب بعض العمليات الهامة في حياة الكفيف مثل القراءة أو الحركة . كذلك إذا استمرت هذه اللازمات فترة من الزمن فإنها تصبح عادات حركية من الصعب تغييرها . وهي قد تدل أيضاً على اتجاهات سلبية في حياة الكفيف ، وسبيلاً للتخفيف من القلق ، فكلما احتاج للاستثارة ، أو كلما واجهته مشكلة ، أو موقف ما لجأ إلى تلك الحركات . هذا إلى أنها تؤدي إلى مظهر اجتماعي غير مناسب عن الكفيف . لكل هذه الأسباب من المهم مساعدة الكفيف على التخلص من هذه اللازمات في أسرع وقت مناسب له . ويجب ألا يوبخ أو يعامل بقسوة للتخلص منها . ولكن التوجيه بهدوء قد يكون مناسباً لكثير من الأطفال مع مساعدة الطفل على التخلص من القلق ، وعلاجه ، وإيجاد مناشط إيجابية لاستغراق طاقته . ويمكن أن نقارن هذه اللازمات بعملية مص الإبهام وهي مرحلة يمر بها جميع الأطفال تقريباً . وقد يكون ذلك مقبولا من الطفل الصغير جداً ، أما الطفل الكبير فإن ذلك يكون موضعاً للسخرية . ومن أهم الوسائل تأثيراً لمساعدة الطفل على التغلب على هذه اللازمات إمداده بوسائل للتسلية ، وألعاب مثيرة ، وأنشطة ذات اهتمام حقيقي بالنسبة له . ومع ذلك فإن التشجيع المباشر قد يكون ضرورياً .

التعبيرات الحركية

ومن الخصائص الأخرى التي نلاحظها عند الكفيف عدم وجود التعبيرات الوجهية المناسبة . فالطفل المبصر يستجيب لتعبيرات الوجه عند أمه كما يستجيب لحركاتها . والسمع ينبهه إلى الأعمال التي تقوم بها الأم ووجودها إلى جانبه . والمبصر يمكنه من رؤية أمه والاستجابة لها بطريقة سريعة . أما الطفل الكفيف فنظراً لعدم رؤيته للأم ، وعدم رؤيته للتعبيرات الوجهية عند الآخرين ، وبالتالي يعجز عن تقليدها فإن مثل هذه التعبيرات لا تظهر على وجهه في أغلب الأحوال . فالكفيف عندما يغضب أو يفرح أو يندهش فإن ملامح وجهه قد لا تدل على ذلك .

وهذا يؤدي إلى ضعف الاتصال مع الآخرين من المبصرين . وقد ذكر **دوماس (بيكو ١٩٥٤ م)** ، بعض تجارب أجراها على المكفوفين في **المعهد القومي للمكفوفين بباريس** عن إظهار تعبيرات وجهية معينة . وشمل البحث ٣٣ فرداً من المولودين عمي ، وطلب منهم أن يعبروا بوجوههم عن عواطف قوية أو ضعيفة مثل السرور والفرح والغضب والخوف فلم يستطيعوا أن يعملوا ذلك ، لأن التقليد بهذه الصورة من أصل بصري تماماً ، أي ناتج عن طريق المحاكاة ، فالتعبيرات الحركية للوجة عند المكفوفين أقل منها عند المبصرين .

ردود أفعال الآباء نحو الطفل الكفيف وأثرها

إن تربية الكفيف تبدأ حقاً مع ولادته ، أو عندما يكتشف العجز . ولا يحتاج الوالدان إلى المساعدة فقط ، ولكن إلى النصيحة والمعلومات التي تساعد على تربية الطفل الكفيف والتعامل معه . كذلك تساعد هذه المعلومات على تجنب القلق الذي لا فائدة منه لدى الوالدين . وكذلك فإن هذه المعلومات مهمة ، لأن وعي الطفل بنفسه ومعرفته ببيئته ــ الذي يعتمد على البصر في السنوات المبكرة ــ يجب أن ينمو بوسائل أخرى . وربما الأهم من كل ذلك العلاقة مع الأب والأم التي ينبغي على أساسها النمو الاجتماعي العاطفي للطفل . إن الآباء تتباين استجاباتهم لصدمة كون الابن كفيفاً ، ومن هذه الاستجابات : النبذ ، الانقباض ،

القلق ، عدم القدرة على مواجهة المشكلة ، الحماية الزائدة . فالنبذ قد يشعر به الأب كرد فعل لما قد يرى فيه انتقاماً إلهياً لذنوب ارتكبها . لذلك فهو لا يريد ولا يتقبل من يذكره بخطئه وسوء حظه .

إن الطفل الكفيف يحتاج فعلاً إلى رعاية أكثر ويحتاج إلى إشباع دوافع هامة وعاجلة ، ولكن الأب قد يقابل ذلك بالحرمان وعدم التقبل . إن الطفل الكفيف يحتاج إلى إثارة وتنبيه ، أكثر من الطفل المبصر ، لكنه في الواقع قد يأخذ أقل . ومن الآباء من يستجيب لهذه الصدمة بالانقباض . إن بعض الآباء قد يندب حظه العاثر لهذه الكارثة التي ألمت به .

إن الطفل يذكره دائماً بسوء حظه . وقد ينتهي به الأمر إلى الانقباض ، ليس فقط كعرض مرضي ، ولكن بصفة خاصة في مواجهة المتطلبات الأساسية للطفل الكفيف . إنه قد يستجيب له بالجمود والتجاهل التام . وبعض الآباء قد يستجيب بمشاعر القلق وعدم القدرة على التصرف في مواجهة مشكلة الابن الكفيف . إن مشاعر القلق تؤدي إلى إحساسه بالاهتمام بالمشكلة ، ولكنه اهتمام مرضي يجعله غير قادر على التصرف ، وغير قادر على الاستجابة المناسبة لشؤون ابنه الكفيف .

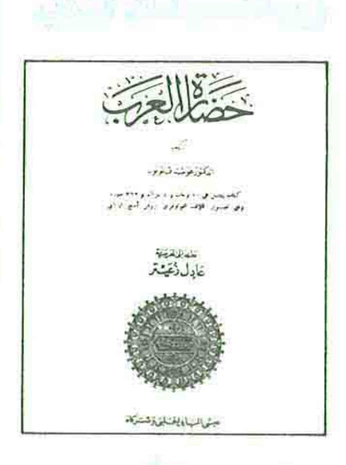


وهناك فئة من الآباء قد تستجيب للطفل الكفيف بالحماية الزائدة . والواقع أنه من الحاجات الهامة عند الطفل الكفيف الحاجة إلى الاعتماد على النفس ، والاستقلال ، وتعلم عمل الأشياء المناسبة له بنفسه . والحماية الزائدة ليست عطفاً عليه ، لكنها خدمة سيئة وغير مطلوبة ، وهي تضيف عبئاً جديداً على مشكلات الطفل الكفيف . والحماية الزائدة تتضمن في الواقع عدم تقبل الطفل الكفيف كفرد له حقوقه الذاتية قادر على أداء الوظائف المناسبة لقدراته . وعلى المدى الطويل فإنها تهدد شعوره بالأمن ، وتثير فيه الخوف من فقد الحماية .

إن مثل هذه الاستجابات غير السوية من الآباء تتطلب وقتاً لفهم الموقف على حقيقته ، وللتصرف بطريقة سوية ، والتخلص من المشاعر غير المناسبة . والإرشاد النفسي في ذلك الوقت يكون أكثر فائدة ، لذلك من المهم توفير خدمات الإرشاد النفسي وجعلها ميسورة لأسر المكفوفين . إنه من الجلي أن تأخير أو تعويق عملية الإرشاد قد يؤدي إلى تكوين أنماط لا سوية في شخصية الطفل تتكون كنتيجة لسلوك الوالدين مما يؤدي إلى تأصيلها ، وبالتالي قد تساعد على الانحراف .

إن دراسات **جامعة شيكاجو** على الأطفال المكفوفين (استراتون ١٩٧٧ م) ، تؤكد أهمية أثر الأسرة والبيئة على الطفل الكفيف من حيث نموه وشخصيته . وتنتهي في تقريرها إلى أن نواحي النقص التي تنسب عادة إلى العمى ترجع أساساً ليس إلى الإعاقة الجسمية في ذاتها ، ولكن إلى تحديد فرص التعلم التي يخبرها الطفل . وتقرر أيضاً أن الطفل الكفيف من السهل التأثير على حالته النفسية ، وأنه يعاني بدرجة كبرى من أي ظروف غير مناسبة للنمو . إنه لغني عن البيان أن نوضح أثر الأسرة في تربية وتنشئة الطفل .

فإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للطفل العادي ، فإنه من باب أولى أن يكون الأمر أشد أثراً بالنسبة للطفل المعوق ، وخصوصاً الطفل الكفيف الذي فقد نعمة البصر وما تيسره من متعة وتعلم وإدراك كثير من معاني الحياة . ولكن إذا نما الطفل مستقلاً معتمداً على نفسه فإنه لا يخشى التغيرات ، أو المواقف الجديدة التي لم يكتشفها بعد ، كما أنه يستطيع الاعتماد على إمكاناته المحدودة ، ويستطيع تعلم اكتشاف المواقف الجديدة ، والتعامل معها . إن الحماية الزائدة قد تكون عقبة في نمو الطفل ، وتوثر في شخصيته من حيث العلاقات الاجتماعية والشعور بالأمن . إن أهم أنواع العطف الذي يمكن أن توفره الأسرة للطفل الكفيف ، وأصعبها أيضاً هو أن تتجنب الحماية الزائدة بأي طريق ، وتعليمه كيف يمكن أن يعتمد على نفسه ليصبح مستقلاً . والطفل الكفيف إذا كان عليه أن ينمو بطريقة سوية ، ويكون له شخصية مستقلة ويعيش حياة كاملة مثل إخوته المبصرين ، فإن ذلك يكون فقط لأنه منذ الطفولة الأولى قد بذلت جهود خاصة داخل الأسرة لتشجيعه وتنمية قدراته التي يمتلكها إلى أقصى حد . وهو مثل الأطفال المعاقين الآخرين يحتاج إلى إجراءات خاصة لحمايته ، ومثل هذه الإجراءات يجب ألا يسمح لها بأن تلغي حريته الشخصية في أن يتحرك ويلعب ، حتى إذا كان الأمر يستدعي بعض المخاطرة وبدون ذلك فإنه يستحيل عليه أن يحيا حياة عادية في عالم المبصرين !



★ عادل زعيتر ★



تأليف

د. غوستاف لوبون

نقله إلى العربية

عادل زعيتر

عرض وتقديم

محمود الأرناؤوط



أجد نفسي مرغماً أو مدفوعاً إذا صح التعبير ، قبل أن أحدثك عزيزي القارئ عن هذا الكتاب ، أن أسجل بعض الكلمات عن العلاّمة المؤرخ ، والأديب المتفنن **الأستاذ عادل زعيتر** (١٨٩٧ ـ ١٩٥٧ م) واحد ممن أسهموا في حركة الترجمة في مشرقنا العربي ، في النصف الأول للقرن العشرين ، هذا الرجل الذي كرّس جل أوقات عمره ، لينقل لأبناء أمته أروع وأهم ما صنف الباحثون والكتّاب ، في فرنسا القرن التاسع عشر ، من أمثال : **جان جاك روسو ، وفولتير ، وأناتول فرانس ، وإميل لودويغ ، وغوستاف لوبون** ، وإن كان الأخير أجودهم نتاجاً في الكم والكيف من الزاوية التاريخية ، وقد بلغت المصنفات التي ترجمها نحواً من أربعين مجلداً لو ضمت إلى بعضها لشكلت مكتبة ثقافية مرموقة ، والمتتبع للمصنفات التي ترجمها الرجل يجد له دوراً لا يقل أهمية عن دور الترجمة في تلك الكتب ، ألا وهو دور **الناقد** النافذ البصيرة ، وخاصة في **(حضارة العرب)** هذا ، حيث يتصدى للجوانب التي جانب الصواب فيها المؤلف ، ناقداً معلقاً معيداً الكاتب والكتاب إلى الرأي القوي السديد ، سيما وأن المؤلف يتناول في كتابه تاريخ الأمة العربية وكل من انضوى تحت حكمها من الشعوب ، وهو لا يقتصر في كتابه هذا على ذلك ، بل لم يترك دولة إسلامية قامت للموالي دون أن يتحدث عنها ، لذلك مهما أحاط لوبون وأجاد في كتابه لا بد وأن يفوته القليل أو الكثير تبعاً لأهمية الفصل الذي يتحدث فيه [١] .



★ ابن رشد ★



★ الرازي ★

كان من نتائج اصطراع الشرق والغرب منذ قرون مضت ، وإلقاء العرب الرعب في قلوب الأوروبيين ، أن صار الأوروبيون يشعرون بمذلة الخضوع للحضارة العربية التي لم يتحرروا من سلطانها إلا منذ زمن قريب . فأخذوا ينكرون فضل العرب على أوروبة وتمدينهم لها ، وأصبح هذا الإنكار من تقاليد مؤرخي أوروبة وكُتّابها الذين لم يُقرُّوا لغير **اليونان والرومان** بتمدينها ، وقد ساعد على هذا ما عليه العرب والمسلمون من التأخر في الزمن الأخير ، فلم يشاؤوا أن يروا للعرب رقياً تاريخياً أعظم مما هم عليه الآن غير ناظرين إلى أن نجم حضارة العرب أفل منذ أجيال ، وأنه لا يصح اتخاذ الحال الراهنة دليلاً على الماضي ، وعلى الرغم من ذلك لم تخل أوروبة ، من مؤرخين أبصروا ما للعرب من فضل في تمدين أوروبة ، فألفوا كتباً اعترفوا فيها للعرب بما ليس فيه الكفاية[٢] .

موقف لوبون من العرب والرسول

وقد راع هذا الجحود العلامة الفرنسي الشهير **الدكتور غوستاف لوبون**[٣] ، وهو الذي هدته رحلاته في العالم الإسلامي ، ومباحثه الاجتماعية إلى أن العرب هم الذين مدنوا أوروبة ، فرأى أن يبعث **عصر العرب الذهبي** من مرقده ، وأن يبديه للعالم في صورته الحقيقية ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، فأخرج كتابه **(حضارة العرب)** عام ١٨٨٤م ، **وقد سلك العلامة لوبون بتأليف كتابه هذا طريقاً لم يسبقه إليها أحد ، فجاء جامعاً لعناصر هذه الحضارة وتأثيرها في العالم ، شاملاً لعجائبها مفصلاً لعواملها ، باحثاً في قيام دولة العرب وفي أسباب عظمتهم وانحطاطهم ، مبتعداً عن أوهام الأوروبيين التقليدية في العرب والإسلام**[٤] .

وقد استعان لوبون بطريقة **التحليل العلميِّ** على الخصوص ، فأوضح في كتابه هذا الصلة بين الحاضر والماضي ، ووصف فيه عرق العرب وبيئاتهم ، ودرس فيه أخلاقهم وعاداتهم وطبائعهم ونظمهم ومعتقداتهم وعلومهم وآدابهم وفنونهم وصناعتهم وتأثيرهم في المشرق والمغرب وأسباب عظمتهم وانحطاطهم .

ومما تجدر الإشارة إليه أن لوبون يتحدث عن العرب وحضارتهم منذ العصر الجاهلي ومروراً بالعصر النبوي والدولة الأولى التي أقامها الخلفاء الراشدون ، ومنتهياً إلى ما تلاها من الدول والتي كانت آخرها الدولة العثمانية .

يقول لوبون عن العرب : إنهم لم يكونوا من الأجلاف قبل الإسلام ، وإن السجايا الخلقية للعرق العربي هي التي عيَّنت اتجاهه ، ويضيف : **إن الحضارة التي أقامها العرب في أقل من مئة سنة مرت على البعثة المحمدية ، هي من أنضر الحضارات التي عرفها التاريخ ، والتعصب الديني وحده هو الذي أعمى بصائر مؤرخي الغرب عن الاعتراف بفضل محمد (صلى الله عليه وسلم)** . ويضيف : إذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد (صلى الله عليه وسلم) من أعظم من عرفهم التاريخ . ويمضي لوبون إلى القول : صار العرب أمة واحدة بفضل الإسلام ، وأصبح الإسلام مَثَل العرب الأعلى ، واكتسب العرب من الحمية ما استعدوا معه لفتح العالم إعلاء لشأنه بقيادة زعمائهم الماهرين .

الباب الأول

وقد تضمن **ثلاثة فصول** ، تحدث لوبون في **الأول** منها عن **جغرافية الجزيرة العربية** ومساحتها وسكانها وجبالها وسهولها وأقسامها ، وفي **الثاني** منها تحدث لوبون عن **العرق العربي** بشكل مبسط ومنذ أقدم العصور ، وفي **الثالث** منها تحدث لوبون عن **حياة العرب قبل رسالة محمد صلى الله عليه وسلم** ، وعن العادات والتقاليد التي كانت سائدة عند العرب في تلك الفترة .



★ ابن سينا ★

الباب الثاني

ويتكون من **فصلين** ، تحدث لوبون في **الأول** منها عن **نشوء الدولة العربية** وعن مراحل الدعوة التي قام بها الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، بينما كرس **الفصل الثاني** للحديث عن **(القرآن الكريم)** ، ونراه يقول في هذا الصدد : إن روح العدل والإحسان في القرآن هي من أهم أسباب انتشاره .

الباب الثالث

من أوسع أبواب الكتاب وقد ضم **ثمانية فصول** ، تحدث لوبون في **الأول** منها عن **دولة الخلفاء الراشدين** (رضي الله عنهم) وعن فتوحاتهم العظيمة ، ثم انتقل فيه للحديث عن **الدولة الأموية** مشيراً إلى مراحل القوة والضعف فيها ، واختتمه بما آلت إليه حال بني أمية بعد زوال دولتهم .

وفي **الفصل الثاني** تحدث لوبون عن **الدولة العباسية** وعن فتوحاتها ورقيها ، وفي هذا الصدد يقول : **كان دور الحضارة الذي عرفته بغداد في عهد الرشيد وابنه المأمون من أنضر أدوار الحضارة العربية** ، ويختم هذا الفصل بالحديث عن أسباب انحطاط الخلافة العباسية ومنه ترف الخلفاء .

وينتقل المؤلف في **الثالث** إلى الحديث عن **الحضارة التي أوجدها العرب في بلاد فارس والهند ودول شرق آسيا** ، وعن الدول الإسلامية التي نشأت هناك بعد الفتح الإسلامي .

العرب في مصر

في **الفصل الرابع** لهذا الباب ، يتحدث المؤلف عن حال الفتح الإسلامي ، وعن احترام **عمرو بن العاص** لنظم المصريين وعاداتهم ومعتقداتهم ، ثم يتحدث عن الدور الحضاري الذي شهدته مصر بعد الفتح العربي الإسلامي لها ، وفي هذا الصدد يقول : **إن الرقي الذي جلبه العرب لمصر لم تعرف له مثيلاً منذ فجر التاريخ** ، واختتمه بالحديث عن بناء **القاهرة** على عهد الفاطميين ، وعن الطراز العمراني لمساجد القاهرة وغيرها من المدن في مصر .

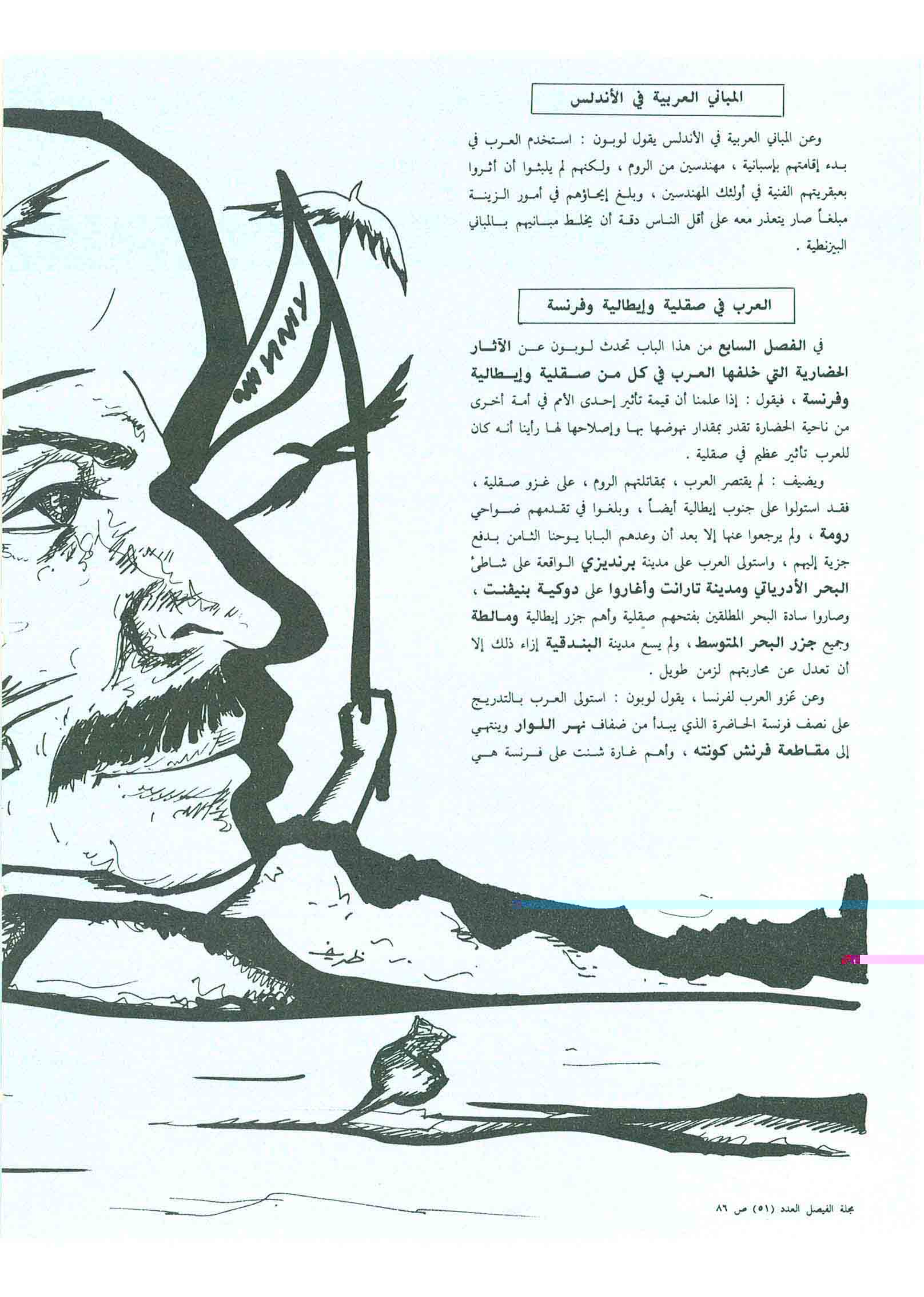
وفي **الفصل الخامس** يتحدث المؤلف عن **الشمال الإفريقي** ، ونراه يسهب في الحديث عن تاريخ الشعوب والقبائل التي سكنت تلك المناطق ، ويركز حديثه عن البربر على اعتبار أنهم من أقدم الشعوب التي سكنت الشمال الإفريقي بشكل عام ، ثم يعرج إلى الحديث عن أثر وصول الدين الإسلامي إلى سكان تلك المناطق ، والأثر الواضح لتحضر شعوب تلك المناطق الإفريقية على أيادي الفاتحين المسلمين ، وينهي هذا الفصل في الحديث عن المصاعب التي واجهت الجيش العربي الإسلامي في فتح تلك المناطق الشاسعة المترامية الأطراف ، وفي تحضير شعوبها ونقلهم من حياة البداوة ، إلى حياة مدنية مستقرة ضمن مدن مزدهرة عمرانياً وثقافياً .

العرب في الأندلس

الفصل السادس من هذا الباب خصصه لوبون للحديث عن **العرب في إسبانية (الأندلس)** ، فيقول : لم يكن حب التوسع وحده هو الذي حفز العرب الذين ترامت أطراف دولتهم إلى فتح إسبانية . ويضيف : دخل جيش إسلامي مؤلف من اثني عشر ألف جندي بلاد إسبانية في سنة ٧١١م ، أي زمن **الخليفة العاشر**[٤] الذي كانت **دمشق** عاصمته ، ثم يقول : من يقطع القسم الجنوبي الخصب من بلاد إسبانية يعلم مقدار التأثير الذي أثر به في نفوس العرب حينما استولوا عليه ، فقد بهرتهم تربته وهواؤه ومدنه ومبانيه .

ويضيف لوبون : لقد وصفت إسبانية في كتاب أرسله قائد الجيش العربي[٥] إلى الخليفة الأموي ، بأنها (**شامية** في طيبها وهوائها ، **يمنية** في اعتدالها واستوائها ، **هندية** في عطرها وذكائها ، **أهوازية** في جباياتها ، **صينية** في معادن جواهرها ، **عدنية** في منافع سواحلها) .

ثم يصف لوبون فتح الأندلس في سهولته على أيدي العرب فيقول : كان العرب قد قضوا خمسين سنة في فتح إفريقية البربرية ، ولم يقضوا سوى بضعة أشهر في فتح جميع إسبانية النصرانية . وعن حضارة العرب في الأندلس يقول لوبون : كانت إسبانية النصرانية ذات رخاء قليل وثقافة لا تلائم غير الأجلاف في زمن ملوك القوط ، ولم يكد العرب يتمون فتح إسبانية حتى بدأوا يقومون برسالة الحضارة فيها ، فاستطاعوا في أقل من قرن أن يحيوا ميت الأرضين ويعمروا خرب المدن ، ويقيموا فخم المباني ويوطدوا وثيق الصلات التجارية بالأمم الأخرى ، ثم شرعوا يتفرغون لدراسة العلوم والآداب ويترجموا كتب اليونان واللاتين وينشئون الجامعات التي ظلت وحدها ملجأً للثقافة في أوروبة زمناً طويلاً .



المباني العربية في الأندلس

وعن المباني العربية في الأندلس يقول لوبون : استخدم العرب في بدء إقامتهم بإسبانية ، مهندسين من الروم ، ولكنهم لم يلبثوا أن أثروا بعبقريتهم الفنية في أولئك المهندسين ، وبلغ إبحاؤهم في أمور الزينة مبلغاً صار يتعذر معه على أقل الناس دقة أن يخلط مبانيهم بالمباني البيزنطية .

العرب في صقلية وإيطالية وفرنسة

في **الفصل السابع** من هذا الباب تحدث لوبون عن **الآثار الحضارية التي خلفها العرب في كل من صقلية وإيطالية وفرنسة** ، فيقول : إذا علمنا أن قيمة تأثير إحدى الأمم في أمة أخرى من ناحية الحضارة تقدر بمقدار نهوضها بها وإصلاحها لها رأينا أنه كان للعرب تأثير عظيم في صقلية .

ويضيف : لم يقتصر العرب ، بمقاتلتهم الروم ، على غزو صقلية ، فقد استولوا على جنوب إيطالية أيضاً ، وبلغوا في تقدمهم ضواحي **رومة** ، ولم يرجعوا عنها إلا بعد أن وعدهم البابا يوحنا الثامن بدفع جزية إليهم ، واستولى العرب على مدينة **برنديزي** الواقعة على شاطئ **البحر الأدرياتي ومدينة تارانت وأغاروا** على **دوكية بنيفنت** ، وصاروا سادة البحر المطلقين بفتحهم صقلية وأهم جزر إيطالية **ومالطة** وجميع **جزر البحر المتوسط** ، ولم يسع مدينة **البندقية** إزاء ذلك إلا أن تعدل عن محاربتهم لزمن طويل .

وعن غزو العرب لفرنسا ، يقول لوبون : استولى العرب بالتدريج على نصف فرنسة الحاضرة الذي يبدأ من ضفاف **نهر اللوار** وينتهي إلى **مقاطعة فرنش كونته** ، وأهم غارة شنت على فرنسة هي

الغارة التي قادها **عبد الرحمن الغافقي** سنة ٧٣٢ م ، واحتل فيها الجنوب الفرنسي الذي بقي لقرون عدة تحت سيطرة العرب المطلقة [٥] .

أما في **الفصل الثامن** من هذا الباب خصه لوبون للحديث عن الحروب الصليبية من وجهة نظره الخاصة التي تستحق في نظري التقدير ، فنراه يقول : كان سلطان العرب السياسي في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي ، أي في الدور الأول من الحروب الصليبية في طور الانحطاط وإن لم يذو اسمهم في العالم ، فقد كانت إفريقية وإسبانية في قبضتهم ، ولم يتقادم بعد الزمن الذي كانوا فيه سادة البحر المتوسط وسادة جزء من فرنسة وملوكاً لصقلية والذي أوغلوا فيه حتى رومة فأكرهوا البابا على دفع جزية إليهم ، ولم يصل قياصرة الرومان في إبان مجدهم إلى ما وصل إليه اسم محمد (صلى الله عليه وسلم) من إلقاء الرعب في قلوب برابرة أوروبة ، فهجوم أوروبة النصرانية على ديار الإسلام الذي كانت فرائص العالم ترتجف فرقاً منه منذ خمسة قرون ، وذلك في عقر دارهم ، من الأعمال التي كانت تتطلب حماسة دينية بالغة واعتماداً كبيراً على الرب وجيشاً مؤلفاً من مليون جندي ، يشير بذلك إلى أن فشل الحملة الصليبية كان متوقعاً سلفاً .

الباب الرابع

وقد ضم **خمسة فصول** ، خصصها لوبون للحديث عن **طبائع العرب ونظمهم** ، حيث يتحدث عن حياة البدو وأهل الأرياف من العرب ، كما تحدث فيها عن طبائع وعادات عرب المدن ، ومن ثم يعقد مقارنة بين مجتمعات الغرب ومجتمعات الشرق ، ثم يعرج إلى الحديث عن **النظم السياسية والاجتماعية عند العرب** ، وعن مصادرها القديمة (القرآن والسنّة واجتهادات الخلفاء الراشدين) والحديثة منها

(مذاهب الأئمة الأربعة) وسواهم من الأئمة المجتهدين، ونراه يفرد فصلاً من الفصول الخمسة عن **(المرأة في الشرق)** يتحدث فيه عن **أسباب تعدد الزوجات** في الشرق منذ العصر الجاهلي مروراً بالعصر الإسلامي وحتى العصر الحديث.

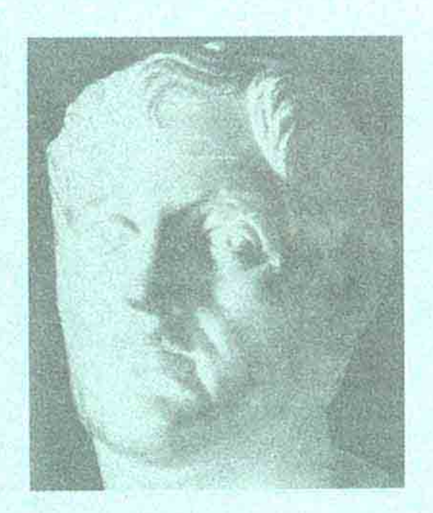
ويخلص في هذا الفصل إلى أن **دين الإسلام أول دين رفع من شأن المرأة**، ويضيف بأن **حال المرأة المتزوجة في البلاد الإسلامية أفضل منها في أوروبة في عصره**، وفي فصل آخر من هذا الباب يتحدث لوبون عن **(الدين والأخلاق) عند العرب** ينتهي فيه إلى أن المعتقدات الدينية كانت عاملاً مهماً في تطور العرب ورفعة أخلاقهم، بينما يحدثنا في **الفصل الخامس عن المساجد والزوايا والمدارس** وغيرها من أماكن ومراكز العبادة والعلم في ديار العرب منذ العصر الإسلامي الأول وحتى العصر الحديث، وعن الأثر الذي كان لهذه المراكز في التطور الحضاري لبلاد العرب والعجم بعد [illegible]

الباب الخامس

وهو أوسع الأبواب التي ضمها الكتاب، فقد حوى **عشرة فصول** واحتل من الكتاب مئة وستاً وأربعين صفحة، وقد كرّسه لوبون للحديث عن حضارة العرب من كل جوانبها، حيث يتحدث في **الفصل الأول** عن **مصادر معارف العرب العلمية والأدبية**، وعن اهتمام الخلفاء في العصر العباسي بنقل كتب اليونان إلى اللغة العربية، وعن النشاط الذي كان للعرب في حقل الأبحاث العلمية والأدبية، ثم يتطرق للحديث عن **تأسيس المكتبات والمدارس والمختبرات والمراصد**، ومنها يتحول للحديث عن **مناهج العرب العلمية**، ويؤكد في ختام هذا الفصل بأن **العرب هم أول من أدخل التجربة والترصد إلى دراسة العلوم**.

في **الفصل الثاني**: يتحدث لوبون عن **اللغة والفلسفة والآداب والتاريخ عند العرب**، فنراه يقول: اللغة العربية هي لغة أمم الإسلام عامة، ويشير من ناحية ثانية إلى أن اللغة العربية أثرت في اللغة الإسبانية واللغة الفرنسية.

وفي مجال **الفلسفة عند العرب** يقول المؤلف: كانت فلسفة العرب حينما شرعوا يدخلون ميدان الحضارة، مقتصرة على مبادئ علم النفس العلمية التي هي وليدة التجربة لا الكتب، والتي ينتفع الإنسان بها في مضمار الحياة فقط، ثم يضيف: واليونان هم أساتذة العرب الأولون في الفلسفة، ولم تلبث كتب **أرسطو وثاليس وأبيذقليس وهرقليوس وسقراط** وغيرهم أن ترجمت إلى لغة العرب، غير أن العرب فاقوا أساتذتهم بسرعة في جميع العلوم التي تقوم على التجربة، غير أن جماهير المسلمين كانت تمقت الفلاسفة العرب مع ما تم لهم من المقام الأسمى في جامعات العرب، وللجماهير ما تعتذر به عن معارضتها للفلاسفة، فقد نبذ الفلاسفة أكثر أحكام دين الإسلام، ولم يسلموا بغير



★ أرسطو ★

العقائد الأساسية كوحدانية الله ورسالة محمد (صلى الله عليه وسلم)، ثم كانوا ينشرون آراءهم علناً، ويهاجمون بها عقائد المؤمنين بدلا من الاكتفاء بعرضها على المثقفين منهم.

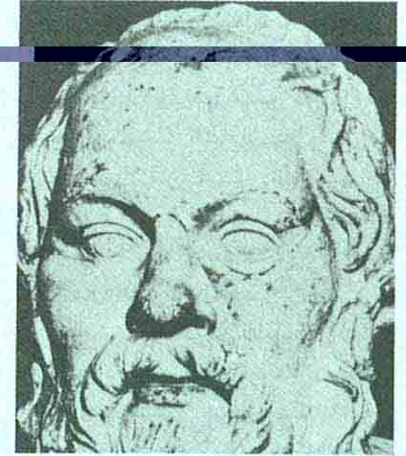
بعد ذلك يتحدث لوبون عن **الأدب العربي** بشكل عام بما يحوي من الفروع كالشعر والنثر والخط منذ أقدم العصور بما يضيق بنا المجال في هذا الموضع عن تلخيص كلامه فيه لكونه توسع في الحديث عنه مورداً نماذج من آثار الكتّاب والشعراء المبرزين في ساحاته.

في **الفصل الرابع** من هذا الباب يتحدث لوبون عن **العلوم الجغرافية عند العرب**، حيث يقول: كان العرب من السياح المقاديم في كل وقت، كانوا لا يخشون المساوف والمراحل، واليوم أيضاً نراهم يأتون **مكّة** من أقصى البقاع، ويجوبون بقوافلهم داخل إفريقية كأمر بسيط، فيصادفهم فيها الأوروبيون الذين لا يبلغونها إلا بشق الأنفس، ويخلص في القول إلى أن العرب هم روّاد علم الجغرافيا بين الأمم عموماً، ويأتي على ذكر أهم الرحّالة العرب في مختلف العصور، وذكر آثارهم المدوّنة في هذا الصدد.

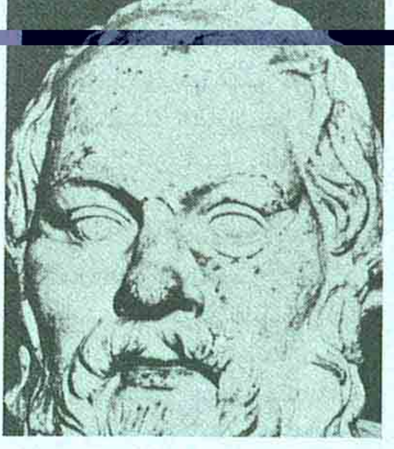
العرب استعملوا البارود

في **الفصل الخامس** من الكتاب تحدث لوبون عن **(الفيزياء وتطبيقاتها عند العرب)** فيقول: ضاعت كتب العرب المهمة في الفيزياء التي خلفها علماء العرب، ولم يبق منها غير أسمائها ككتاب **الحسن بن الهيثم** في الرؤية المستقيمة والمنعكسة والمنعطفة، ثم يصف المؤلف **الساعة القديمة للجامع الأموي بدمشق**، ثم يتحدث عن اكتشاف العرب لأهم المركبات الكيماوية كالحامض الكبريتي والكحول، واكتشافهم للتقطير، ويعرج للحديث عن أشهر مؤلفات العرب في هذا الميدان.

ثم يشير لوبون إلى اختراع العرب للبارود، حيث استعملوا البارود في الحروب الصليبية قبل أن تعرفه أوروبة بزمن طويل، ويستشهد بذلك



★ سقراط ★



★ فولتير ★

بما رواه **(جوانفيل)** أحد قواد القوات الصليبية حيث قال : إنها أفظع شيء رآه في حياته (قذائف اللهب) ، وإنها ضرب من التنانين الكبيرة الطائرة في الهواء ، ويشير بذلك إلى قذائف اللهب بالمنجنيق ، ثم يضيف : **إن العرب هم الذين اخترعوا بارود المدافع السهل الانفجار** ، وفي هذا الصدد يقول : إن **الأمير يعقوب** حاصر زعيماً للثوار في **مدينة المهدية** بإفريقية في سنة ١٢٠٥ م ، وإنه ضرب أسوارها بمختلف الآلات والقنابل . . . أي ضربها بآلات لم يرها الناس من قبل ، ثم يأتي المؤلف بأكثر من رواية تثبت أن العرب هم أول من استعمل البارود والقذائف بين الأمم ، ومن تلك الروايات رواية نقلها عن **ابن خلدون** .

ثم يحدثنا عن **صناعة الورق** لدى العرب فيقول : **إن العرب هم أول من أحل الورق محل الرَّق** ، بعدها يحدثنا عن استخدام **البوصلة** في الملاحة فيقول : البوصلة هي من اختراع الصينيين ، ولكنه لم يقم دليل على استخدامهم لها في الملاحة ، فكانت البوصلة قليلة النفع لهم ، وقد نقل اختراعها عنهم العرب ، وهم ، أي العرب ، أول من استخدمها من الأمم على نطاق واسع ، ومن ثم نقل الأوروبيون اختراع البوصلة عن العرب .

العرب ابتدعوا علم الصيدلة

في **الفصل السادس** من هذا الباب حدثنا لوبون عن **العلوم الطبيعية والطبية عند العرب** ، ويتطرق للحديث عن كتب العرب في النباتات والمعادن والمتحجرات ، ثم يحدثنا عن كتب العرب الطبية ، وما أحدثه العرب في ميدان الطب ، وعن أبرز الأطباء العرب **كالرازي وابن سينا وابن رشد وغيرهم** ، بعد ذلك يحدثنا عن تقدم العرب في هذا المضمار وعن إدخالهم الكثير من الأدوية إلى علم الطب ، ثم يخلص إلى القول : بأن العرب هم الذين ابتدعوا الصيدلة ، وينهي حديثه في هذا الفصل عمَّا أحدثه العرب في علم الجراحة الطبية .

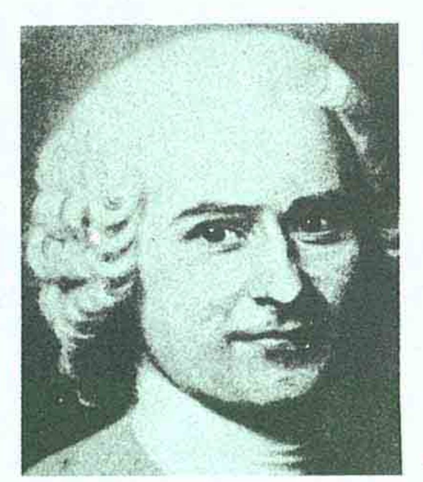
في **الفصل السابع** يحدثنا لوبون عن **الفنون العربية** بما في ذلك الرسم والحفر والفنون الصناعية من الفسيفساء وغيرها كصناعة الزجاج والخزف .

بينما يحدثنا المؤلف في **الفصل الثامن** عن فن **العمارة عند العرب** من مختلف جوانبه .

في **الفصل التاسع** يتحدث لوبون عن **تجارة العرب** وصلاتهم بمختلف الأمم عبر الطرق البرية منها والبحرية ، حيث يؤكد وصول العرب إلى بلاد **الصين** شرقاً والبلاد الأوروبية شمالا والبلاد الإفريقية غرباً .

في **الفصل العاشر** والأخير من هذا الباب ، يحدثنا لوبون عن تمدين العرب لأوروبة وتأثيرهم في الشرق والغرب ، وفيما يخص أوروبة يقول : **كانت أوروبة تعيش في همجية حينما دخلها العرب ، وإن تأثيرهم فيها لا يقل أهمية عن تأثيرهم في بلاد الشرق** ، ويضيف : **لا يمكن إدراك أهمية شأن العرب في الغرب إلا بتصور حال أوروبة حينما أدخلوا الحضارة إليها** .

ثم يضيف لوبون : إذا رجعنا إلى القرن التاسع والقرن العاشر للميلاد ، حين كانت الحضارة الإسلامية في إسبانية ساطعة جداً ، رأينا أن مراكز الثقافة في الغرب كانت أبراجاً يسكنها سنيورات متوحشون يفخرون بأنهم لا يقرأون . ثم يضيف : ودامت همجية أوروبة البالغة زمناً طويلاً من غير أن تشعر بها ، ولم يبدُ في أوروبة بعض الميل إلى العلم إلا في القرن الحادي عشر والقرن الثاني عشر للميلاد ، وذلك حين ظهر فيها أناس رأوا أن يرفعوا أكفان الجهل الثقيل عنهم ، فولوا وجوههم شطر العرب الذين كانوا أئمة وحدهم ، **ولم تكن الحروب الصليبية سبباً في إدخال العلوم إلى أوروبة كما يُردَّد على العموم ، وإنما دخلت العلوم أوروبة من إسبانية وصقلية وإيطالية** ، وذلك أن مكتباً للمترجمين في **طليطلة** بدأ منذ سنة ١١٣٠ م ، بنقل أهم كتب العرب إلى اللغة اللاتينية ، وأن أعمال هذا المكتب كللت بالنجاح [٧] .



★ جان جاك روسو ★

الباب السادس

وهو **الباب الأخير** من الكتاب وقد ضم **فصلين** ، **في الأول** منها تحدث لوبون عن **انحطاط (حضارة العرب)** ، ويبدأ الحديث عن ورثة العرب في الأندلس فيقول : إن من أحسن الوسائل لتقدير ما لأمة من التأثير النافع أو الضار في أمة أخرى هو أن يبحث في أحوال هذه الأمة قبل أن تخضع للنفوذ الأجنبي وفي أثناء خضوعها له وبعد خلاصها منه ، فأما أحوال الأمم التي دانت للعرب قبل خضوعها لهم وفي أثناء حكمهم لها فقد بحثنا فيها بما فيه الكفاية ، وأما أحوالها بعد أن غاب العرب عن مسرح العالم ، فنبحث فيها الآن بادئين بإسبانية .

ويضيف لوبون : **لم يفكر النصارى بعد أن استردوا غرناطة التي كانت معقل الإسلام الأخير في أوروبة ، في السير على سُنّة العرب في التسامح الذي رأوه منهم عدة قرون ، بل أخذوا يضطهدون العرب بقسوة عظيمة على الرغم من العهود ، ومع ما كان يصيب العرب من الاضطهاد كان تفوّقهم الثقافي على الإسبان عاملاً في بقائهم على رأس جميع الصناعات**[٨] .

ثم يتحدث لوبون عن ورثة العرب في الشرق فيقول : **الترك** هم ورثة العرب في مصر وقسم كبير من الشرق كما هو معلوم ، وإذا نظر المرء إلى الترك من الناحية السياسية ، أدرك أنه كان لهم دور كبير من العظمة ، فقد ارتعدت فرائص أقوى ملوك أوروبة ، زمناً طويلاً فرقاً من سلاطينهم الذين قاموا مقام القياصرة وأحلوا الهلال محل الصليب الإغريقي فوق **آياصوفيا** وبسطوا نفوذهم في الآفاق . ويمضي إلى القول : بيد أن عظمة الترك لم تكن في غير الحروب ، والترك وإن استطاعوا أن يؤسسوا دولة كبيرة ، فقد أثبتوا عجزهم عن إبداع حضارة في كل زمن .

وفي **الفصل الثاني** من هذا الباب ، يتحدث لوبون عن **أسباب عظمة العرب وانحطاطهم** ، وعن حال المسلمين في عصره ، حيث يقول : ولد محمد (صلى الله عليه وسلم) في أحسن الأوقات ، حيث كان العالم المسن متصدعاً فيه من كل جانب ، ولم يكن يتوجب على أتباع محمد إلا أن يهزوه ليتساقط ، ولم تكن الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام سوى ميدان حرب دائم واسع لما تأصل في العرب من الطبائع الحربية ، ولما جاء الإسلام وألف بين قلوب العرب وجهوا جميع قواتهم إلى البلاد الأجنبية ، وكانت طبائعهم الحربية من أسباب انتصاراتهم ، ولما خلا الميدان من أعداء يحاربونهم صوبوا أسلحتهم نحو بعضهم ، وهكذا بدت هذه الصفات التي كانت سر عظمتهم سبب انحطاطهم الأكبر[٩] .

بقي أن أضيف بأن لوبون ضمَّن كتابه العظيم هذا مجموعة كبيرة جداً من الصور الفوتوغرافية الرائعة التقطها بنفسه خلال رحلاته في العالم الإسلامي ، لأهم المعالم الحضارية والعمرانية والثقافية والاجتماعية في القرن التاسع عشر الذي عاش فيه ، وتلك الصور بحد ذاتها تمثل متحفاً رائعاً قدر له أن ينضم إلى كتاب رائع ، إضافة إلى بعض الخرائط واللوحات الرائعة .

الهوامش

١ ــ لدينا دراسة عن حياة وآثار العلّامة عادل زعيتر لا تزال مخطوطة ، ربما نشرناها قريباً في مجلة « **الفيصل** » ، وعنها أخذنا هذه المقتطفات التي تخص زعيتر .

٢ ــ من المقدمة التي كتبها الأستاذ عادل زعيتر للكتاب .

٣ ــ لم تسعفنا المصادر المتوفرة في مكتبتنا الخاصة بترجمة للدكتور غوستاف لوبون ، فقصدنا دار الكتب الظاهرية العامرة بدمشق ، وفتشنا المصادر المتوفرة فيها عسانا نوفق إلى ترجمته في أحدها فلم نوفق للأسف .

٤ ــ هو الوليد بن عبد الملك رحمه الله .

٥ ــ هو موسى بن نصير ، وفي رواية أنه سار في موكب نصر إلى الشام ، حيث كان الوليد ينتظره بفارغ الصبر ، إلا أنه ما كاد يبلغ دمشق ، حتى توفي الوليد .

٦ ــ راجع في هذا الصدد كتاب (تاريخ غزوات العرب) في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ، للأمير شكيب أرسلان فإنه فريد في بابه ، وقد صدر حديثاً في بيروت .

٧ ــ انظر في هذا الصدد مقالتنا المنشورة في زاويتنا (المحطة الأخيرة) بمجلة (الثقافة الأسبوعية) الدمشقية بعنوان (الاستشراق والمستشرقون لمحة تاريخية) صفحة ١٠ و ١٢ من العدد (٢٨) لعام ١٩٨٠م .

٨ ــ راجع حول هذا الموضوع كتاب (الإحاطة في أخبار غرناطة) لابن الخطيب ، بتحقيق الأستاذ محمد عبد الله عنان ، القاهرة ، ١٩٥٦م .

٩ ــ يجدر بنا أن نشير إلى أن المؤلف صنع فهرساً بمصادر كتابه ، تعين الدارسين لتاريخ العرب والأمم الإسلامية كافة في الشرق .

موضوع خاص







★ كولومبيا تستند إلى سقالة إطلاق عملاقة ★

وأخيراً إنطلق مكوك الفضاء

بقلم:

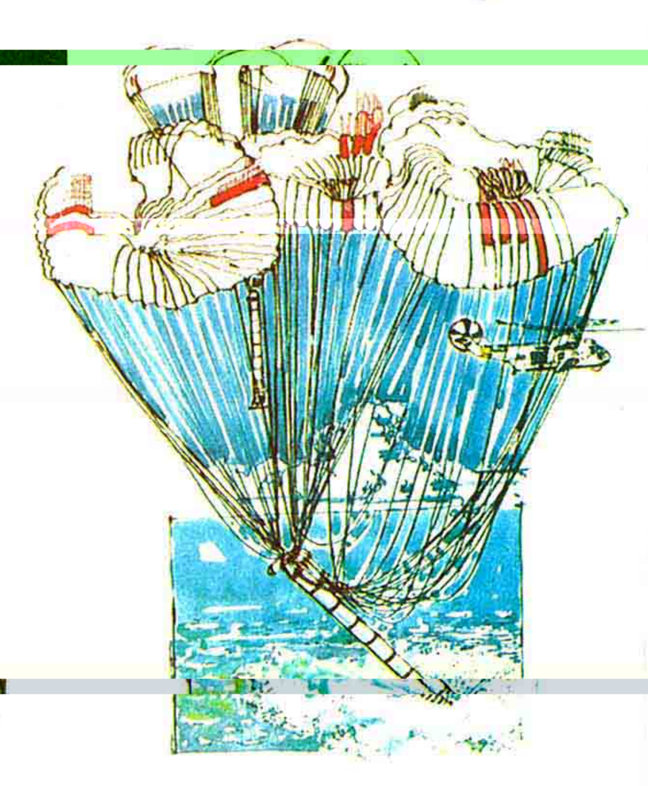
د. مهندس: مظفر صلاح الدين شعبان

مهندس: سمير صلاح الدين شعبان

وأخيراً بدأت المرحلة الثانية من مراحل غزو الفضاء، مرحلة استثمار بحوث الفضاء لجني الأرباح الوفيرة. ففي صباح الأحد ١٢ نيسان (أبريل) ١٩٨١م، انطلق مكوك الفضاء SPACE SHUTTLE الأميريكي (كولومبيا) رائداً للجيل الثاني من مركبات الفضاء المأهولة بالرواد. مركبات الجيل الأول مثل مركبة أبولو التي وضعت أول إنسان على سطح القمر انتهى دورها بعد رحلتها الوحيدة، لتحتل مكانها بعدها في متحف الطيران في العاصمة الأميريكية. أما مكوك الفضاء فإنه لن يزور متحف الطيران قبل إنجاز (٥٠) رحلة على الأقل إلى الفضاء الخارجي، يهبط بعدها على الأرض وكأنه طائرة اعتيادية، لينطلق إلى الفضاء بعدها مراراً وتكراراً.

★ فوق قاعدة الاطلاق ★

★ أقوى المظلات الفضائية في العالم . كل صاروخ نضب فيه الوقود الصلب يزن ٨٠ طناً . على ارتفاع ٦٦٠٠ قدم ، وسرعة ٢٢٥ ميل في الساعة تفتح ٣ مظلات يبلغ مجموع أقطارها ما يعادل طول ملعب لكرة القدم . وهكذا ينجو الصاروخ الساقط في الماء من التضرر ويعاد استخدامه ثانية ★





★ غرفة قيادة إحدى الطائرات الحديثة . هل تختلف كثيراً عن أختها في مكوك الفضاء ؟ ★

لقد أثبت مكوك الفضاء كولومبيا على جدارة مبدأ المكوك وتمكنه من مغادرة الأرض والعودة إليها سالماً ، ليستعد لرحلة قادمة . وبذلك مهدت كولومبيا الطريق للمركبات الأخرى **أطلنطس** ATLANTIS ، **ديسكافري** DISCOVERY ، **وتشالنجر** CHALLENGER . ويتوقع المسؤولون في هيئة بحوث الفضاء والطيران الأميركية (ناسا) أن تقوم هذه المركبات مجتمعة بخمسين رحلة سنوياً بحلول عام ١٩٩٠ م .

مكوك الفضاء ... لماذا ؟

شاهد كثير من الناس في مختلف أرجاء العالم صور المكوك الفضائي كولومبيا محمولا على ظهر طائرة نقل ركاب من طراز بوينغ ٧٤٧ . وسمع آخرون عن إحاطة ألسنة اللهب بالمكوك أثناء اندلاع النيران في محركاته ، وأن بعض لبنات درعه الحراري قد سقط أثناء عملية تجريب المحركات . كما تناقلت وكالات الأنباء أن الصعوبات التكنولوجية أخرت الإقلاع أكثر من سنتين كاملتين ، وأن نفقات المشروع قد ارتفعت من (٥٠٠٠) مليون إلى (٩٠٠٠) مليون دولار . ففيم كل هذا العناء ؟

مكوك الفضاء هو عبارة عن جملة نقل أو شاحنة فضائية . الصواريخ « التقليدية » كانت تقوم بنقل الأقمار الصناعية والرواد إلى مدارات حول الأرض . إلا أن مكوك الفضاء لن يقوم بنقل المعدات من الأرض إلى الفضاء فحسب ، بل « سيعيدها » إلى الأرض كذلك عند الضرورة . وبينما كانت الصواريخ تخدم رحلة واحدة فحسب ، فإن المكوك نفسه قد يقوم بأكثر من مائة رحلة قبل إحالته على التقاعد (المعاش) . فالمكوك لديه كافة المؤهلات التي تخوله إزاحة وسائل الإطلاق التقليدية بشكل كامل .

تتركز المهام المنظورة لمكوك الفضاء على وضع الحمولات في مدارات حول الأرض ، مثل المختبرات العلمية ، آلات التصوير ، المناظير الفلكية ، أقمار الاتصالات اللاسلكية والبث التليفزيوني وغيرها . **مكوك الفضاء سينقل العلماء إلى المختبرات الفضائية مثلاً ، ثم يرجع إليهم بعد عدة أسابيع لإعادتهم إلى الأرض** . وإذا تعطل أحد الأقمار الصناعية أو المختبرات بشكل يتعذر معه إصلاحه في الفضاء ، عندها « سيعيده » المكوك إلى الأرض لإجراء الصيانة اللازمة له وإعادته إلى مداره ثانية .

إرسال الرادار إلى الفضاء والقمر ، إرسال المركبات إلى الزهرة والمريخ والمشتري وزحل كانت من الإنجازات البارزة في عصر « استكشاف » الفضاء . أما مكوك الفضاء فإنه يمثل

الخطوة الأولى على الطريق إلى أرض مجهولة . فمكوك الفضاء هو وسيلة الإنسان لولوج حقبة «تسخير» الفضاء في خدمة صالح الإنسان ورفاهه وربما حتى تدمير حضارته .

من الآفاق السريعة التي قد يفتحها مكوك الفضاء بمرونته التي لا تقلد ، هي مجال الاتصالات الهاتفية والتلفزة . فوضع العديد من أقمار الاتصالات الهاتفية بتكلفة صغيرة نسبياً ، سيجعل المرء يتصل مباشرة بمن يشاء بصورة فورية وبسعر زهيد . ومن الاحتمالات غير المؤكدة هو استخدام المكوك في بناء مصانع في الفضاء تستفيد من ظروف انعدام الجاذبية في تقليل تكلفة إنتاج بعض المواد الغالية وعلى رأسها بعض المستحضرات الطبية والأدوية .

وأخيراً ، لا بد من ذكر **الاستخدامات العسكرية** المحاطة بالتكتم الشديد . فقد كشفت **وزارة الدفاع الأميركية** عن نواياها في هذا الخصوص ، عندما قامت بحجز ١٣ رحلة كاملة لصالحها من بين الرحلات الـ ٤٤ الأولى . ليس بمقدور المكوك « شحن » أقمار التجسس فحسب ، بل يتسع لـ ٣٠ طناً من العتاد الحربي في الرحلة الواحدة . هذه الحقائق جعلت بعض المفكرين يتكهن بأن الحرب القادمة ربما تتم بين الأقمار المتحاربة ، أو أن تقوم « **الحصون الفضائية** » ـ على الأقل ـ بتدمير الصواريخ المعادية العابرة للقارات قبل بلوغها أهدافها ، باستخدام **أشعة الليزر** ، أو بواسطة مدافع حزمات الطاقة العالية .

ما هو مكوك الفضاء؟ وبماذا يتميز عن المركبات الفضائية السابقة حتى يتمكن من الإقلاع مرات عديدة ، ويقوم بتنفيذ هذا العدد الكبير من المهام المتنوعة؟

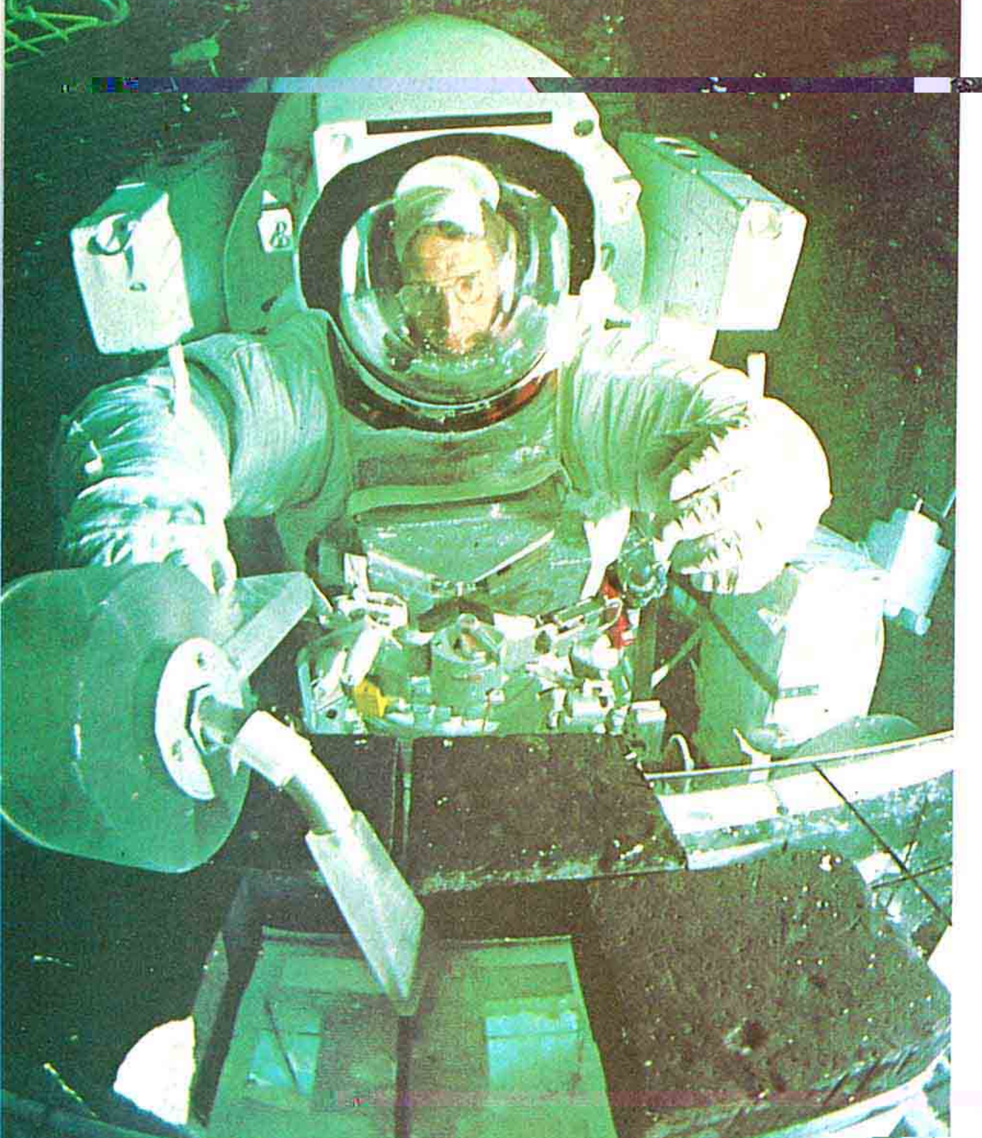
مكوك الفضاء .. ما هو؟

مكوك الفضاء لا يعدو كونه أحد الأجزاء الثلاثة الرئيسية « لجملة النقل الفضائي » . مكوك الفضاء يحمل رواد الفضاء و « الحمولة » التي قد يصل وزنها إلى ٣٠ طناً . القسم الثاني عبارة عن « خزان خارجي »

★ حجرة القيادة في مكوك الفضاء . يانغ (قائد الرحلة) إلى اليسار وعلى يمينه مساعده كريبن ★



★ أحد رواد المكوك القادمين يتدرب على ملء فجوة ناتجة عن سقوط إحدى لبنات الدرع الحراري في الفضاء وفي حالة انعدام الوزن ★



★ الرواد يتمرنون على الخروج من المكوك في حالة سقوطه في الماء ★



للوقود . بينما يتكون القسم الثالث من صاروخين يندفعان بإحراق الوقود الصلب . هذه الجملة الثلاثية ملتحمة مع بعضها وكأنها قطعة واحدة متماسكة ويبلغ ارتفاعها حوالي ١٨٤ قدماً .

المكوك SHUTTLE الذي يبدو مثل طائرة نقل متورمة يمثل جملة النقل الفضائي . وهو الذي يجوب المسافة بين الفضاء وسطح الأرض مراراً وتكراراً . يتسع المكوك لحمل ٧ رواد فضاء أو رائدي فضاء و ٥ ركاب . وفيه مستودع طوله ٢٠ متراً يتسع لثلاثين طناً من الأمتعة .

الناظر من بعيد لا يتمالك نفسه من التمتع أولا بمشاهدة « الخزان الخارجي » العملاق . الذي يشبه في شكله طلقة مسدس . وبدلا من **البارود** فإن هذا الخزان يحمل كميات هائلة من **الهيدروجين السائل** الذي يحترق عند مزجه **بالأكسيجين** في محركات المكوك الثلاثة الضخمة فيدفع جملة النقل الفضائي إلى الفضاء .

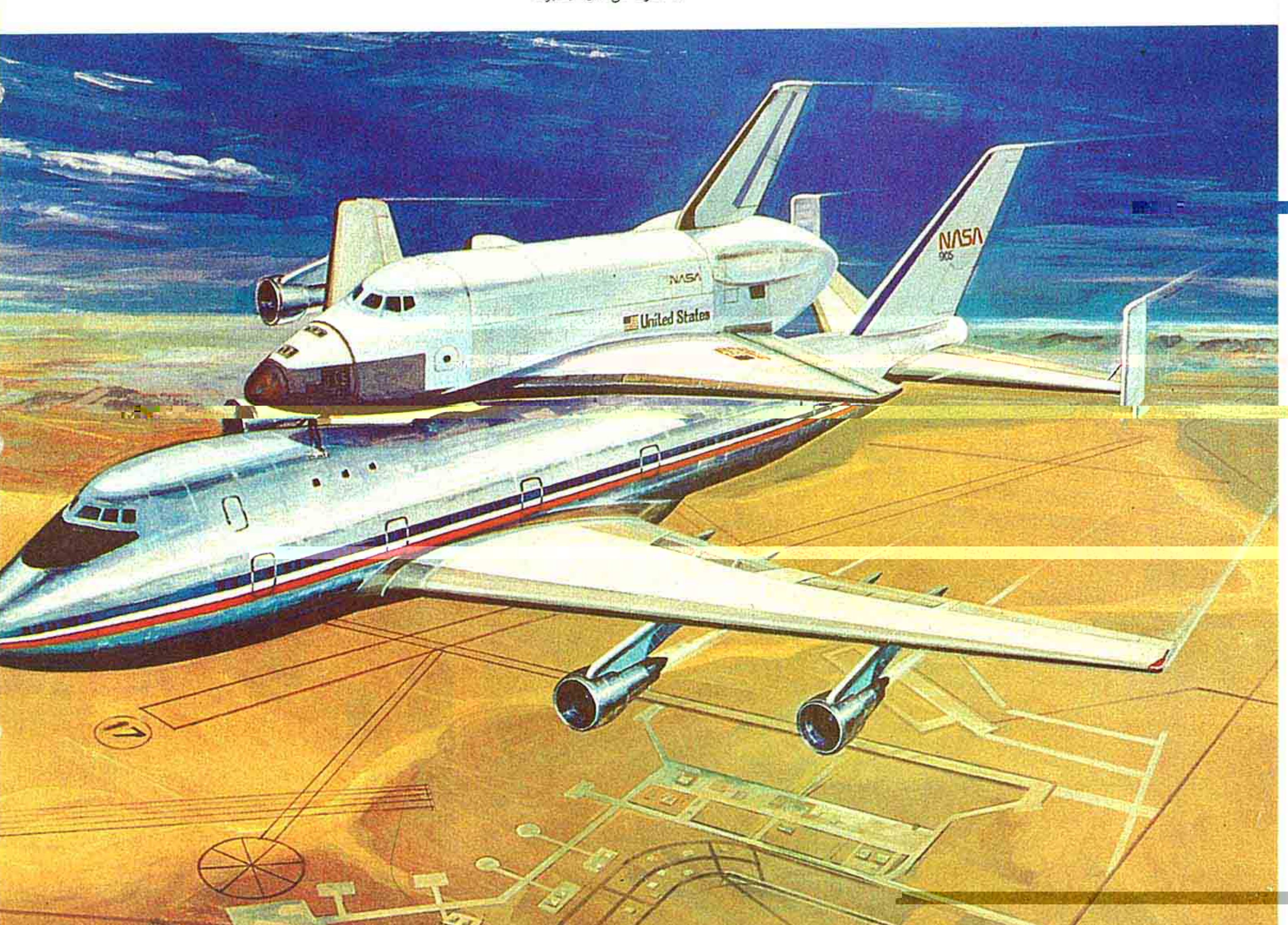
لو صمم المكوك بحيث يضطر إلى حمل هذه الكمية الهائلة من الوقود ضمن جسمه ، لتطلب ذلك جعله عملاق الحجم . لكن الخزان الخارجي سيكون بمثابة الجواد الطائر الذي يمتطيه المكوك . وقبل أن يصل المكوك إلى الارتفاع المطلوب يتخلص من الجواد ويتابع رحلته منفرداً .

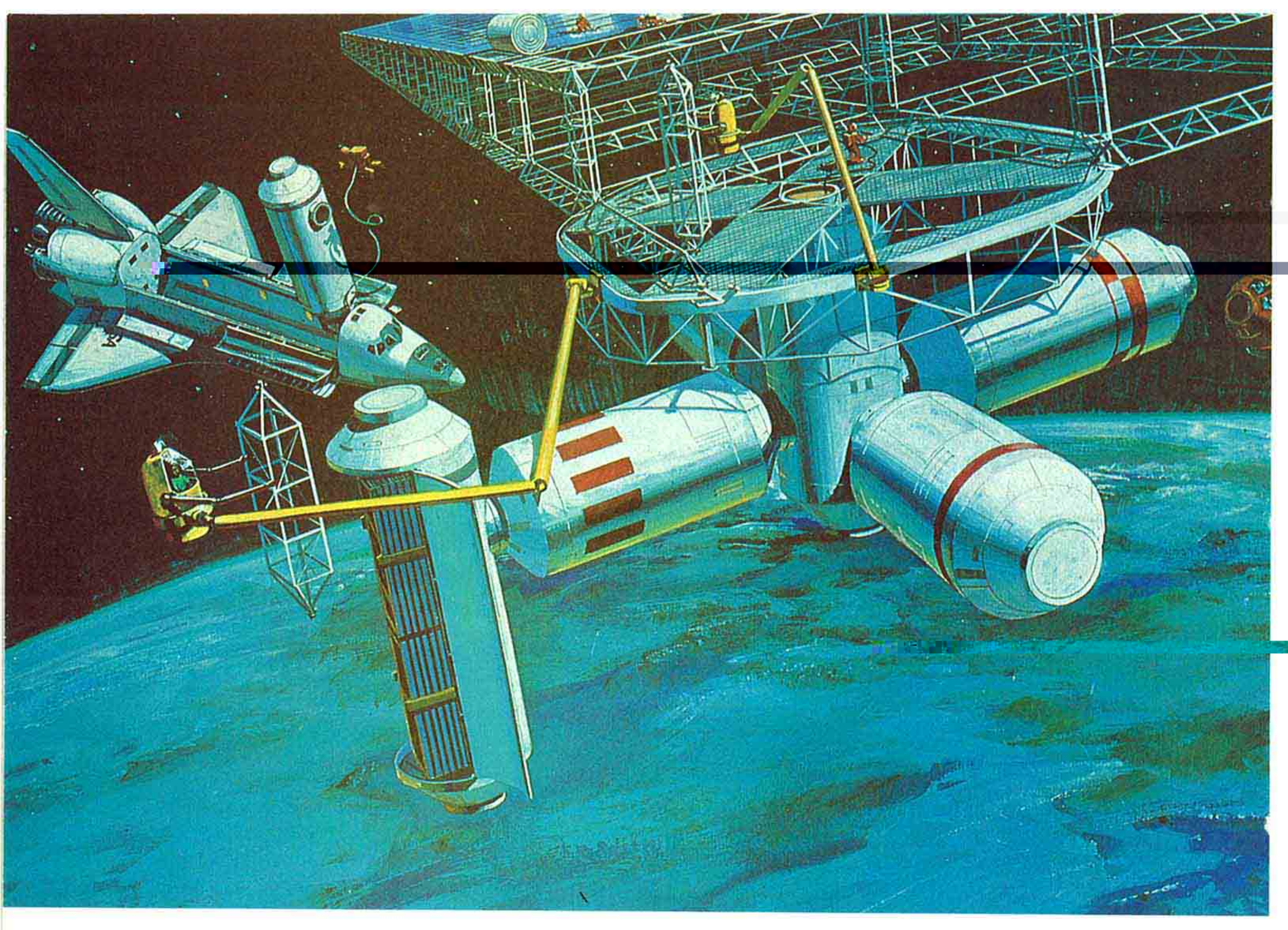
ولسوء الحظ فإن وزن الوقود وحده في الخزان يزن (٧٥٠,٠٠٠ كغ) . ومهما كانت محركات المكوك الرئيسية قوية ، فإنها تقدر بالكاد على رفع العبء الضخم عن الأرض .

لذا ظهرت الحاجة إلى إضافة جزء ثالث للجملة هو **صواريخ الوقود الصلب** . وهذه تحرق **مسحوق الألمنيوم** شديد الإنفجار ، مما ينشر كمية هائلة من الحرارة . تتميز صواريخ الوقود الصلب بمقدرة عالية على « قذف » الأجسام الثقيلة ، وتستخدم في **الأغراض العسكرية** منذ مدة غير قصيرة . لم يتم استعمال مثل هذه الصواريخ في الرحلات الفضائية من قبل لأنها « هائجة » يصعب التحكم في مسارها بدقة . فحالما يتم إشعالها ، فإنها تنطلق بسرعة جنونية . وقد كان ذلك مناسباً جداً لقذف الرؤوس الحربية ، ولكنه غير مناسب إطلاقاً لريادة الفضاء .

صواريخ الوقود الصلب هي « عضلات الساقين » التي تساعد جملة النقل الفضائي « للقفز » إلى الأعلى . وقد تم تثبيت صاروخين من هذا النوع على جانبي الخزان الخارجي . بعد إشتعال هذين الصاروخين ، يقدمان — خلال دقيقتين — قوة رفع تعادل ٢,٦ مليون كيلوغراماً .

★ المكوك على متن الجامبو ★





★ بناء المستعمرات الفضائية ★

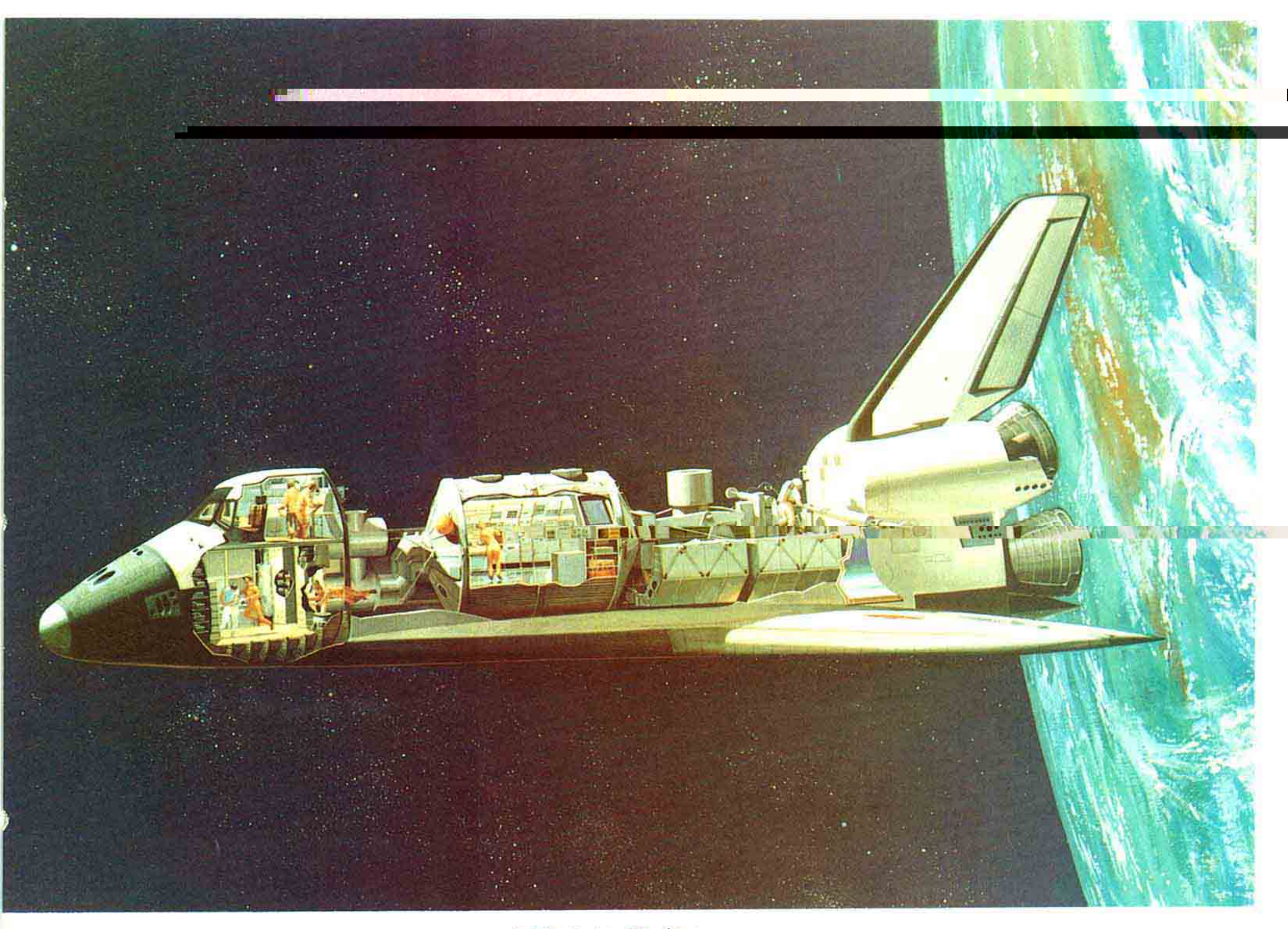
وهذه القوة كافية لرفع ٢٥ طائرة من طراز بوينغ ٧٤٧ دفعة واحدة مع كامل حمولاتها . عندما ينضب الوقود الصلب تقوم المتفجرات بدفع هذه الصواريخ ، وفصلها عن الجملة لتسقط في البحر ، حيث تقوم بعض السفن الخاصة باصطيادهات لإعادة استخدامها مرة أخرى .

وهكذا أصبحت جملة النقل الفضائي مكونة من المكوك ، وخزان خارجي واحد ، وصاروخي إطلاق ، يحرقان الوقود الصلب . عند الإقلاع تنطلق جميع مكونات الجملة دفعة واحدة بعد دقيقتين فقط من الإقلاع يجب أن تسقط صواريخ الوقود الصلب . وقبل لحظات من

الوصول إلى ارتفاع المدار المحدد للمكوك يجب أن يتخلص من الخزان الخارجي الذي يغذي المحركات الرئيسية . بعدها لا يحتاج المكوك إلى من يدفعه . لكنه يحتاج إلى تعديل اتجاهه ، أو سرعته أو ارتفاعه . وهذا ينجزه بصورة سهلة بمساعدة محركي « المناورة » التي تمكنه من الانعطاف ، وحتى من التوقف . وبواسطتها سيخرج من مداره حول الأرض ويعود إلى مطار استقباله والتحكم في مساره .

من يقود المركبة ؟

تسع دقائق قبل اقلاع جملة النقل الفضائي تتولى الحاسبات الإلكترونية قيادة الجملة بصورة آلية . ويستمر الوضع كذلك حتى الدقائق الأخيرة ، حيث يتولى الإنسان عملية التوجيه . أثناء الفترات الحرجة من الرحلة ستقوم الحاسبات بإجراء حوالي (٣٢٥,٠٠٠) عملية ذهنية في الثانية الواحدة . لذا يوجد على متن المكوك أربع حاسبات أساسية وخامسة احتياطي . تقوم جميع الحاسبات الأساسية بمعالجة العمليات نفسها بغية ضمان أعلى سوية للأمان . ويجب أن تتوافق مع بعضها في النتائج بصورة كاملة ، كذلك في التوقيت . عندما يشذ حاسب عن رفاقه يوقف عن الخدمة . وإذا خالف أحدها بعد ذلك ، تكون الغلبة عندها للأكثرية . فإذا حصل سوء تفاهم بين الحاسبين الأساسيين الأخيرين ، عندها يعمل الحاسب الاحتياطي الخامس الذي يحسم الموقف . الحاسب الاحتياطي يفترض فيه أنه لا يجوز أن يخطئ . هذه الحاسبات تريح الرواد عبء توجيه مكوك الفضاء وتجعلهم يتفرغون مطمئنين لإنجاز المهام



★ الموجه الفلكي فوق متن المكوك ★

الأخرى الملقاة على عاتقهم .

وقد وصف أحد رواد الفضاء قيادة المكوك بأنها تتطلب اتخاذ قرارات فورية بصورة مستمرة ، وهذا يعجز عنه الرواد . فلولا الحاسب الإلكتروني لما أمكن التفكير بالمكوك الفضائي .

الدرع

حجرة قيادة المكوك لا تختلف ـ في مظهرها ـ بشكل واضح عن حجرة قيادة الطائرات الحديثة (باستثناء ثلاث شاشات تلفزيونية وأكثر من ١٠٠٠ قاطعة كهربائية) . لكن « جلد » المكوك يمثل إنجازاً تكنولوجياً فريداً من نوعه . عندما يعود المكوك من الفضاء إلى غلاف الأرض الجوي بسرعة تقارب (١٧,٠٠٠) ميل في الساعة ، مما يجعل « جلد » المكوك يرتفع في بعض الأجزاء يسخن حتى ١٢٠٠°، ولا بد عندها أن يشتعل المكوك ، تماماً كما يشتعل النيزك عند ولوجه هواء الأرض بسرعة كبيرة . فكيف السبيل إلى حماية المكوك ؟

مركبات الفضاء « القديمة » كانت ترتدي درعاً كيميائياً يقيها الحرارة المرتفعة . يقوم هذا الدرع الكيميائي بامتصاص الحرارة الناتجة عن الاحتكاك بالهواء ، ثم يحترق مبتعداً عن المركبة . لكن هذا النوع من الدروع يفنى بعد رحلة واحدة ، بينما المكوك سيقوم برحلات عديدة قد تصل إلى (١٠٠ رحلة) . لذا لا بد من أن يكسى المكوك بجلد يتحمل الحرارة العالية مراراً وتكراراً . هذا الدرع مكون من لبنات مصنوعة من زجاج الرمل شديد النقاوة (أي من زجاج تبلغ فيه نسبة اكسيد السيليسيوم ٩٩,٧ بالمائة) . هذا الزجاج يعزل الحرارة بشكل كامل ويمنعها من بلوغ جسم المكوك المصنوع من معدن الألمنيوم . تكسو هذه اللبنات المناطق الحرجة في المكوك وقد استخدم في لصقها غراء من النوع الذي يكسو الحرارة أيضاً .

بلغ عدد هذه اللبنات حوالي (٣٤,٠٠٠ لبنة) . وحيث أن المناطق المختلفة من المكوك تتعرض لحرارة تختلف عن المناطق الأخرى ، لذا تباينت سماكات اللبنات وأشكالها . من أجل ذلك أوكل أمر تفصيلها وقصها إلى حاسب إلكتروني ، ثم تلصق كل لبنة باليد في مكانها المحدد . ولو سقطت لبنة واحدة أثناء الاقلاع أو العودة إلى جو الأرض ، فإن ذلك قد يؤدي إلى عواقب وخيمة .

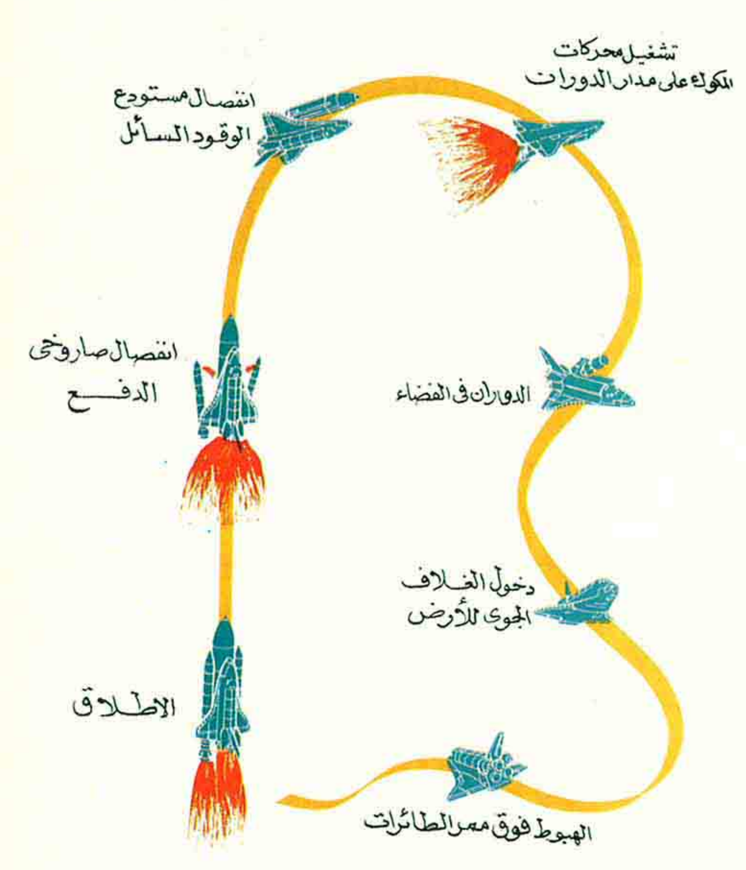
المحركات لا تعمل بشكل يلائم المكوك إلا عند حرق الهيدروجين تحت هذه الضغوط العالية . لكن مثل هذه الضغوط توجب استخدام تقنية متقدمة جداً للتمكن من تحمل المواصفات المطلوبة . ولهذا السبب أيضاً فشلت هذه المحركات مرات عديدة في تجارب اختباراتها ، المبدئية ، ولفتها ألسنة اللهب ، مما سبب في تأخير موعد إطلاق المكوك سنة كاملة .

لكن جميع الصعوبات المالية والتكنولوجية تم تذليلها أخيراً . وفي الأسبوع الأول من شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٨١م ، خرج المكوك أخيراً من المصنع إلى منصة الإقلاع بانتظار ساعة الصفر .

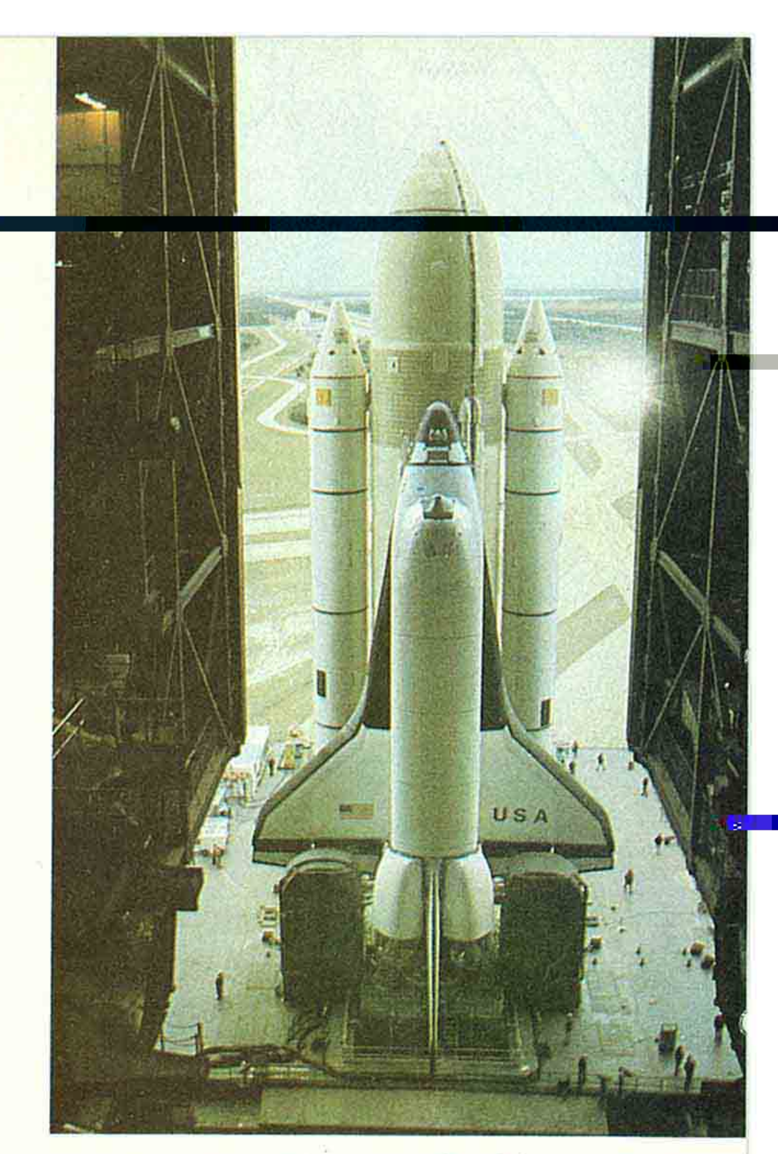
اللحظة العصيبة

في السابعة من صباح الجمعة ١٠ نيسان (أبريل) ١٩٨١م ، حانت لحظة الاطلاق وبدأ العد التنازلي . وقبل ٩ دقائق فقط من الانطلاق اكتشف علماء المتابعة أن الحاسبات الإلكترونية لا تتفاهم مع بعضها بشكل جيد مما أجل موعد الاقلاع عدة ساعات ثم ألغيت لتبدأ من جديد في صباح الأحد .

في السابعة من صباح الأحد ١٢ نيسان (أبريل) ١٩٨١م ، حانت اللحظة الحاسمة في **قاعدة كيب كنيدي في فلوريدا** . جون يانغ ــ قائد الرحلة John Young والرائد بوب كريبن في مقاعدهما في حجرة القيادة يسمعان ، العد التنازلي ١٠ ــ ٩ ــ ٨ ــ ٧ ــ ٦ ــ



★ مراحل رحلة مكوك الفضاء ★

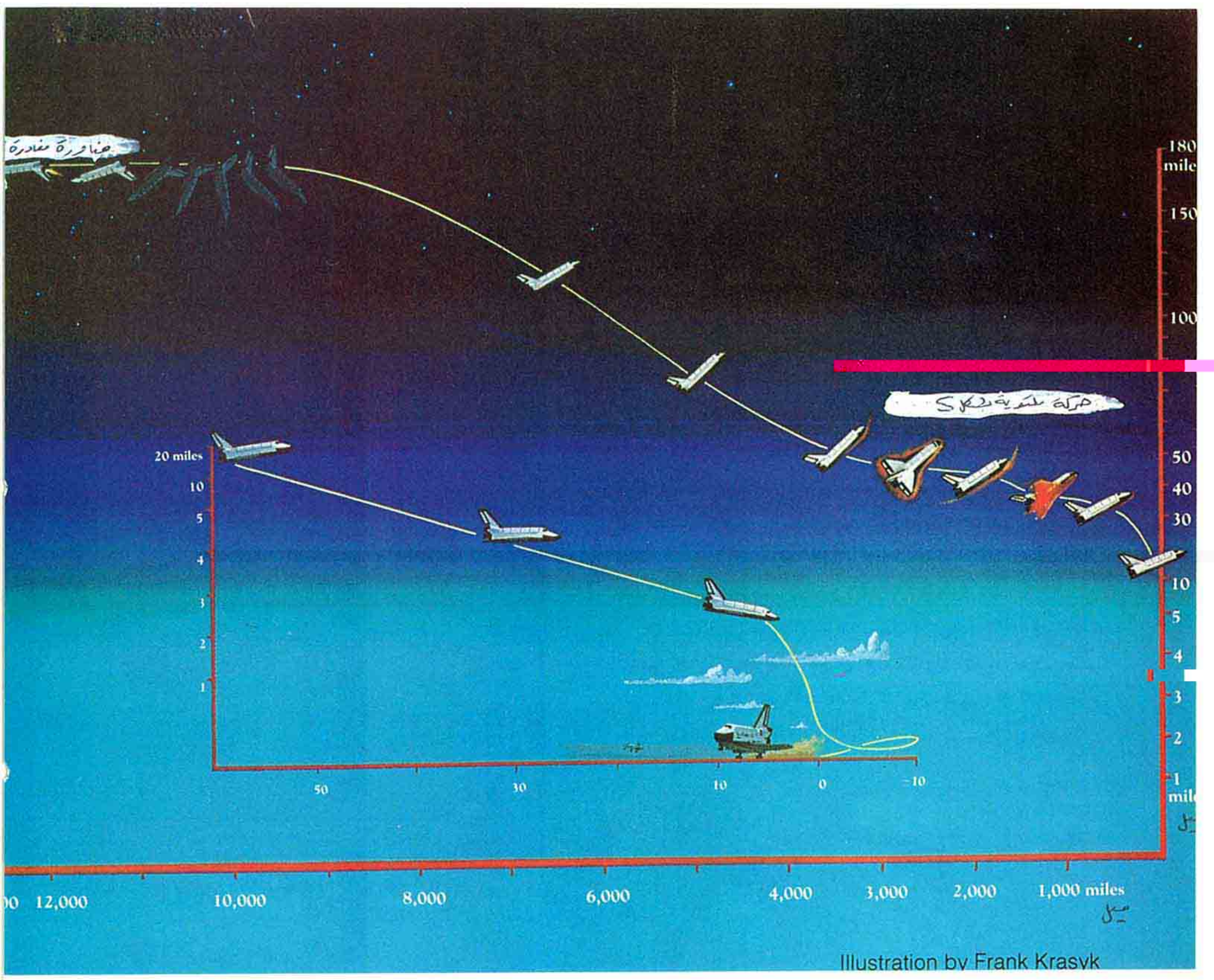


★ كولومبيا تخرج من المصنع في الأسبوع الأول من شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٨١م ★

أكبر المحركات في العالم

واجه مصممو جملة النقل الفضائية أكبر التحديات عند صنع المحركات الرئيسية الثلاثة ضمن المكوك . وعندما تشتغل هذه المحركات باستطاعتها أن تطلق من الحرارة ما يعادل الكهرباء التي يولدها **سد هوفر الأميريكي** ٢٣ مرة . ورغم ذلك فإن وزن المحرك الواحد لا يزيد عن (٣٥٠٠ كغ) . وإذا حذفت فوهة العادم (مخرج الغازات) منه فإن طوله لا يتجاوز خمسة أقدام .

أكثر من ألف أنبوب ضيق تملأ حجرة احتراق الهيدروجين جيئة وذهاباً . يمر عبر هذه الأنابيب وقود الهيدروجين السائل البارد ، فيقوم بذلك بتبريد جدار حجرة الإنفجار من ناحية ، لكنه في الوقت نفسه يصبح ساخناً من ناحية أخرى ، مما يسهل عملية احتراقه . أنابيب أخرى تقوم بتجميع هذا الهيدروجين الساخن ودفعه إلى عنفتين ترفعان ضغطه إلى ما يعادل ٧٠٠ مثل الضغط السائد في طناجر الضغط (بريستو) التي تستخدمها ربات المنازل في الطبخ السريع .



★ مخطط توضيحي لكامل رحلة مكوك الفضاء كولومبيا . (إلى اليسار) مخطط الاقلاع . المحور الأفقي يقيس الزمن ، أما المحور الشاقولي فيقيس الارتفاع . (إلى اليمين) مخطط العودة . في المخطط الكبير المحور الأفقي يقيس مسافة المكوك عند نقطة تماس عجلات المكوك مع سطح الأرض ★

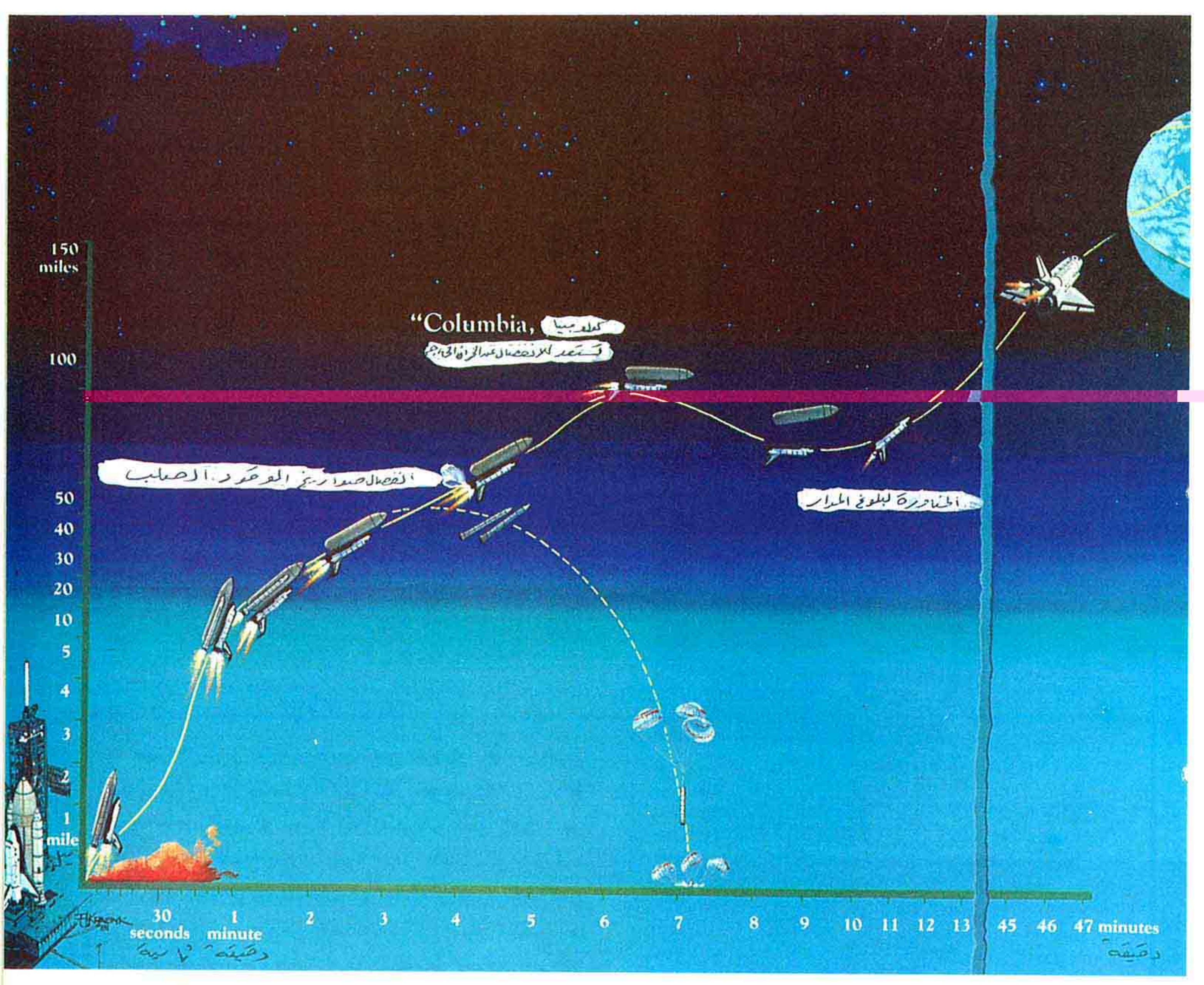
٥ ــ ٤ . . . . « إشعال » . . . لقد انطلقت غمامة هائلة من البخار من مؤخرة مكوك الفضاء كولومبيا . المحركات تزمجر بينما العدادات تشير إلى بلوغ الضغط المطلوب في حجرة احتراق محركات المكوك الرئيسية .

ست ثوان بعد إشعال المحركات الرئيسية تتعرض حجرة القيادة إلى هزة عنيفة ؛ لقد اشتعلت صواريخ الوقود الصلب « الهوجاء » . . . وارتفعت كولومبيا إلى السماء على عمود من النار . أعمدة النار الإجمالية تدفع كولومبيا بقوة تعادل ٤ ملايين كيلوغرام . لكنها تشق عنان السماء « مرتجفة » بتأثير صواريخ الوقود الصلب .

سبع ثوان بعد الانطلاق بلغت كولومبيا ارتفاعاً قدره ٥٠٠ قدم . المكوك ينحرف فجأة بزاوية ١٢٠ لتسير في الاتجاه الصحيح . لقد أضحت جملة النقل الفضائي وكأنها طائرة عادية . وبغية إفساح مجال رؤية الأرض لقائد المكوك ، واستمرار اتصاله اللاسلكي مع مركز المتابعة فإن المكوك يسير إلى الأسفل من الخزان الخارجي وسقفه إلى الأسفل ، فهو مقلوب رأساً على عقب .

مهمة **قائد الرحلة جون يانغ هي مراقبة الأجهزة المرتبطة بخط سير الرحلة . وفي أثناء ذلك يبقى متأهباً لتولي القيادة بنفسه إذا فشلت الحاسبات الإلكترونية . أما الرائد الثاني بوب كريبن BOB CRIPPEN فإنه مسؤول عن حالة المركبة والتأكد من سير عمل المحركات ودرجات الحرارة والضغوط وغيرها .**

وعند حدوث عطل ما أو خلل يظهر ذلك في لوحة القيادة . عندها يقوم كريبن بتشغيل الحاسبات عن تفاصيل العطل ، ويعلم يانغ بالوضع لاتخاذ القرار المناسب . بعد الاقلاع بدقيقة ونصف تخفض استطاعة كولومبيا من ١٠٠ بالمائة إلى ٦٥ بالمائة . هذا التخفيض يقلل تسارع المركبة ، ويرفع عامل الأمان أثناء اختراق المركبة لجدار الصوت ، الذي يولد ضغطاً



المطار ، بينما يقيس المحور الشاقولي ارتفاع المكوك عن سطح الأرض . في المخطط الصغير (ضمن المخطط الكبير) تمثيل لمرحلة هبوط « الطائرة » على مدرج المطار . المحور الشاقولي يمثل الارتفاع بينما يمثل المحور الأفقي المسافة الفاصلة

ايروديناميكياً أعظمياً في المحرك . ومثل هذه العملية تنفذ للمرة الأولى في تاريخ ريادة الفضاء .

٥٢ ثانية بعد الاقلاع . كولومبيا تخترق جدار الصوت عند ارتفاع قدره (٢٤,٠٠٠) قدم ، وتعود محركاتها إلى العمل بالطاقة الكاملة (١٠٠ بالمائة) . سرعة كولومبيا تتزايد باستمرار حتى تصل إلى ثلاثة أضعاف سرعة الصوت بعد دقيقة و ٥٣ ثانية . مؤشر الارتفاع يبين (١٢٠,٠٠٠) قدم .

بلغت السرعة أربعة أضعاف سرعة الصوت ، على ارتفاع (١٣٦,٠٠٠) قدم . لقد أصبح الضغط الديناميكي على كولومبيا صغيراً لجعل العملية التالية مأمونة . يشاهد الرواد من النافذة وميضاً براقاً تتبعه هزة عنيفة . لقد فصلت المتفجرات صواريخ الوقود الصلب ناضبة الوقود عن جسم الجملة . وهذه تهبط بمظلات قوية جداً في المحيط الأطلسي كي يعاد استخدامها في الرحلات القادمة .

مضى على بدء الرحلة أربع دقائق ، وبلغ الارتفاع ٧٢ ميلاً . كولومبيا تشق عنان السماء بأربعة أمثال سرعة الصوت معتمدة على محركاتها الرئيسية وحدها .

بعد مضي أربع دقائق ونصف على الاقلاع تنحدر كولومبيا صانعة مع خط الأفق زاوية قدرها أربع درجات ، لتهبط بمقدار ١١ ميل أثناء ذلك .

سبع دقائق بعد الاقلاع . الارتفاع ٧٨ ميل . السرعة ١٧ ضعف سرعة الصوت . في هذه المرحلة تزداد سرعة كولومبيا بمقدار سرعة الصوت كل ١٢ ثانية فقط .

ثمان دقائق و ٣٣ ثانية بعد الانطلاق . المحركات الرئيسية توقفت فجأة عند بلوغ **مرحلة انعدام الوزن** . لا بد الآن من التخلص من الخزان الخارجي الذي سيقوم بنصف دورة حول الأرض ليسقط بعدها في

المحيط الهندي

١٧ ثانية بعد توقف المحركات يتم فصل الخزان الخارجي بصورة آلية ، بينما يبقى المكوك مقلوباً . الناظر من الأرض يخمن أن المكوك هو الذي يسقط من بين براثن الخزان العملاق . وهنا تستخدم محركات المناورة للمرة الأولى في الرحلة كي ترفع المكوك إلى مدار أعلى ، بينما تصمت المحركات الرئيسية التي كانت تستمد وقود الهيدروجين من الخزان الخارجي حتى نهاية الرحلة . في الفضاء الخارجي لا تستخدم إلا محركات المناورة .

الآن يشعل قائد الرحلة صاروخ إعادة توجه مما يرفع مقدمة المكوك على خط الأفق إلى زاوية قدرها ١٥ درجة ، ويبقى المكوك مقلوباً رأساً على عقب . بعدها يبدأ العد التنازلي لإشعال محركات المكوك الثانوية ذات قوة الدفع (٣,٠٠٠) كيلوغرام . ويتم الإشعال فوق الأطلسي الأوسط .

١٨ دقيقة بعد الاقلاع تلوح **جزر كناري** في الأفق . **لقد استغرقت الرحلة من الولايات المتحدة إلى أوروبا أقل من ٢٠ دقيقة** . يستمر المكوك في مساره حتى الأرض ليطل على جنوب غرب **استراليا** . تشغل محركات المناورة للمرة الثانية ، ويعدل ارتفاع مسار المكوك إلى ١٥٠ ميلاً . وبذلك تختتم عملية الإنطلاق . لقد أصبح مكوك الفضاء كولومبيا في مداره المرسوم .

يوميات فضائية

تخلص الرواد من هزات صواريخ الوقود الصلب ، ثم من هدير المحركات الرئيسية ، والوصول أخيراً إلى المدار المطلوب لا يعني الراحة بالنسبة للرواد . فعليهم في هذه المرحلة انجاز كثير من الأعمال ، على رأسها فتح باب مستودع المكوك ، بغية تخليص المكوك من السخونة الكبيرة التي اكتسبها في فترة الانطلاق حتى وصوله إلى مداره . وهنا يقوم يانغ وكريبن بتحرير أنفسهما من مقاعد القيادة ، و « يعومان » إلى إحدى لوحات التحكم في مؤخرة حجرة القيادة ، ويفتحان الأبواب العملاقة بحذر تام . وفي الوقت المحدد تغلق الأبواب مرة أخرى . بعدها يتأكد الرائدان من سلامة جمل التحكم بالمركبة التي سيعتمدان عليها عند ولوج جو الأرض ، وأخيراً يختبران خلية الوقود FUEL CELL التي تزود المكوك بالكهرباء من الهيدروجين والأكسيجين مخلفة الماء النقي لشرب الرواد في الوقت نفسه .

أنهت كولومبيا خمس دورات حول الأرض . تشغل محركات المناورة مرتين متتاليتين لرفع المكوك إلى مدار ارتفاعه ١٧٠ ميلاً عن سطح الأرض . وبعد كل هذا العناء الذي تكبده الرائدان ، فقد استحقا مكافأتهما بالخلود إلى الراحة والنوم في مقاعد القيادة ، بحيث يتمكن على المتابعة الأرضية من إيقاظهما إذا حدث ما لم يكن بالحسبان .

تم في اليوم الثاني من الرحلة إجراء العديد من الاختبارات . إلا أن المهمة الرئيسية تركزت على التحضير لولوج غلاف الأرض الجوي . لأن احتكاك المكوك المنطلق بسرعة كبيرة مع الهواء يرافقه درجات حرارة شديدة الارتفاع قد تشعل المكوك بمن فيه . وبعد التأكد من أن كل شيء يسير على ما يرام يتوجهان إلى مقاعدهما للنوم .

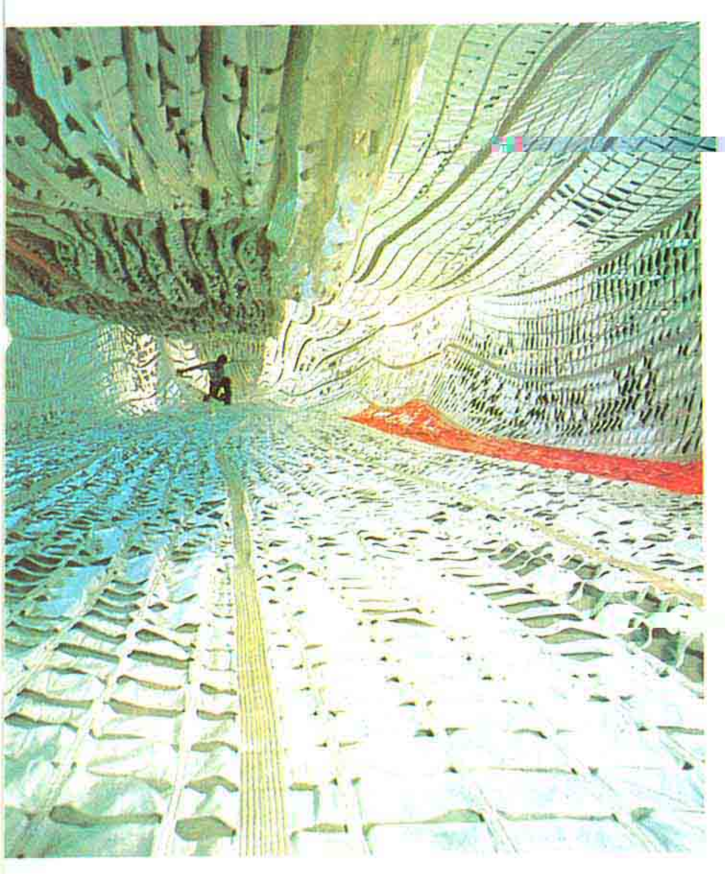
في اليوم الثالث استيقظ الرواد مبكرين للتحضير لرحلة العودة التي قد ترافقها أخطار أكبر من تلك التي كانت موجودة عند الاقلاع ، وجب على الرواد الاهتمام بناحيتين رئيسيتين : لبنات الدرع الحراري ، والحالة الايروديناميكية المجهولة .

فمن ناحية دلت بعض الصور التلفزيونية على سقوط بعض لبنات الدرع الحراري . فقد أظهرت الصور بقعاً داكنة في خلفية بيضاء . إلا أن الرائدين لم يستعدا لمغادرة حجرة القيادة وتفقد اللبنات . هذه الحالة سببت بعض

★ يانغ (إلى اليمين) وكريبن في مقاعد القيادة ★



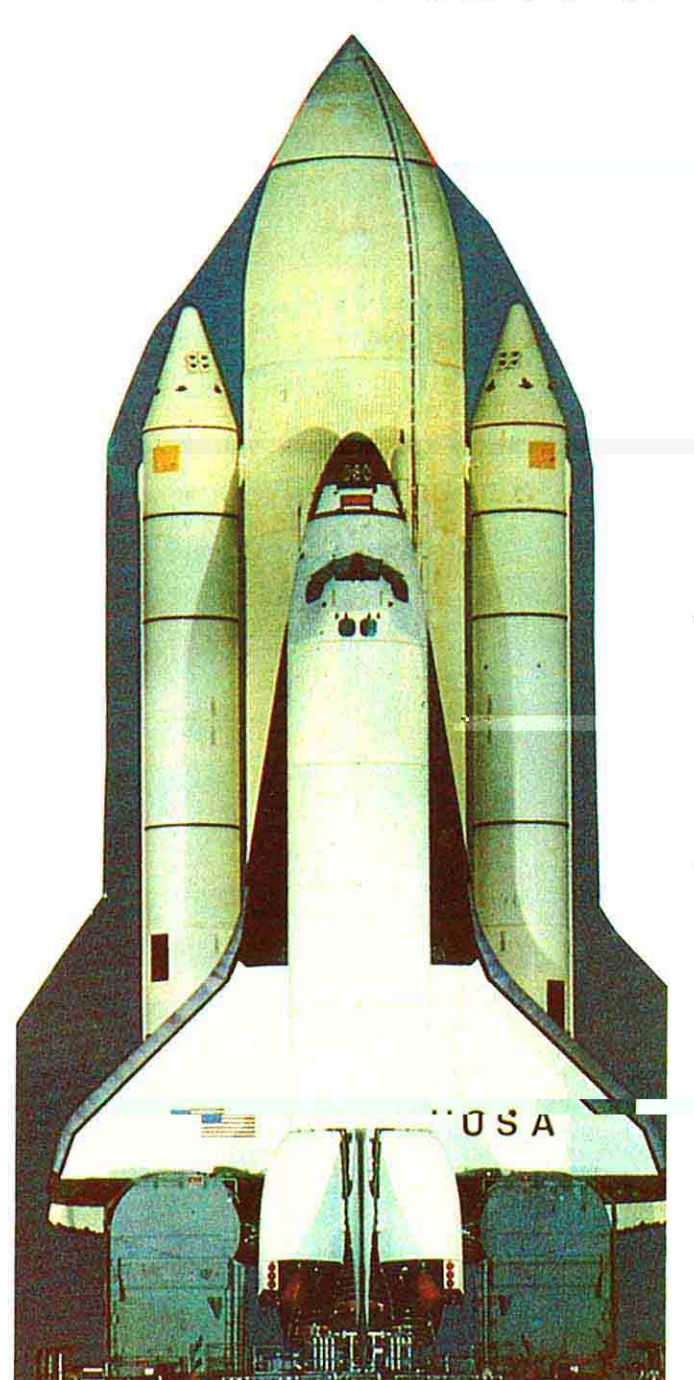
★ مظلات صواريخ الوقود الصلب تحتوي على فجوات كثيرة ، كي تتحمل المظلة صدمة الضغط الناتجة عن فتحها في اللحظات الأولى ★



الامتعاض للمسؤولين في وزارة الدفاع الأميريكية . خطورة اللبنات المفقودة أجبرت هؤلاء المسؤولين على كشف سر عسكري هام . فالوزارة لديها عدسات تصوير بالغة القوة والدقة ، بمقدورها أن تصور أقمار التجسس السوفياتية وإظهار مكوناتها ، وحتى تفاصيلها وهي قابعة على سطح الأرض .

وقد أشيع سر عدسات التصوير هذه عندما اضطرت هيئة بحوث الفضاء والطيران الأميريكية (ناسا) إلى طمأنة المواطنين إلى أن اللطخ

★ مكونات جملة النقل الفضائي . المكوك متصل بالخزان الخارجي العملاق ، الذي يحمل على جانبيه « جناحين » من صواريخ الوقود الصلب ★



الداكنة على جلد المكوك ، إن هي إلا لبنات قائمة تابعة للدرع الحراري . لكن المواطنين والمحررين الصحفيين لم يقبلوا هذا التفسير حتى شرح لهم « كيف » تم التوصل إلى هذه القناعة باستخدام عدسات التصوير السرية ، التي افتضح أمرها بعد تكتم تام .

محور الاهتمام الثاني تركز عند الرائدين على إمكانية احتراق المكوك عند تماسه مع الهواء وارتفاع درجة الحرارة إلى حوالي ١٢٠٠ مئوية . **هل ستصدق التوقعات حول إمكانية قيادة المكوك والتحكم في توجيهه في ظروف مجهولة تجرب للمرة الأولى ، ويهبط بأمان في المطار الصحراوي في غربي الولايات المتحدة؟** هذه المخاوف لن تحل حتى يخوض الرائدان غمار المعمعة .

الترحيب الدافئ

كولومبيا تحلق فوق المحيط الهندي يلفها الظلام ويتعذر اتصالها مع مركز المتابعة الأرضي في **ولاية تكساس** . كل شيء بالعكس : سقف المكوك أقرب إلى سطح الأرض من أرضيته ، والمكوك ينطلق لكن مؤخرته في الأمام . كل شيء أصبح جاهزاً لمناورة كبح سرعة (فرملة) كولومبيا ، لتخفيض سرعتها إلى الحد الذي يمكن قبضة جاذبية الأرض من الإمساك بها وإعادتها إلى سطح الأرض . الآن تشغل محركات المناورة مدة قدرها دقيقتان ونصف أثناء العبور فوق المحيط الأطلسي . كل شيء يسير حسب المخطط المرسوم .

يانغ يقلب المكوك ليكون السقف هو الأعلى ، تنحدر كولومبيا وتصنع مع الأفق زاوية قدرها ١٨° . هذه الحالة توصل المكوك بصورة آلية إلى الوضعية المرغوبة التي ترتفع فيها مقدمة المكوك عن خط الأفق بزاوية ٤٠° . بعد ٢٢ دقيقة يصل المكوك إلى هذه الوضعية التي تجعل درعه الحراري هو أول ما يتلامس مع الهواء الأرضي ويتلقى الصدمة الأولى . وفي هذه اللحظة يدخل المكوك جو الأرض . الشاشات التلفزيونية تبين موقع المكوك ، والمعلومات الأخرى الضرورية لعملية التوجه . وفجأة يرى الرائدين شروق الشمس فوق المحيط الهادئ الجنوبي .

لقد بدأت عملية ولوج الغلاف الجوي . هبط المكوك إلى ارتفاع ٦١ ميلاً . الاحتكاك بين المكوك والهواء جعل الهواء يسخن إلى درجات حرارة عالية ، ويلفح المكوك بدفق غزير من الجسيمات المشحونة الساخنة . لقد انقطع الاتصال بسبب ذلك مع المكوك ١٧ دقيقة بشكل كامل . الأقنعة الواقية تحمي عيون الرواد من بريق **البلازما**(*) الذي يلف المركبة من جميع الجوانب والتي تزيد درجة حرارتها عن ١٢٠٠ درجة مئوية . لقد أثبت الدرع الحراري جدارته ولم يصب أحد بالأذى . فالمكوك والرواد يتخطى هذا الترحيب الحار من قبل جو الأرض وهم في أتم عافية .

الطائرة الفضائية

حتى الآن كان كل شيء في رحلة مكوك الفضاء كولومبيا مماثلاً تقريباً لسفن الفضاء « القديمة » . إلا أن الجزء التالي من رحلة المكوك هو

أقرب إلى طائرة نقل اعتيادية . وقد شبهها أحد العلماء بأنها تجميع نصف طائرة ونصف سفينة فضاء في بوتقة واحدة . القيادة الآلية أثبتت كفاءتها حتى الآن . ورغم أنها أكثر دقة من الإنسان ، لكن الإنسان يتفوق عليها عند التصدي للمفاجآت . لذا تسمرت عيون يانغ على لوحة القيادة ، كي يتولى القيادة اليدوية فور ظهور ضرورة لذلك دون أي تأخير .

ولوج المكوك جو الأرض بسرعته الهائلة التي تعادل ٢٤ ضعف سرعة الصوت يجعله مثل كرة ملتهبة بكل ما في الكلمة من معنى ، عند تحليقه فوق المحيط الهادئ الأوسط . الآن يبدأ « الطيران » الحقيقي . لا بد من كبح سرعة المكوك . لتحقيق ذلك تنحدر كولومبيا بشكل أقرب إلى الشاقولي (بزاوية ٨٠°) مدة عدة دقائق . وكلما مرت بعدها بضع دقائق فإن مقدمة المكوك تحرف نحو الجنوب ، وبعد بضع دقائق أخرى تحرف المقدمة إلى الشمال . وهكذا يسير المكوك بشكل ملتو على هيئة الحرف اللاتيني S ، مما يخفض سرعته بشكل ملموس .

السرعة انخفضت إلى ٢٠ ضعف سرعة الصوت . اللهيب ما يزال محيطاً بالمركبة ، تمر كولومبيا الآن بمرحلة حساسة من التغيرات المستمرة في السرعة ، وزوايا الطيران والمشاهد المتنوعة على الشاشات التلفزيونية . عداد الارتفاع يشير الآن إلى ٢٩ ميلاً ، والمكوك يهبط بسرعة تعادل ٨ أضعاف سرعة الصوت . يتنفس الرائدان الصعداء عندما يشاهدون ساحل كاليفورنيا على بعد ٧٠ ميل . لقد اخترقا مرحلة ولوج جو الأرض بسلام .

تفاءل الرائدان أكثر بانتهاء فترة العزلة والحديث المتبادل مع علماء المتابعة الذين يقدمون لهما المعلومات الضرورية التي تساعدهم في عملية التوجه الصحيح . على ارتفاع ٨٢,٠٠٠ قدم ، انخفضت السرعة إلى ٢,٥ ضعف سرعة الصوت ، ورأى الرائدان البحيرة الجافة القريبة من مدرج هبوطها ، على بعد ٤٥ ميلاً .

على ارتفاع (٣٥,٠٠٠) قدم تنخفض السرعة دون سرعة الصوت ، ويتولى يانغ قيادة المكوك « يدوياً » . بعد ذلك بلحظات يصل أول المستقبلين على متن طائرات خاصة لمرافقة المكوك وتوجيهه .

بلغت السرعة الآن ٣٥٠ ميلاً في الساعة . يبدأ يانغ بالهبوط بزاوية شديدة الانحدار تزيد عن ٧ أمثال الزاوية التي تهبط بها الطائرات التجارية . كريبن يقوم في هذه الفترة بإعلام يانغ عن سوية الارتفاع بصورة متواصلة .

وفجأة — على ارتفاع ١٧٥٠ قدم — يرفع يانغ مقدمة « الطائرة » ، استعداداً لملامسة مدرج المطار بعد ٩ ثوان فقط . السرعة تنخفض إلى ٢٢٠ ميل في الساعة . كريبن يخفض عجلات الهبوط ، يانغ يسمّر نظره على مدرج المطار بينما يانغ والطائرات المرافقة تعلم يانغ عن الأقدام الأخيرة التي تفصل كولومبيا عن سطح الأرض . ١٠٠ قدم ، ٨٠ قدم ، ٥٠ قدم ، ٢٠ قدم ، ١٠ أقدام . . . تماس . . . عجاجة من الغبار تلاحق مؤخرة المكوك . الساعة تشير إلى الواحدة وعشرين دقيقة من بعد ظهر الثلاثاء ١٤ نيسان (أبريل) ١٩٨١ م ، حسب المخطط المرسوم بالضبط .

فرق الإسعاف تهرع إلى المكوك لتتأكد من سلامته وخلوه من الغازات السامة أو تلك القابلة للإنفجار . بعدها يخرج يانغ من مكوك الفضاء كولومبيا نشيطاً معافى ، ويجري حول المكوك ليتأكد من سلامته بنفسه .

وبعد

اجتاز مكوك الفضاء الأول كولومبيا تجربته الأولى التي استغرقت يومين وثلثاً بنجاح تام . فقد اشتغلت جميع محركاتها عند الاقلاع ، وولجت إلى جو الأرض من الفضاء دون أن تحترق أو أن يتضرر درعها الحراري وأخيراً هبطت بسلام على مدرج مطارها وكأنها طائرة اعتيادية .

مكوك الفضاء كولومبيا هو حجر الأساس للحقبة الثانية من عصر الفضاء ، حقبة « تسخير » الفضاء واستغلاله للصناعة وتوليد الطاقة وغيرها من المجالات التي تلهب خيال المفكرين والعلماء .

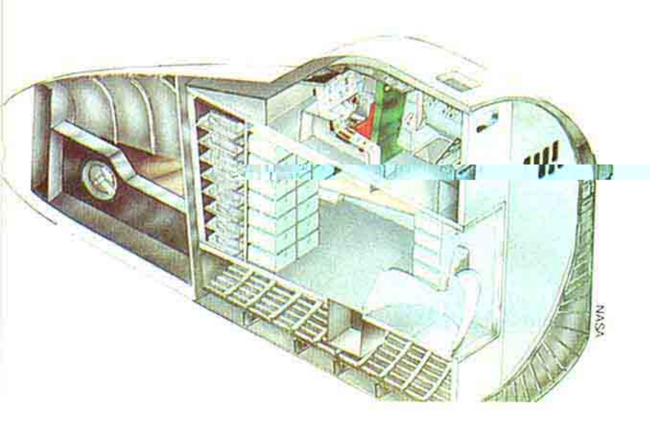
النهاية الناجحة للرحلة الأولى لها نتائج سريعة أيضاً ؛ فهي تمثل إشارة بدء العد التنازلي للرحلة الثانية . فبعد حوالي ستة أشهر سينطلق رائدان آخران على متن كولومبيا في محاولة جديدة لزيادة سرعة مكوك الفضاء إلى ٢٥ ضعف سرعة الصوت .

(★) لمزيد من التفاصيل عن « البلازما . . الحالة الرابعة للمادة » انظر مجلة « الفيصل » العدد (٤١) ذو القعدة ١٤٠٠ هـ (أكتوبر ١٩٨٠ م) .

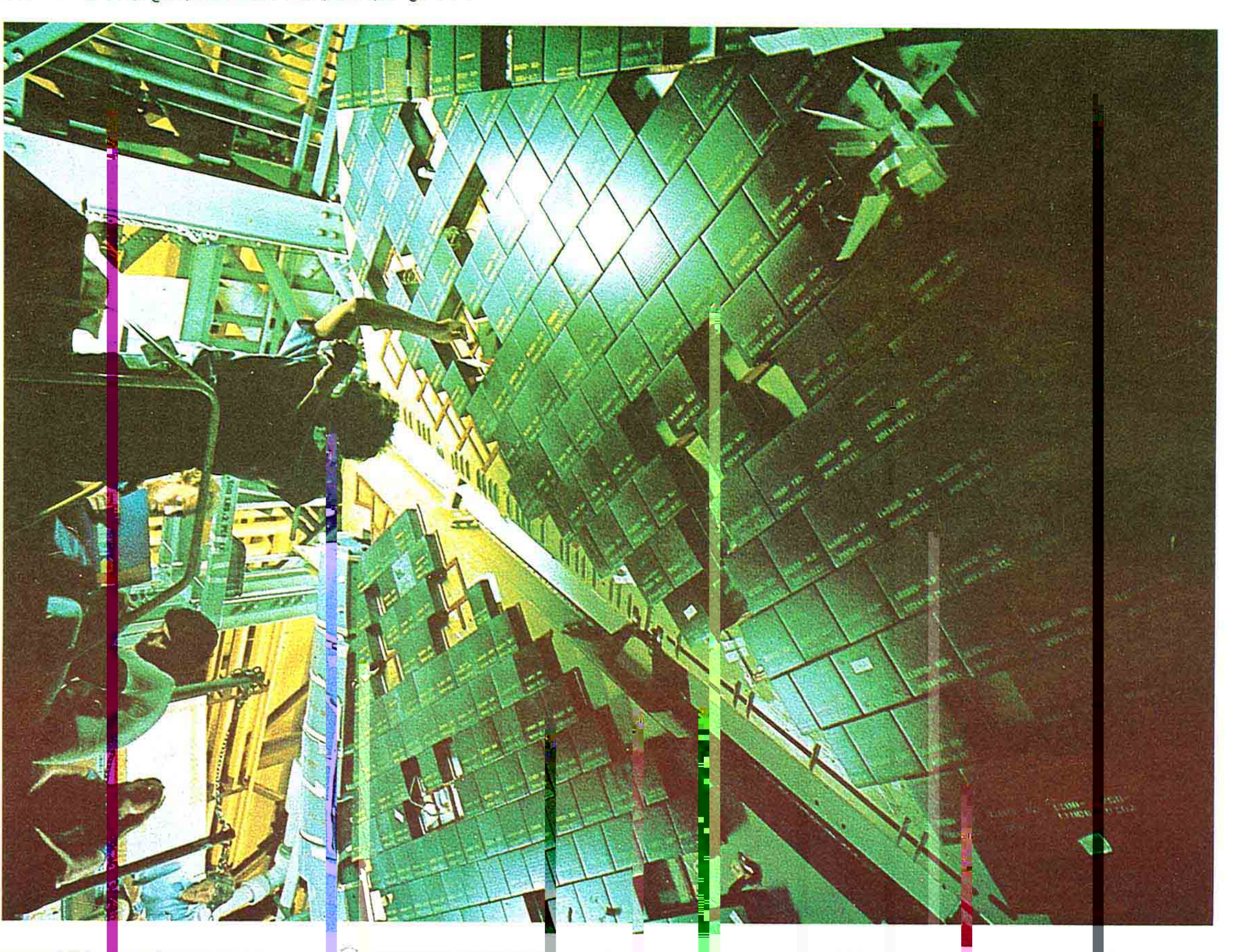

★ بسرعة ميل واحد في الساعة كولومبيا تغادر المصنع إلى منصب الاقلاع ★



★ في رحلاته القادمة ستؤمن كولومبيا « منزلاً مريحاً » لرواد الفضاء ، ففيها أماكن للنوم ومطبخاً صغيراً ★



★ لبنات الدرع الحراري تلصق على «جلد» المكوك باليد. يتكون الدرع من أكثر من ٣٥,٠٠٠ لبنة ★



لوحة و فنان

في رحاب المآذن

● تتميز الفنانة زينب عبد العزيز بخطوطها الواقعية، المستوحاة من الجو الشعبي، المعطر بعبق الدين وفطرة الإيمان، وهي ذات ولع شديد في الجمع بين عنصري الإيمان والحياة، ودائماً تصرخ بفرشاتها، أن لا حياة بدون إيمان، وأن الإيمان هو ينبوع الحياة وهو غدير الإنسان.

● وفي هذه اللوحة .. «في رحاب المآذن»، التي استوحتها الفنانة من معايشتها لحي الأزهر الشريف، حيث تعمل أستاذة بجامعة الأزهر، يتجلى هذا التأثر الشديد بالجو الشعبي المشبع بنفحات الإيمان، حيث الناس البسطاء الذين يعيشون على الفطرة، يمارسون حياتهم اليومية في صباح يوم باكر، قلوبهم عامرة بدفء الإيمان، وقد استقرت نفوسهم، واطمأنت قلوبهم، وهم يروحون ويجيئون في رحاب المآذن العالية، كأنما تستظلهم وكأنما يستمدون منها الأمن والأمان.

● وإذا كانت الواقعية هي الإطار الذي اختارته الفنانة لتصوير هذا الجو، أو لتقديم هذه الشريحة من الحياة في رحاب المآذن، فهي ليست الواقعية المباشرة أو الواقعية الفوتوغرافية، التي تلغي رؤى الفنان ورؤيته جميعاً، ولكنها الواقعية الجديدة التي تتيح الفرصة أمام الفنان كي يضفي أحاسيسه ومشاعره على الخطوط كما يلقي بفكره وتفكيره على الألوان، ومن ثم جاءت اللوحة قطعة حية نابضة من عقل وقلب الفنانة، وكأنها عزف على الخطوط والألوان في نوع من القصيد التشكيلي الذي نراه ونقرأه في نفس الآن.

● والذي يلاحظ على هذه اللوحة فضلاً عن بساطة الخطوط، وحيوية الألوان، وتلقائية الظلال، هو قدرة الفنانة على التلخيص، وكأنما في أوجز عبارة تقول الكثير والكثير جداً، بعيداً عن الزخرفة، بعيداً عن المحسنات، بعيداً عن التفصيلات، وتلك من سمات الواقعية الجديدة، حيث يلتقي الانطباع والابتداع، الانطباع الفطري والابتداع الفني.

● إن لوحة في رحاب المآذن قطعة حية نابضة بنفحات الدين، ونبض الواقع، وحركة الأحياء، وبساطة المعمار، فضلاً عن اكتمال التكوين، وتناسب المساحات وروعة المنظور، وفوق هذا كله الطمأنينة والسكينة وقد تنزلا من فوق المآذن.

د. زينب عبد العزيز

● الفنانة زينب عبد العزيز ولدت في الإسكندرية عام ١٩٣٥ م، ودرست الفن منذ سن العاشرة مع [illegible] الطبوني، وفي عام ١٩٧٠ م، حصلت من وزارة الثقافة على منحة تفرغ لمدة عامين لتصوير بلاد النوبة وأسوان.

● وهي فنانة وأديبة معاً، وإن كانت قد جمعت في دراساتها الأدبية بين الفن وفلسفة الجمال، فقد حصلت على ليسانس الآداب من قسم اللغة الفرنسية عام ١٩٦٢ م، كما حصلت على درجة الماجستير في الفن والأدب الفرنسي وكان موضوع رسالتها «يوميات أوجين ديلاكروا» عام ١٩٦٧ م، أما درجة الدكتوراه فقد حصلت عليها عام ١٩٧٤ م، وكان موضوعها «النزعة الإنسانية عند فنسان فان جوخ».

● أما عن نشاطها الفني، فقد اشتركت في المعارض العامة منذ سنة ١٩٥٥ م، كما شاركت في المعارض الدولية العامة منذ سنة ١٩٦٥ م، وأقامت حتى الآن ثمانية عشر معرضاً خاصاً في مصر وفي بعض دول أوروبا، وذلك منذ سنة ١٩٥٥ م. أما أحدث معارضها فقد أقامته في

أبريل (نيسان) عام ١٩٨٠م، في «قاعة إخناتون» احتفالا بيوبيلها الفضي.

● وتعد الفنانة من أكثر الفنانات التشكيليات في مجال المقتنيات، فلها مقتنيات في وزارة الثقافة، ووزارة الخارجية، وإدارة الفنون الجميلة، وفندق الميريديان في مصر، إلى جانب مقتنياتها في فرنسا، وإيطاليا، وإنجلترا، وكندا.

● أما عن نشاطها الأدبي، فقد نشرت عديداً من المقالات الأدبية منذ عام ١٩٦٥م، في مجلات.. الهلال، والكاتب، والمجلة، والفكر المعاصر، والدوحة، وآفاق عربية. وقد صدر لها كتابان هما «يوميات فنان» عام ١٩٧١م، عن دار المعارف، و «ڤولتير الرومانسي» عام ١٩٨٠م، عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

● تعمل حالياً استاذاً لمادة الحضارة والأدب الفرنسي بكلية الدراسات الإنسانية بجامعة الأزهر.





رمضان

شعر: محمد منذر لطفي

ـ ١ ـ

يا هلالا .. نشر اليوم على الدنيا وشاحهْ
فصحا الكون على ميلاده .. ينهل راحهْ
أيها الزائر .. يا شهراً سماويَّ الملاحهْ
مرحباً .. تغمر وجه الشرق أُنْساً وسماحهْ
دمتَ للإسلام ذخراً يعشقُ الصبح صباحهْ

ـ ٢ ـ

يا رعى الله لياليكَ .. وأياماً ظليلهْ
يا رعى الله التسابيح .. وألحان الفضيلهْ
ونسيماتٍ من الفردوس تنهلُّ عليلهْ
هي في ثغري دعاء وبأعماقي خميلهْ
سوف أحياها شباباً مستقيماً .. وكهولهْ

ـ ٣ ـ

يا إلهي .. أرفع الدعوة من قلبيَ .. حرّى
لتصونَ الشرق .. شرق العُرْبِ والإسلام .. حُرًّا
مُكْرَماً .. حتى إذا ما زفَّتِ الآفاقُ بُشرى
لهلال .. سوف تنضو بعد عام عنه سِتْرا
تُزهرُ الأمةُ تاريخاً .. وأمجاداً .. ونصرا

مدخل إلى.. الثقافة

الصحافة العسكرية لا تعدو أن تكون جزءً من الصحافة بصورة عامة ، ولا تختلف عنها اختلافاً بيناً ، لكنها تتميز بأنها لا تهدف إلى السعي وراء الربح التجاري ، ولا تخضع لسيطرة رأس المال . . وهذا يعني أنها ذات رسالة سامية ، وأهداف نبيلة تعبر حواجز المادة . . أي أنها أكثر قدرة من غيرها على تحقيق أهدافها . . ومن أهدافها تعبئة الرأي العام وتهيئته إلى التطوع لأداء الخدمة العسكرية عن طريق فتح آفاق المعرفة ، والثقافة العسكرية إلى عشاقها ، بأسلوب بسيط ميسور الفهم للقارئ العادي والجندي المحدود الثقافة لكي يعرف كل فرد في الدولة الواجب الوطني الملق على عاتقه وهو المساهمة في الدفاع عنه .

والصحافة العسكرية ذات رسالة محدودة المعالم ، سامية المقاصد ، سواء في زمن السلم أو في زمن الحرب . . **ففي زمن السلم** تكون المرآة التي تعكس الصورة الحقيقية عن القوات المسلحة التي تعبِّر بلسانها ، فبقدر ما تكون الصورة واضحة جلية بقدر ما تكون أقرب إلى الواقع منها إلى الخيال والتضليل . أما في **زمن الحرب** فإنها أشبه ما تكون بهمزة الوصل بين الجندي في ميدان القتال وبين أهله وبني وطنه ، كما أنها تنقل إليهم أخبار المعارك التي تدور بينهم وبين أعدائهم من غير تشويه من قبل العدو ، وبقصد إضعاف روحهم المعنوية ، وتنشيط الهمم ، وهي بالتالي تشد المقاتل بأهله وذويه وبني وطنه بعضهم ببعض برباط قوي مفعم بذروة الشعور الوطني الفياض ، كما أنها تقوم بدور هام ، سواء في زمن السلم أو الحرب ، بنقل أخبار المجتمع وما يدور في فلكه من نشاطات إلى الجنود ، سواء في ثكناتهم البعيدة عن الحياة العامة ، أو في خنادقهم في ميادين القتال ، أو الخطوط الأمامية . وهذا يعني أن للصحافة العسكرية دوراً كبيراً في بث وعي جديد قوامه حب الوطن من الإيمان ، وأن الدفاع عنه فريضة ، والموت في سبيله استشهاد .

ودعونا نقرأ ما قيل عن دور الصحافة العسكرية لندرك أهميتها في القتال ، فقد قال **القائد العربي المسلم خالد بن الوليد** قوله المأثور : « **عقول الرجال على أسنة أقلامهم قبل أن تكون على أسنة رماحهم** » ، وكما قال القائد الألماني « **الفيلد مارشل هندنبرج** » في حديث له مع جنده : « لا أريد منكم أية معلومات ، ولكن أروني فقط صحفهم ومجلاتهم أحكم على رجالهم ومعداتهم » . وهذه الكلمات التي توافق عليها بطل من أبطال المسلمين ، ورجل من رجالات الألمان في الرأي لم تأت عفواً ، لكنها جاءت معبِّرة عن وقوع تجربتهم الشخصية للرجال . . ومن هذا يتضح لنا أن الصحافة العسكرية ودورها الكبير في زمن السلم ، وزمن الحرب ومسؤوليتها تجاه القوات المسلحة التي تعبِّر عنها كبيرة .

فالصحافة العسكرية بذلك هي الوسيلة لنشر المعرفة بين صفوف الضباط والجنود بواسطة الصحف والدوريات التي تصدرها القوات المسلحة ، بالإضافة إلى نشر الثقافة العسكرية وتعميمها للمواطنين في الصحف والمجلات المدنية في وقت السلم ، ونشر إطار المعارك والقتال وقت الحرب عن طريق صحفيين عسكريين ومدنيين متخصصين في أعمال المحرر العسكري ، والمراسل الحربي ، والمندوب والمخبر العسكري ، والمعقب على الأخبار العسكرية ، والنقد الحربي .

وعرف العالم الصحافة العسكرية منذ أقدم العصور ، وبرزت أهميتها في حروب القرن (١٨٥٣ ـ ١٨٥٥ م) ، والحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١ ـ ١٨٦٤ م) ، وحرب السودان (١٨٨٣ ـ ١٨٩٦ م) ، وحرب البوير (١٨٩٨ ـ ١٩٠٢ م) ، والحرب الإيطالية الليبية (١٩١١ ـ ١٩١٢ م) ، وحرب البلقان (١٩١٣ م) حيث أرسلت الصحف الإنجليزية والروسية والأمريكية مراسلين حربيين يرافقون الحملات العسكرية لتزويد صحفهم بالأخبار العسكرية ، وإرسالها بواسطة البرق أو البريد ، وكانت مهمات نقل الأخبار العسكرية والمحررين والمراسلين العسكريين والنقاد الحربيين ، صعبة لتعارض مبدأ حرية النشر مع مبدأ من مبادئ الحرب وهو « **المفاجأة والكتمان والسرية** » إلى أن حلت **الحرب العالمية الأولى** (١٩١٤ ـ ١٩١٨ م) فتغيرت المفاهيم نحو نقل الأخبار العسكرية ، وتسهيل مهمات المراسلين الحربيين ، وتجلى ذلك أثناء **الحرب العالمية الثانية** (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ م) عندما قدرت الحكومات أن طبيعة الحرب الحديثة تستوجب أن تكون الجبهة الداخلية سليمة متماسكة ، ولا تفككها الشائعات الكاذبة ، وأنه لا سبيل لتحقيق هذا الغرض إلا بإتاحة الفرص لبعض الصحفيين كي يصاحبوا الحملات العسكرية أثناء القتال ، ويتدرب هؤلاء الصحفيون تدريباً خاصاً بحيث تأمن السلطات العسكرية جانبهم ، ويتمكن في نفس الوقت من إمداد الصحف والمجلات بالأنباء

العسكرية

الصحيحة التي تقوي الجبهة الداخلية ، ولا تفيد العدو في شيء ، ولهذا ما أن انتهت الحرب العالمية الثانية حتى كان أمر المندوبين العسكريين من المسائل المقررة ذات النظام الثابت ، والمعترف به ، وأصبحت الجامعات تدرس هذا التخصص ضمن مؤتمرات ومناهج تدريس الصحافة ، وقد قال الرئيس الأميركي السابق **الجنرال (أيزنهاور)** حيث كان قائد لجبهة الحلفاء : « إن دور المراسلين الحربيين جزء من هيئة أركان حربي » .

وقبل معركة العلمين جمع القائد الإنجليزي **(مونتجمري)** الصحفيين وشرح لهم تفاصيل المعركة لكي يكونوا على بينة عند نقل الأخبار الحربية من ميادين القتال[1] .

وظهرت أهمية المراسلين الحربيين بشكل أوسع في الحروب العربية الإسرائيلية (١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ م) ، وكذلك في الحرب الكورية (١٩٥١ م) ، والحرب الفيتنامية (١٩٦٨ م) .

وتهدف الصحافة العسكرية إلى تشجيع حركة التأليف والترجمة والنشر والقراءة والتوجيه المعنوي بين صفوف الجيش والقوات المسلحة ، وليس من أهداف الصحافة العسكرية التجارة . وتزخر المكتبة العسكرية بالعديد من المؤلفات

★ تأخذ الثقافة العسكرية جزءاً من كل من الثقافات العربية والإسلامية والدولية في جميع العلوم ★

بقلم : لواء ركن : يوسف ابراهيم السلوم

والتراجم والصحف والمجلات العسكرية ، والمقالات والتعليمات التي نشرها المحررون والمعلقون والمراسلون الحربيون في الصحف والمجلات السياسية والاجتماعية والثقافية العامة .

وتتميز الصحافة العسكرية بالتزام قواعد السلوك الأخلاقي الفاضلة ، والصدق في نقل الكلمة ووصف المعارك ، وكتابة التاريخ العسكري ، ومذكرات القادة العسكريين ، ونشر المعرفة الفنية والقواعد التي يعمل بموجبها المراسلون المحررون العسكريون للحصول على المعلومات المشروعة عن الشؤون العسكرية ، وتقديم المشورة الفنية لرئيس التحرير ، وكسب ثقة المسؤولين عن الأمور العسكرية ، وأن ينشد الكيف وليس الكم ، وتحري الدقة والصدق في نقل الأخبار[2] .

الصحافة العسكرية
في المملكة العربية السعودية

تحتل الصحافة العسكرية في المملكة العربية السعودية دوراً بارزاً في نشر الثقافة العسكرية والتوجيه المعنوي بين العسكريين . **ويبدأ تاريخ الصحافة العسكرية بأول عدد صدر من مجلة الجيش العربي السعودي عام ١٣٨٢هـ** ، كمجلة دورية تهتم بالتاريخ العسكري ، والدراسات العسكرية ، ثم تحول اسمها في العدد الثاني إلى مجلة **الدفاع** التي صدرت في عام ١٣٨٣هـ ، وتحول هدفها إلى مجلة عسكرية ثقافية اجتماعية ، وأصبحت تهتم بأخبار المجتمع العسكري إلى جانب اهتمامها بالثقافة العسكرية ، وتصدر مرة كل ثلاثة أشهر ، وصدر منها حتى تاريخ إعداد هذا الموضوع ٤٣ عدداً . ويشارك في تحريرها نخبة من الضباط والموظفين التابعين لوزارة الدفاع والقوات المسلحة السعودية وبعض الكتّاب السعوديين والأخوة العرب والمسلمين . وتعتبر المجلة مرجعاً تاريخياً وعلمياً لقطاع القوات المسلحة السعودية ، وسجلاً لدور القوات السعودية في السلم والحرب .

ثم **مجلة كلية الملك عبد العزيز الحربية** التي تصدر سنوياً ، وصدر العدد الأول منها سنة ١٣٨٠هـ ، وصدر منها حتى سنة ١٣٩٨هـ ، ثمانية عشر عدداً ، وهي مجلة علمية ثقافية يشارك في تحريرها أساتذة ومدرسي الكلية وبعض الطلاب فيها ، وتعتبر سجلاً تاريخياً لتطور الكلية ،

وتقوم بتسجيل مصور للحفل السنوي للتخرج ، وبعض نشاطات الكلية ، وهي كالمائدة التي يجد فيها الطالب والباحث والقارئ والمهتم بالشؤون العسكرية ألوان الثقافة العسكرية الشيقة .

ويلي مجلة الكلية بالصدور مجلة **الجندي المسلم** التي يصدرها قسم التوعية الإسلامية بإدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة السعودية ، وهي تصدر مرة كل شهر ، وصدر العدد الأول منها بتاريخ ١/شوال/١٣٩٢هـ . وصدر العدد العشرون منها سنة ١٣٩٩هـ ، وهي مجلة إسلامية ثقافية عسكرية تهتم بالدراسات العسكرية الإسلامية ، والتاريخ العسكري الإسلامي ، ويشارك في تحريرها أعضاء إدارة الشؤون الدينية ، وبعض الكتّاب العسكريين والمدنيين ، وأساتذة الجامعات . كما يصدر عن **كلية الملك فيصل الجوية** نشرتين الأولى شهرية باسم «**القرناس**» وهي تعنى بشؤون الطيران والعلم والثقافة . والثانية **مجلة** «**الصقور**» وهي مجلة سنوية تصدر مع تخرج كل دورة من الكلية كل عام ، تهتم بنشاطات الكلية إلى جانب نشر الثقافة العسكرية ، وعلوم الطيران ، ويقوم بتحريرها أعضاء هيئة التدريس ، وعدد من طلاب الكلية ، وبعض ضباط القوات الجوية .

وإلى جانب هذه المجلات والنشرات الدورية تصدر إدارة المعلومات بهيئة الاستخبارات للقوات المسلحة نشرتين الأولى يومية تنقل إلى القادة والضباط أهم الأخبار والتعليقات المحلية والعربية والعالمية لتجعلهم يتابعون أحداث العالم أولا بأول ، ونشرة دورية تعنى بأهم الدراسات والأبحاث العسكرية ، والمقالات العلمية ذات الأهمية الاستراتيجية لتساهم مع الصحافة العسكرية في نشر الثقافة العسكرية ، ورفع مستوى العسكريين علمياً ، والنشرة الأولى باسم «**أهم الأنباء العربية والعالمية**» والنشرة الثانية باسم «**مقالات صحفية**» .

كما أن المعاهد والمدارس العسكرية تصدر نشرات خاصة بها مثل النشرة الخاصة **بإدارة موسيقات الجيش** ، وإدارة الثقافة والتعليم تصدر كتيبات عن **دور الثقافة والتعليم في القوات المسلحة** .

مجلة الحرس الوطني

مجلة الحرس الوطني الذي **صدر العدد الأول منها في شهر رجب ١٤٠٠هـ** ، مجلة عسكرية فنية تمتاز من أول عدد صدر منها بالطباعة الأنيقة والموضوعات الشيقة ، وهي مجلة عسكرية ثقافية فصلية **تصدر عن إدارة العلاقات العامة بالحرس الوطني** .

وإلى جانب المجلات والنشرات التي تصدرها القوات المسلحة فإن **قوات الأمن الداخلي** تصدر مجلات أمنية متخصصة ، وهي وإن التزمت جانب التخصص والفنية في مجالات الأمن الداخلي ، إلا أنها تعتبر مكملة للثقافة العسكرية بمفهومها الواسع .

من هذه المجلات والنشرات **مجلة** «**الأمن العام**» التي تصدرها إدارة العلاقات العامة بالأمن العام ، **ومجلة** «**كلية قوى الأمن الداخلي**» ، وتحتوي هذه المجلات على مقالات تبحث في مجالات الأمن الداخلي ، ونشاطات قوى الأمن مما يبشر بنهضة علمية في صفوف رجال الأمن وفقهم الله لأداء مهمتهم .

وابتداء من أول العام الهجري ١٤٠١هـ ، صدرت **جريدة** (**أخبار القوات المسلحة**) عن إدارة الشؤون العامة للقوات المسلحة السعودية ، وتهدف هذه الجريدة إلى التثقيف والتوجيه البناء لمنسوبي القوات المسلحة من خلال مساهمة قادة وضباط ومنسوبي القوات المسلحة ، وإبراز وتعميم نشاطات القوات المسلحة ، وتسليط الضوء على المنجزات ليتعرف عليها كافة منسوبي القوات المسلحة والآخرين ، وتعميم أخبار القوات المسلحة كالأعمال المبرزة التي تتم في مختلف القطاعات ، وكذا الترقيات والتعيينات الرئيسية ، ليتعرف الجميع على قادتهم ومدرائهم وجوانب أعمالهم واختصاصاتهم ، ويدخل ضمن ذلك الإحالات للتقاعد وإنهاء الخدمة .

الكتابة العسكرية والأدب الحربي

الكتابة العسكرية تنقسم إلى نوعين : كتابة عسكرية رسمية ، وكتابة عسكرية أدبية ، أو ما يمكن أن نسميها بالأدب الحربي ، فالكتابة العسكرية الرسمية تعتمد على قواعد وضوابط ، وتتميز بالدقة وبالاختصار ، مع المحافظة على وضوح الهدف . وتتناول الكتابة العسكرية الرسمية موضوعات متعددة منها الأوامر والتعليمات ، ومنها التقارير والتوصيات لإنجاز المهمات ، ومنها التوجيهات والإرشادات ، وأغراض الاتصالات الرأسية والأفقية من رسائل التبليغ والتنسيق والطلبات ، وتشتمل على عناصر معلومة تبدأ بتحديد المرسل والمرسل إليه ، والتاريخ في صدر الرسالة ثم **الموضوع ، والمناقشة ، والتوصية ، أو التوجيه** . وتذيل الرسالة بكتابة الاسم واضحاً مع الرتبة والوظيفة ثم التوقيع . وتحدد درجة السرية وتتدرج من عادي ـ محظور ـ سري ـ سري جداً ـ سري للغاية . . حسب الأهمية . وتتصف الكتابة العسكرية الرسمية بالتزام أدب المخاطبة ، والاحترام أو التحية حسب أقدمية المرسل والمرسل إليه .

وقد تكون رسالة خبرية أو نشرة عسكرية أو تقرير عمل أو أمر عمليات . وقد تكون قرارات إدارية لشؤون الأفراد أو المالية أو التموين وفق الأنظمة العسكرية . وفي كل حالة تلتزم الكتابة العسكرية الرسمية بالعناصر المذكورة .

وفي حالات الحرب تستعمل **الكود والرموز** الدالة على الوحدات والمعدات باختصار حتى لا تقع الرسائل في يد العدو فتكشف الأسرار العسكرية . كما تستعمل **المبرقات** في الحالات المستعجلة في السلم أو الحرب ، وتأخذ البرقية صفة الإيجاز .

وتعتبر الكتابات العسكرية من مصادر التاريخ العسكري الرئيسية ، ومن الوثائق التي يعتمد عليها في تسجيل تسلسل الأحداث العسكرية التي تبنى عليها الخطط الحربية والدروس المستفادة .

لهذا فإن الأمانة العلمية تستوجب سلامة وصحة المعلومات التي تشتمل عليها الرسائل الحربية ، فكثير ما رجع القادة لتسجيل مذكراتهم التاريخية من واقع الكتابات العسكرية الرسمية ، والنوع الثاني من الكتابة

العسكرية هي الكتابات التي لا تأخذ الصفة الرسمية مثل مذكرات القادة العسكريين، وكتابة التاريخ الحربي والشعر الحماسي، والخطابة في ميادين القتال، وكتابة المقالات العسكرية في المجلات والصحف، وكتابة المؤلفات الأدبية والتخصصية ذات الصبغة العلمية والثقافية.

وتزخر المكتبة العسكرية بالعديد من المؤلفات والمذكرات التي كتبت من قبل القادة العسكريين والكتّاب والمراسلين الحربيين، وتصور الكتابة العسكرية غير الرسمية أصدق الأحاسيس الإنسانية للجنود في أشد وأحلك المعارك الحربية، وتكتب بواسطة أقلام ذوي المواهب الأدبية، وكم من مذكرات ومشاهدات سجلت أعنف المواقف للرجال في ميادين القتال غيرت مجرى التاريخ. وكم من العبر والدروس المستفادة التي تعلمناها من الكتابات العسكرية التي كتبت في أثناء الحروب وتكشف آثارها بعد وقف القتال. وتتسابق الصحف والمجلات بنشرها.

ويحدثنا التاريخ العسكري بالعديد من القطع الشعرية الحماسية، والملاحم الشعرية، والقصص الفنية الرائعة التي ترقى إلى مستوى الإبداع بما يشبه الخيال، وهي تحكي قصصاً واقعية أملتها الظروف العسكرية والتضحية والفداء في سبيل الله ثم الوطن والقيادة. وخطبة **طارق بن زياد** في الأندلس واحدة من الروائع في الإيجاز والتأثير، وأحد عوامل النصر. ورسالة الخليفة ــ القائد الأعلى لجيوش المسلمين ــ التي أرسلها **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه إلى القائد العام للجيوش المحاربة في الشام سيف الله **خالد بن الوليد** التي تقضي بعزله وتعيين **أبي عبيدة عامر بن الجراح** بدلا عنه، إحدى الرسائل الحربية والوثائق التاريخية التي غيرت مجرى الحرب والتاريخ.

وإلى جانب توافر الموهبة لدى بعض الكتّاب العسكريين فإن للتدريب والدراسة على الكتابة العسكرية سواء الرسمية أو الأدبية دوراً فعالا، ففي المعاهد والمدارس والكليات العسكرية تدرس مادة الكتابة العسكرية للعسكريين، ويتدربون عليها باستعمال النماذج والتمارين حتى يجيدوها، وتلعب الترجمات لكتابات العسكريين من الدول الأخرى التي كتبت بلغات أجنبية دوراً بالغاً في رفع مستوى الكتابة العسكرية وجودتها، فالاقتباس وتبادل المعارف العسكرية أحد المبادئ المتعارف عليها في إرساء قواعد وأصول هذا الفرع من العلوم العسكرية.

والكتابات العسكرية إلى جانب الأشياء الإيجابية والمنافع الكثيرة منها تشتمل على جوانب سلبية. فهي واحدة من المصادر الهامة للمعلومات من وإلى العدو، ولكن فوائدها تكاد تطغى على عيوبها، فهي أمر لا بد منه كالماء والسلاح والذخيرة، فهي ذخيرة العقول والنفوس، ومقومات المعنويات، فكم من خطبة أو مقال أو رسالة ضاعفت من القوى المعنوية للجنود فتحرز النصر بينما هي مقدمة على الهزيمة فتنجيهم من شرورها.

ويتم بالكتابة العسكرية نقل المعارف والعلوم العسكرية من الخلف إلى السلف في مسيرة الإنسانية نحو العزة والكرامة والنصر ضد شرور الأعداء والهزيمة، وتسجيل ما تعارف عليه العسكريون في قواميس ومعاجم للمصطلحات والتعابير العسكرية التي تمثل مفاتيح العلوم والفنون الحربية.

والقرآن الكريم والسيرة النبوية يزخران بالعديد من الآيات والأحاديث التي تغرس في النفوس حب الجهاد والقتال في سبيل الله، وأعظم المدارس والمراجع العسكرية للجندي المسلم التي يستمد منها أسلوبه وخبرته في درب الكتابة العسكرية، والأدب الحربي الطويل، إلى جانب قصص الأنبياء والرسل التي تمثل حياتهم جوانب من الحياة العسكرية كقادة ورواد لجيوشهم في سبيل الدعوة لدين الله والذود عن حياض المقدسات والأوطان.

مثال الأدب الحربي

ومن أمثلة الأدب الحربي ودور الخطبة والشعر في المعركة عندما ولي **خالد بن الوليد** قيادة الجيوش الإسلامية في **معركة اليرموك**[3] لما وجد الجيوش الرومية منظمة وعلى استعداد تام لمواجهة المسلمين، تحمس خالد وثار ثورة الرجل الغيور على الإسلام والمسلمين، وخطب في المسلمين خطبة حماسية قال فيها:

«إن هذا يوم من أيام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي فأخلصوا جهادكم وأريدوا الله بعملكم، فإن هذا اليوم له ما بعده لا تقاتلوا قوماً على نظام وتعبئة وأنتم على تساند وانتشار». ولقد كانت لهذه الخطبة البليغة آثار عظيمة في نفوس المسلمين، إذ رفعت من روحهم المعنوية، وقوت من قلوبهم، وشدت من أزرهم، ودفعتهم دفعاً إلى ميدان الشرف والكرامة.

وبعد الهزيمة التي لحقت بالروم في اليرموك، وتم للمسلمين النصر، فرحوا فرحاً عظيماً، وغمرت السعادة قلوبهم وذهب بعضهم ينظم القصائد الشعرية معبرين عن بهجتهم بهذا النصر العظيم، وقد نظم **القعقاع بن عمرو** قصيدة في تلك المناسبة قال فيها:

ألم ترنا على اليرموك فزنا
كما فزنا بأيام العراق
وعذراء المدائن قد فتحنا
ومرج الصفر على العتاق
فتحنا قبلها بصرى وكانت
محرمة الجناب لدى التلاقي
قتلنا الروم حتى ما تساوى
على اليرموك مفروق الوراق
فضضنا جمعهم لما استحالوا
على الواقوصة البتر الرقاق

الحواشي

(١) انظر كتاب الدكتور محمود محمد الجوهري، **المراسل الحربي**، الكتاب ١٨٤ من سلسلة «اقرأ» التي تصدرها دار المعارف المصرية، القاهرة ١٩٥٨م.

(٢) محمود محمد الجوهري ــ المحرر العسكري، دار المعارف بمصر، سنة ١٩٥٩م.

(٣) أحمد محمد عمارة ــ اليرموك، مكتبة دار العلوم بالرياض، ١٣٩٨هـ.

من مفاخر الحضارة العربية والإسلامية بنوعيها المادي والفكري ، المدرسة المستنصرية ببنائها الشامخ التي لا يزال معظمها ماثلاً للعيان على شاطئ دجلة الشرقي ، الضفة الشرقية من بغداد بين جامع الآصفية والخفافين ، وتاريخها الحافل كذلك .

وقد تصدى عدد من الباحثين لدراسة هذه المدرسة ، ولكنه لا زال هناك جوانب عدة لم تنلها الدراسة أو البحث والتحقيق .

المدرسة المستنصرية في بغداد

أول جامعة إسـ

الخليفة المستنصر

بنيت هذه المدرسة في عهد **الخليفة العباسي المستنصر بالله** وبأمر منه ، وهو ابن الخليفة **الظاهر بأمر الله** . وقد ولد سنة ٥٨٨ هـ ــ ١١٩٢ م ، وبويع بالخلافة يوم وفاة أبيه في الثالث عشر من رجب سنة ٦٢٣ هـ ــ ١١٢٦ م .

وقد ترك هذا الخليفة آثاراً كثيرة دلت على عظيم همته وكبير نشاطه ومن أشهرها وأبقاها ، المدرسة المستنصرية .

لقد كان الخليفة المستنصر شخصية محبوبة مهيبة ، ورزيناً وقوراً محباً للعلم والعلماء ، وقد وصفه المؤرخون : « بأنه كان عاقلاً وعادلا ، لبيباً كريماً كثير الصدقات ، وكان حسن السيرة ، جميل السريرة ذا علم وعمل ، وعفو وحلم »[1] .

وفضلاً عن ذلك كله أحب الأدب والعلم ، وقرب الأدباء والعلماء ، وشجعهم بالهبات والعطاء الكثير ، مما ساعد على نشاط الحركة العلمية ، فكثر المشتغلون بالعلوم وزادوا رغبة واشتغالا .

تأسيس المدرسة

أسست المدرسة المستنصرية في بغداد سنة ٦٢٥هـ ، وافتتحها الخليفة المستنصر سنة ٦٣١هـ . ومن الجدير بالذكر أن معظم المدارس في ذلك العصر كانت تسمى بأسماء مؤسسيها ، مثل : **المدرسة التاجية** المنسوبة إلى تاج الملك أبي الغنائم المرزبان بن خسرو فيروز ، **والمدرسة النظامية** التي سميت باسم نظام الملك وغيرهما .

وقد بنت المدرسة المستنصرية بسعة وضخامة بحيث فاقت جميع المدارس التي سبقتها في العصر الإسلامي ، من حيث أبهتها وزخرفتها وفخامة البناء وسعتها وجمال المنظر ، وحسن الموقع[2] .

مميزاتها

وقد اعتبر إنشاء المدرسة المستنصرية خطوة نحو التطور في تاريخ المدرسة في العالم الإسلامي في ذلك العصر . إذ كان من المعروف أن المدارس السابقة لمدرسة المستنصرية كانت تبنى وتخصص كل واحدة منها لدراسة مذهب واحد من المذاهب الإسلامية ، ولكن هذه المدرسة (الجامعة) **أول مدرسة عرفها العالم الإسلامي جمعت فيها الدراسات الفقهية على المذاهب الإسلامية الأربعة**[3] : (الحنفي ، والشافعي ، والحنبلي ، والمالكي) في بناية واحدة[4] .

وفضلاً عن ذلك فقد عنيت هذه المدرسة (الجامعة) بدراسة القرآن الكريم ، والسنّة النبوية الشريفة ، والمذاهب الفقهية ، وعلوم العربية

والرياضيات ، والفرائض ، والتركات ، ومنافع الحيوان ، وعلم الطب وحفظ القوام والصحة ، وتقويم الأبدان[٥] . ولم تكن المدارس قبل المستنصرية كذلك . فقد كانت مدارس الطب تبنى مستقلة استقلالا تاماً عن مدارس الفقه ، أو دور الحديث ، أو دور القرآن الكريم ، **كالبيمارستان العضدي في الجانب الغربي من بغداد ، ومدرسة الطب الذي أسسها أبو المظفر باتكين** في البصرة سنة **٦٢٩هـ** ، في خلافة المستنصر ، ومدارس الطب في دمشق وغيرها .

وكذلك دور القرآن الكريم فقد ظلت مستقلة هي الأخرى ، أو في داخل المساجد إلى أن أنشئت المستنصرية فصارت تلحق بالمدارس . أما دور الحديث فقد كانت من ابتكار **نور الدين زنكي** ، فقد ذكر ابن واصل : أن نورلدين محمود زنكي : « بنى في دمشق داراً للحديث وأوقف عليها وقوفاً كثيرة ، وهو أول من بنى داراً للحديث فيما سمعناه »[٦] .

وقد كانت دور الحديث تشترك أحياناً مع دور القرآن الكريم ، فتبنى دوراً مشتركاً للقرآن الكريم والحديث معاً . وتكون مستقلة عن مدارس الفقه أو تجعل في المساجد كما في **جامع « قُمرية »** بالجانب الغربي من بغداد[٧] . « وظلت دور الحديث على هذه الحال حتى أنشئت المستنصرية ، حيث صارت دور الحديث تلحق بمدارس الفقه إلى جانب مدارس

بقلم : د . محمد حسين عساف

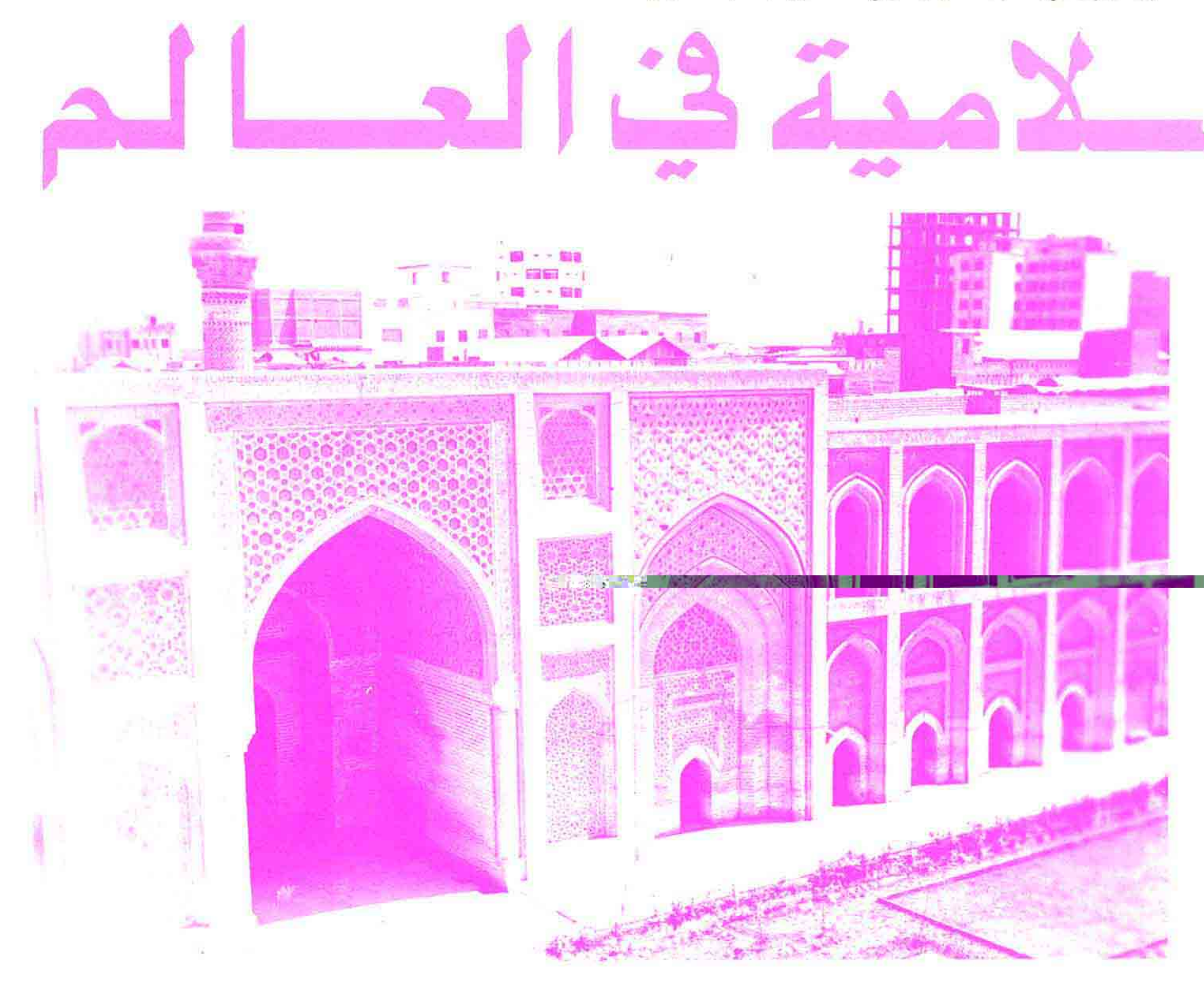
الطب ، ودور القرآن الكريم أسوة بالمدرسة المستنصرية »[٨] .

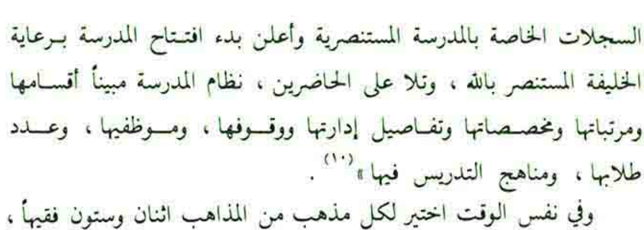
تكاليف الإنشاء ، وحفل الافتتاح

تولى عمارة المستنصرية أستاذ دار الخلافة **محمد بن العلقمي** ، وبلغت النفقة عليها **(٧٠٠) ألف دينار** . وتم افتتاحها في اليوم الخامس من شهر رجب سنة ٦٣١هـ ـــ ١٢٣٣م ، باحتفال مهيب . وكان ذلك اليوم من الأيام المشهودة في بغداد .

وقد ذكر لنا الإربلي وصفاً شاملاً **لحفلة افتتاح المدرسة** فقال : « كسيت المدرسة بأفخر الملابس ، وتحلت كأحسن العرائس »[٩] . ووصف هذا الاحتفال كذلك **ابن الفوطي** فقال : « في الخامس من رجب حضر نصير الدين نائب الوزارة وسائر الولاة والحجاب والقضاة والمدرسون والفقهاء ومشايخ الربط والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء وجماعة من أعيان التجار والغرباء إلى المدرسة ، وحضر الخليفة المستنصر واستقبل بعظيم الحفاوة والإجلال . ووقف نائب الوزارة نصير الدين بن الناقد وبيده

...لامية في العالم





السجلات الخاصة بالمدرسة المستنصرية وأعلن بدء افتتاح المدرسة برعاية الخليفة المستنصر بالله ، وتلا على الحاضرين ، نظام المدرسة مبيناً أقسامها ومرتباتها ومخصصاتها وتفاصيل إدارتها ووقوفها ، وموظفيها ، وعدد طلابها ، ومناهج التدريس فيها »[١٠] .

وفي نفس الوقت اختير لكل مذهب من المذاهب اثنان وستون فقيهاً ، ورتب لها مدرسان ونائبا تدريس ، وخلع على كل واحد منهم جبة سوداء ، وطرحه كحلية واعطي بغلة بمركب جميل وعدة كاملة .

وأما النائبان فقد خلع على كل واحد منهما قميص مصمت ، وعمامة قصب . ثم خلع على جميع المعيدين وهم لكل مذهب أربعة . ثم خلع على المتولين للعمارة والصناع والحاشية ، وعلى المعينين للخدمة بخزانة الكتب .

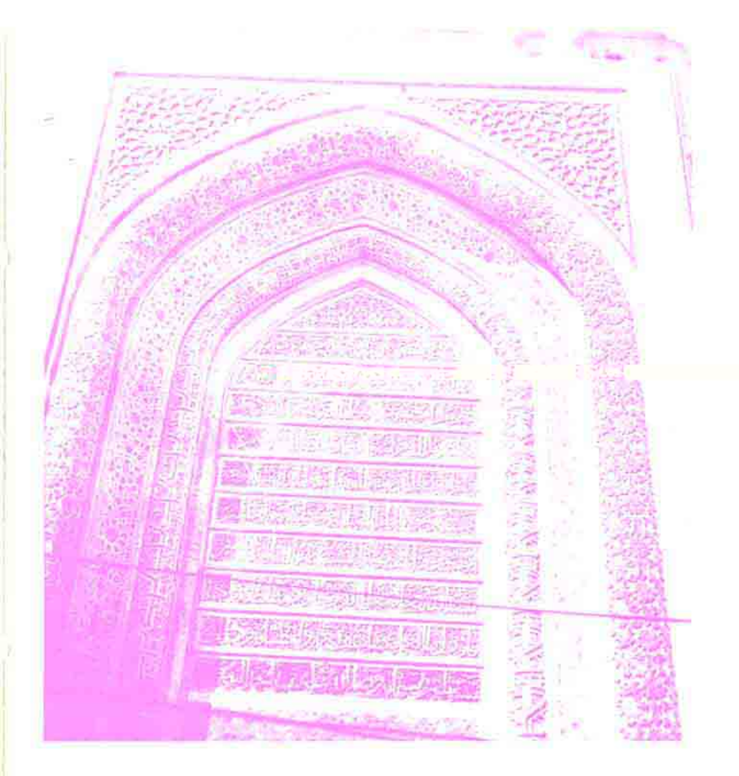
وفي غمرة البهجة والفرح هذه ، مدت موائد الطعام في صحن المدرسة ، وقد حوت هذه الموائد أنواع الأشربة والأطعمة والحلواء . وقد ذبح في هذه المناسبة ألفا رأس من الغنم ، وعملت الحلاوة وبعد أن أكل الحاضرون حمل من الأكل إلى سائر دروب بغداد من بيوتات الخواص والعوام .

وفي نهاية الاحتفال ألقى الشعراء القصائد الجميلة في مدح الخليفة المستنصر ، وفي وصف المدرسة المستنصرية .

ومن القصائد التي أنشدت في هذه المناسبة قصيدة ابن أبي الحديد المدائني الفقيه الشافعي التي منها :[١١]

ما مثل الفلك العظيم لمبصر
في الأرض قبل إيالة المستنصر
هذا بناء معرب عن قدره
رفعت قواعده بفعل مطهر
انظر تجد نظم الثريا في ذرى
شرفاته وضياء المشتري
ضحك الزمان وذاك بعد عبوسه
ورأى الصواب وذاك بعد تحير
والأرض حاسرة القناع كأنها
خود تبرج في رداء أخضر
تزهو بما عمر الخليفة فوقها
علماً لأحكام البشير المنذر
بالجانب الشرقي بالشاطئ الذي
هو طور سينا كل صاحب منبر
ما حق دجلة أن تفوه بلفظه
قهرت وأي مساجل لم يقهر

غلب العطاء الماء فيا وانثنى
سداً يفوق صناعة الإسكندر
إن أصبحت بحراً فإن بنانه
بإفاضة المعروف خمسة أبحر



وضع الإمام بها أساس بنائه
والموج بين مجمجم ومزمجر
قصراً ومدرسة لمن يطلب الغنى
أو رام شأو العالم المتبحر
لبس الغبي بها شهامة ماهر
وغدا المغل مزاحماً للمكثر
لم تخل من حبر وشيخ فاضل
يروي الحديث وساجد ومعفر
قد كانت الفقهاء قبل بنائها
في كل قطر واحد لم يذكر
فرق يشق على المريد طلابها
في الشرع والمطلوب كالمتعذر
فاليوم قد جمعت أمور الدين في
أرجائها وأزيل عذر المقصر .

* * *

ومن قصيدة الحسين الكوفي قال فيها :[١٢]

بسقت بفرعك هاشم وسموت في عليائها
عمرت مدرسة أمرت بسملها وبنائها
أسرت عيون الناظرين بحسنها وبهائها
ليست مدارس من مضى في الحسن من نظرائها
ورسمت بالمستنصرية منتهى أسمائها
سمة مقدسة لما ضمنت حروف هجائها .

* * *

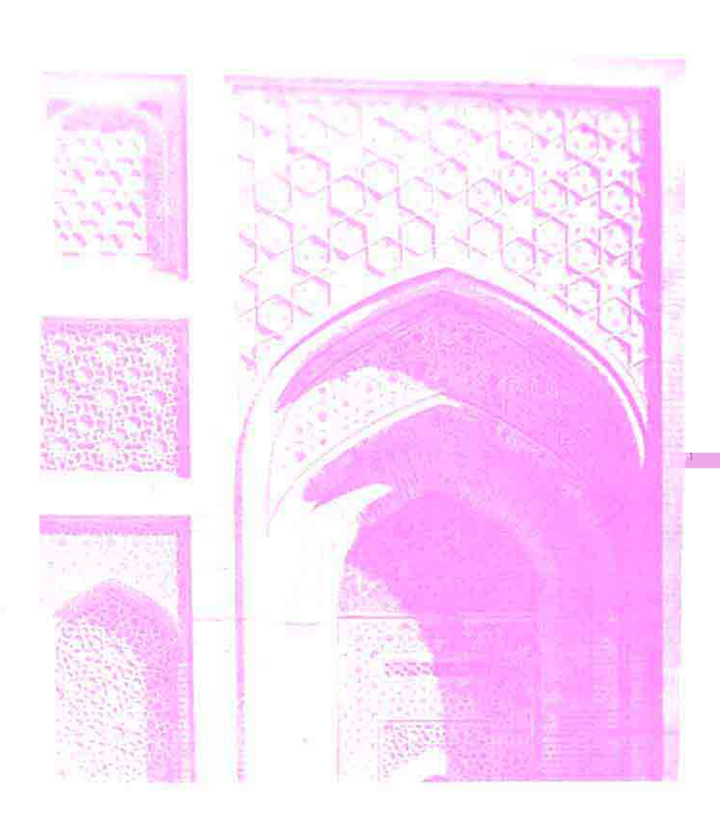
وظلت هذه المدرسة تؤدي دورها طيلة أربعة قرون من الزمان منذ افتتاحها سنة ٩٣١هـ، حتى ١٠٣٠هـ، عدا فترتين من الزمن، الأولى قصيرة كانت في أثناء الاحتلال المغولي لبغداد سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م)، والثانية طويلة جداً تبدأ من احتلال جيوش تيمورلنك وكانت قد احتلها مرتين في سنتي ٧٩٥هـ و ٨٠٣هـ.

أقسام جديدة

ألحق بالمدرسة عدد من الأقسام الأخرى حيث اعتبرت متممة لها وهي:

١ ـ **دار القرآن الكريم**: لقد عُني المسلمون بدُور القرآن الكريم عناية كبيرة تدل عليها مؤلفاتهم الكثيرة في علوم القرآن الكريم، ومعانيه، وطبقات القراء، والقراءات السبع أو العشر، والشواذ، وعللها، ووجوه القراءات، وطرق القراء، كما تظهر عنايتهم مما ألفوه في فن التجويد، وما وقفوه لهذه الدور من وقوف، ومن جملة هذه الدور دار القرآن الكريم في المستنصرية، وهي بناية مستقلة تجاور المستنصرية. وقد ذكرها **الخزرجي** فقال: أما الدار المجاورة لهذه المدرسة فإنه لم ير مثلها أحد، وهي أحسن بناء، وأحكم قواعد من كل أثر آثره الخلفاء الماضون[١٣].

وقد اختص هذا القسم بتعليم قراءة القرآن الكريم ودراسة كل ما يتعلق بشؤون القرآن الكريم، وقد نص قانون المدرسة في ذلك: أن يكون في دار القرآن الكريم شيخ يلقن القرآن الكريم وثلاثون صبياً أيتاماً، ومعيد يحفظ التلاقين. وقد خصص لهؤلاء الطلاب الأرزاق اليومية، فكان يعطى لكل واحد منهم في كل يوم ثلاثة أرطال خبزاً، وغرف طبيخاً، وفي كل شهر ثلاثة عشر قيراطاً، وجُبَّة.



وقد خصص المستنصر لشيخ دار القرآن الكريم كل يوم سبعة أرطال خبزاً وغرفين طبيخاً، وفي الشهر ثلاثة دنانير. أما المعيد فمخصصاته كانت في كل يوم أربعة أرطال خبزاً وغرف طبيخاً. وفي كل شهر دينار وعشرون قيراطاً.

ومن أشهر شيوخ دار القرآن الكريم في جامعة المستنصرية هم:

فخر الدين اليعقوبي، وكمال الدين أبو بكر محمد بن جمال الدين ويُعرف **بابن المريمي** المتوفي سنة ٦٨٩هـ. ومظفر الدين أبو عبد الله المبارك بن عبد الله بن **الدامغاني** المتوفي بعد سنة ٦٨١هـ[١٤].

٢ ـ **دار الحديث أو دار السنة**: وهذا قسم آخر ملحق بالمدرسة، وقد اختص هذا القسم بدراسة الحديث النبوي الشريف. وشرط الخليفة المستنصر أن يكون في دار الكتب التي هي الخزانة، عشرة أشخاص يشتغلون بعلم الحديث النبوي الشريف، ويكون لهم قارئاً يشغلان الطلبة بعلم الحديث، ويرأسهم شيخ عالي الإسناد يقرأ عليه الحديث.

وشرط أيضاً لهذه الدار أن يتولى أمر هذا القسم شيخ عالي الإسناد يشتغل بعلم الحديث، وقارئ للحديث، وطلبة أسوة بالأيتام الذين يتلقنون القرآن الكريم في الخبز والغرف والمشاهرة، وأن يقرأ الحديث في كل يوم سبت واثنين وخميس من كل أسبوع.

ومن أشهر شيوخ الحديث، أبو الحسن **القطيعي** المتوفي سنة ٦٣٤هـ، وأبو طالب **القبيطي**، وابن جزيرة **الحريمي** المتوفي سنة ٦٤٣هـ، ومحب الدين **ابن النجار** المتوفي سنة ٦٤٣هـ، **ونصر الله البغدادي** المتوفي سنة ٨١٢هـ[١٥].

٣ ـ **مدرسة الطب**: كان علم الطب من العلوم المهمة التي تدرس بالمستنصرية في بناية خاصة تقع مقابل باب المدرسة الرئيسي. وهي صُفة فاخرة تحت الإيوان الذي تكامل في سنة ٦٣٣هـ، وقد اتخذت هذه الصُفة مكاناً لتدريس الطب ومداواة مرضى المستنصرية. وكان أطباء المدرسة يترددون إلى مرضاهم في صباح كل يوم يتفقدونهم. وكان يطلق على هذا المكان البيمارستان، أو المارستان يعني (المستشفى).

وكان في المستنصرية مخزن فيه أنواع الأشربة والأدوية والعقاقير، وهو أشبه بالصيدلية اليوم. وقد درست معالم مدرسة الطب اليوم ولم يبق منها شيء يذكر.

وقد اعتبر حفظ قوام الصحة، وتقويم الأبدان من العلوم التي اهتمت بها المدرسة وأطباؤها.

وكان من شروط هذه المدرسة[١٦]:

١ ـ أن يكون بها طبيب حاذق مسلم.

٢ ـ أن تكون له أسوة النحوي في الخبز واللحم والمشاهرة.

٣ ـ أن يكون عشرة أنفس من المسلمين يشتغلون عليه بعلم الطب .

٤ ـ أن يوصل إليهم من الجرايات أسوة بطلبة الحديث في الخبز والطبخ والمشاهرة .

٥ ـ أن يكون الطبيب يطبب من يعرض له مرضى من أرباب هذا الوقف .

٦ ـ أن يعطي المريض ما يوصف له من الأدوية والأشربة والأكحال السائلة ، والسكر ، والفراريج ، وغير ذلك .

ومن أشهر الأطباء الذين درَّسوا في المستنصرية هم :

أ ـ **شمس الدين بن الصباغ** : كان عالماً بالطب ، ماهراً في صناعته له فيها تصانيف . وكان طبيب الخليفة المستنصر ، توفي في المحرم سنة ٦٨٣ هـ[١٧] .

ب ـ **مجد الدين أبو علي عبد المجيد بن عبد الله يعرف بابن الصباغ البغدادي** : وقد أصاب هذا الطبيب شهرة واسعة لسعة علمه وغزارة معرفته وقد ذكره ابن الفوطي فقال : « الحكيم الفاضل ، والطبيب الكامل ، اشتغل وحصل وكتب ، وعاشر الوزراء ، والملوك ، ولازم الصاحب شرف الدين هارون ، وأباه الصاحب شمس الدين محمد بن الجويني سفراً وحضراً »[١٨] .

قدم بغداد سنة ثمان وثمانين وستمئة في أيام **السلطان أرغون ومعه فرمان بخزانة كتب المستنصرية ، وأن يمتحن الأطباء والصيادلة بالعراق فمن ارتضاه أقره على عمله ، ومن لم يرضه يستبدل به من يراه أهلاً للتدبير والعلاج وحفظ الصحة والمزاج . توفي في أوائل شعبان ٧١٥هـ .**

جـ ـ **علاء الدين علي بن ركن الدين محمد بن عيسى بن مسعود الإربلي** : تعلم الطب على يد والده الطبيب ركن الدين ، وقد برز فيه وحذق حتى اشتهر بين الناس ، ولم يزل يسعى ويجتهد إلى أن حصل له الجلوس في إيوان الطب في المدرسة المستنصرية[١٩] .

د ـ **ابن الكتبي الشافعي** : وقد اشتهر في علم الطب وبرع فيه . وقد درس الفقه كذلك وبرز فيه ووضع عدة مؤلفات أيضاً .

هـ ـ **دار الكتب (المكتبة)** : لقد حوت المستنصرية مكتبة كبيرة ، فعندما أنشأ المستنصر بالله المدرسة طلب أن تكون فيها مكتبة عامرة نقل إليها الكتب النفيسة التي ضمت جميع العلوم الدينية والأدبية ما حمله مائة وستون حمالا . وقيل إن المستنصر أودع خزانته في المستنصرية ثمانين ألف مجلد[٢٠] .

وقد رتبت الكتب فيها وبوبت حسب فنونها ليسهل على القراء تناولها . وإذا أراد أحدهم نسخ بعض المخطوطات فإن الموظفين كانوا يزودونه بما يحتاج إليه من الأقلام والورق .

وتكون المكتبة أو (دار الكتب) كما تسمى أيضاً أهم الأقسام في المستنصرية وكانت مرجعاً لطلاب المدرسة ومدرسيها وشيوخها ، كما كانت مرجعاً لطلاب العلم والعلماء في خارج المستنصرية . وقد قصدها الكثير منهم ، وترددوا عليها ، وأفادوا من كنوزها العلمية والأدبية نحو قرنين من الزمان .

وقد رتب فيها الموظفون منهم الخازن ، ومشرف ، ومناول ، **وقد وضعت شروط لدار كتب المستنصرية هي :**

١ ـ أن يكون فيها خازناً للخزانة .

٢ ـ أن يكون له في كل يوم عشرة أرطال خبزاً ، وأربعة لحماً بحوائجها وخضرها وحطبها .

٣ ـ أن يكون له في كل شهر عشرة دنانير .

٤ ـ أن يكون فيها مشرف على الخازن .

٥ ـ أن يكون له في كل يوم خمسة أرطال خبزاً ورطلان من اللحم .

٦ ـ أن يكون له في كل شهر ثلاثة دنانير .

٧ ـ أن يكون فيها مناول لكتب .

٨ ـ أن يكون له في كل يوم أربعة أرطال خبزاً وغرف طبيخاً .

٩ ـ أن يكون له في كل شهر ديناران .

١٠ ـ أن تجعل الخزانة برسم من يطالع ويستنسخ من الفقهاء ورتب لهم الورق والأقلام لمن يريد النسخ[٢١] .

ومن الأمور التي تدل على عناية واهتمام المستنصر بالعلوم والكتب العلمية وميله إلى اقتنائها وخزنها في دور الكتب ما أورده **الصفدي** فقد قال : « وبيعت كتب العلم في أيامه بأغلى الأثمان لميله إلى اقتنائها ، ورغبته في تحصيلها ، وإكبابه على مطالعتها ، وحسن خطوطها ، ووقفها على أهل الفضل ، وخزنها في المدارس ، وصنَّف الفضلاء في دولته بدايع المصنفات في فنون العلم وتقربوا بإهدائها إليه »[٢٢] .

وقد عين أول خازن لهذه الدار شمس الدين علي بن الكتبي عندما فتحت في الخامس من شهر رجب سنة ٦٣١هـ . وخلع على المشرف ، وعلى المناول عنده[٢٣] ، ومن أشهر خزنة هذه المكتبة :

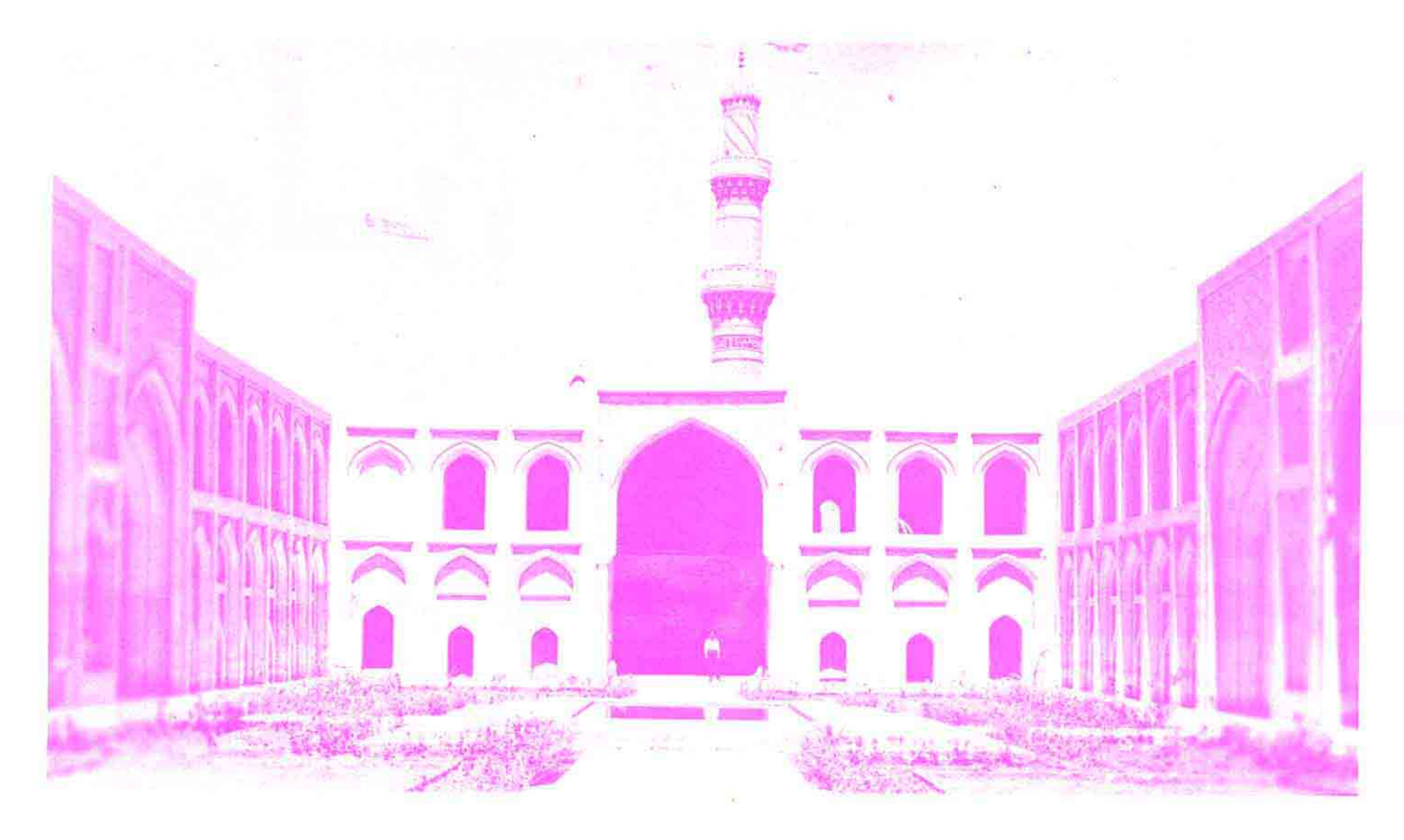
١ ـ **ابن الساعي** : (٥٩٣ ـ ٦٧٤هـ) تاج الدين علي بن أنجب ابن عبد الله بن عمار ، الخازن والمؤرخ الملقب بابن الساعي . وكان إمامه حافظاً مبرزاً على أقرانه فقيهاً بارعاً قارئاً بالسبع محدثاً ، شاعراً له مصنفات كثيرة في التفسير والحديث والفقه والتاريخ ، منها تاريخه المشهور في ستة وعشرين مجلداً[٢٤] . رتب خازناً في دار كتب بالمدرسة المستنصرية وكذلك بالمدرسة النظامية ولذلك لقب بالخازن .

٢ ـ **ابن الفوطي** : (٦٤٥ ـ ٧٢٣هـ) أبو الفضل عبد الرزاق البغدادي ولد وسمع ببغداد الصاحب محيي الدين بن الجوزي . ثم أسره المغول في واقعة بغداد ٦٥٦هـ ، وأنقذه **نصير الدين الطوسي** فلازمه وأخذ عنه علوم الأوائل .

ومن أشهر المشرفين في خزانة المستنصرية :

١ ـ **محيي الدين بن العاقولي** : كان هذا رجلاً فاضلاً فقيهاً صاحب فضائل وعقل وافر وسيرة حميدة ، اشتغل وحصل مشيخة المستنصرية والإفادة بها عند والده ، وكذلك الإشراف على خزانة الكتب[٢٥] .

وأول مناول في خزانة المكتبة المستنصرية ، الجمال إبراهيم



ابن حذيفة . وخلع عليه يوم افتتاح المستنصرية في الخامس من شهر رجب سنة ٦٣١هـ .

ومحمد بن سعد بن محمد بن أبي النجم الحدادي . قدم بغداد واستوطنها وسكن النظامية وكان محمد هذا صاحب ابن الساعي ووصيه ، وكان مناولا بخزانة الكتب بالمستنصرية .

وكذلك عبد الرحيم بن محمد بن سعيد بن محمد بن أبي النجم الحدادي ، وهو الآخر كان مناولا بخزانة الكتب المستنصرية كأبيه وله بها معرفة تامة . ولد في شهر ربيع الأول سنة ٦٧١هـ ، ومات ببغداد في أواخر سنة ٧٤١هـ .

ومما يؤسف له حقاً أن قسماً كبيراً من كتب هذه الخزانة كان قد تفرق في مواطن عديدة نتيجة لإهمال المشرفين ، وعدم تطبيق شروط الواقف ، وأن أول نكبة أصابت هذه الخزانة كانت عند احتلال المغول بغداد سنة ٦٥٦هـ ، حينما اضطرب الأمن ، وسادت الفوضى وأبيحت المدينة ، واستولى بعض الطامعين على كتب المدرسة العلمية ، ومنهم نصير الدين الطوسي الذي رافق الجيش المغولي ودخل معه بغداد ، وقد نقل هذه الكتب إلى مدينة (مراغة) حيث بنى هناك مرصداً علمياً ، وخزانة كتب كبيرة . وكلما مر الزمن وتقدم بالمدرسة المستنصرية وتعاقبت الحوادث تناقص عدد الكتب وصارت نهباً للطامعين .

الهوامش

(١) الإربلي : خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٢١١ .
(٢) لسترلنج : بغداد في عهد الخلافة العباسية ، ص ٢٢٨ .
(٣) الحوادث الجامعة ، ج ٥ ، ص ٥٢٨ .
(٤) الإربلي : خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٢١٢ .
(٥) الإربلي : خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٢١٢ .
(٦) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٢٨٤ .
(٧) الحوادث الجامعة ، ص ٤ .
(٨) ناجي معروف : تاريخ علماء المستنصرية ، ص ٤ .
(٩) خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٢١٢ .
(١٠) الحوادث الجامعة ، ص ٥٥ .
(١١) الحوادث الجامعة ، ص ٥٦ ـ ٥٧ .
(١٢) الألوسي : مساجد بغداد وآثارها ، ص ٩٠ .
(١٣) الخزرجي : في حوادث سنة ٦٣١هـ .
(١٤) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ، ج ٥ ، ص ٢٥٩ .
(١٥) الإربلي : خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٢١٢ .
(١٦) الخزرجي : حوادث ٦٣١هـ . ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٥ ، ناجي معروف : تاريخ علماء المستنصرية ، ص ٢٤٤ .
(١٧) الذهبي : في حوادث ٦٨٣هـ .
(١٨) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ، ج ٥ ، ص ١٧٢ ـ ١٧٣ .
(١٩) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ، ج ٤ ، ص ٣٢١ .
(٢٠) ابن عنبة : عمدة الطالب ، ص ١٨٢ .
(٢١) ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ، ج ٤ ، ص ١٦٧ . ناجي معروف : تاريخ علماء المستنصرية ، ص ٢٧٤ .
(٢٢) الوافي بالوفيات ، ج ٢ ، ص ١٣٠ .
(٢٣) الحوادث الجامعة ، ص ٥٥ ـ ٥٦ .
(٢٤) العماد : شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٣٤٣ .
(٢٥) السلامي : المنتخب المختار ، ص ١٨٥ .

كولن ويلسون وإنسان هذا العصر

«إن العالم اليومي يجرنا معه مثل عبد رقيق خلف عربة قائد منتصر ، وعلى الإنسان أن يتعلم كيف يقطع الحبل ، ويسمح للعقل أن يثبت في مكانه ، وأن يغدو واعياً لقرابته بالجبال والصخور»

كولين ويلسون

* كولن ويلسون *

بقلم : جلال العشري

« **العقل في أزمة** » .

أجل ، تلك هي الصرخة التي أطلقها في **بريطانيا** فيلسوف شاب في الرابعة والعشرين من عمره ، يدعى **كولين ويلسون** ، والتي أودعها كتابه الذي سماه « **الغريب** » أو « **اللامنتمي** » والذي وصفه بأنه « **دراسة تحليلية لأمراض البشر النفسية في القرن العشرين** » .

وما إن أطلق كولين ويلسون هذه الصرخة في بريطانيا ، حتى تردد صداها في **أمريكا والقارة الأوروبية** ، وأصبح اسمه على كل لسان يهتم بقضايا الفكر والثقافة ، بعد أن كان نكرة لا يذكره أحد ، وقد تحمس له بعض النقاد المعروفين في **إنجلترا** ، مثل : **سير يل كونولي ، وإيديث ستويل ، وفيليب توينبي** ، فاعتبروه على صغر سنه ، كاتباً من الطراز الأول ، بل لقد ذهب فيليب توينبي إلى أن كتابه هذا « أضاف إضافة حقيقية إلى فهمنا لأشد مشكلاتنا عمقاً وأكثرها تعقيداً » .

وأكثر من هذا ، لقد اعتبره شباب الأدب الإنجليزي في الخمسينات ، وهو الشباب الذي أطلقت عليه الصحافة الأدبية اسم « الشباب الغاضب » أو « الجيل الغاضب » ، والذي ينتمي إليه كل من **جون أوز بورن ، وأرنولد ويسكر ، وهارولد بنتر ، وشيلا ديلاني ، وجون وين ، وكنجسلي رميس ، ودوريس لسنج ، وآلان سيليتو** ، اعتبروا (كولين ويلسون) بمثابة فيلسوف هذا الجيل ، وأول من أرسى دعائم هذه المدرسة ، بإصداره هذا الكتاب ، الذي جعل منه كولين ويلسون رمزاً لنفسه ولجيله من المفكرين الإنجليز الشبان .

ذلك أن كتاب « الغريب » أو « اللامنتمي » ، كما يقول الناقد **كارل بود** ، أحد المشايعين لأدب الخمسينات ، يبرز صورة المفكر الإنجليزي الشاب الذي يعيش في وحدة موحشة ، ويشعر بالمرارة الاجتماعية ، وعبثاً يحاول الخروج من مرض الغربة أو اللاانتماء !

ولكن كتاب كولين ويلسون في الواقع ، أعمق من هذا بكثير . إنه بمثابة الصرخة التي نبهت إلى عمق الأزمة التي يعانيها العقل الأوروبي المعاصر ، ذلك العقل الذي شهد منذ أواخر القرن التاسع عشر ، ولا يزال يشهد حتى وقتنا الحاضر ، ظواهر لا يمكن أن توصف إلا بأنها أزمة ، ولم تكن مصادفة بل كان مما يبعث على التساؤل ، أن أصبحت ينابيع الفكر الفلسفي هي آراء **برجسون ونيتشه وكروتشه وشبنجلر ووليم جيمس** ، وكلها آراء تشيد بقوى أخرى غير العقل الاستدلالي أو **المنهج العلمي** ، وتنادي بمبادئ **الحدس** أو الإرادة أو الوثبة الحيوية أو النجاح العملي ، حتى أصبح دعاة العقل أقلية ضعيفة خافتة الصوت ، تدافع عن مبادئها بخجل واستحياء .

ولم يقتصر هذا على مجال **الفكر الفلسفي** أو الفكر النظري الخالص ، بل تعداه إلى **علم النفس** والسيكولوجيا الحديثة ، فذهب **فرويد** وتلميذاه **أدلر ويونج** ، وسائر علماء **المدرسة التحليلية** إلى اطلاق سهامهم على قلعة العقل ، والاحتماء بقيعان اللاوعي أو اللاشعور ، باعتبارها الأوعية التي تحتفظ بالتجارب والذكريات والأحلام ، وتكون عالماً مظلماً معتماً لا يدرك إلا من خلال رموزه ، ولا ينفذ إليه العقل الواعي ، وإن كان هو أساس تفسير الكثير مما يدور في مجال الوعي .

وفي مجالات الأدب والفن ، اتخذت **الرواية والدراما والموسيقى والفن التشكيلي** ، نفس الاتجاه ، حيث خفت صوت العقل والوعي ،

واختفى الترابط المنطقي ، والقالب المحدد ، وحلت الانطباعات السريعة المباشرة ، والفورات الوجدانية الحادة ، وأصبح الفن بدوره يخاطب القوى اللاواعية في الإنسان . والأدب كأنما يغوص في الأعماق السحيقة للذات البشرية .

والذي يعنينا من هذا كله ، هو أن هذه الظواهر جميعاً ، ما كان لها أن تجتمع في توقيت زمني واحد ، إلا لتشير إلى مدلول واحد ، وتعبِّر عن أزمة واحدة ، هي أزمة العقل ، أو الأزمة التي يمر بها العقل .

صحيح أن العقل ذاته هو الذي شخص هذه الأزمة ، وهو الذي توصل إلى تحديد ملامحها وظواهرها ودلالاتها العامة ، وصحيح أن تحليل العقل لذاته ، وتمرده على نفسه ،هو تأكيد لوظيفة العقل وتحقيق لدوره الإيجابي ، ولكن الصحيح أيضاً أن هذه جميعاً ظواهر تشير إلى محنة العقل في مواجهة تحديات العصر .

أمراض الإنسانية المعاصرة

ومن هنا كان وصف كولين ويلسون لكتابه بأنه بحث في كنه مرض الإنسانية في منتصف القرن العشرين ، فهو إذن يفترض أن الإنسانية مريضة في هذا العصر ، ويحاول أن يشخص الداء الذي تعانيه الإنسانية ، وفي ذات الوقت يحاول أن يصف الدواء الذي يشفي الإنسانية من هذا الداء ، أما هذا الداء ، فهو ما يسميه كولين ويلسون بمرض الغربة أو اللاانتماء . فعنده أن مشكلة اللامنتمي تبدو لأول وهلة مشكلة اجتماعية ، ذلك لأن **من صفات اللامنتمي أنه لا يتوافق مع المجتمع الذي يعيش فيه ، لكن مشكلة اللامنتمي ، في حقيقتها ، ليست مجرد مشكلة اجتماعية ، وإنما هي مشكلة روحية أو ميتافيزيقية .**

فمن هو اللامنتمي ؟

هو الشخص الذي يرى الإنسان على حقيقته ، تلك الحقيقة التي تحجبها عن العين طبيعة الحياة في المجتمع الحديث ، ولأنه ينشد الحقيقة وحدها ولا يقبل غيرها ، نراه باستمرار في حالة تمرد على المجتمع ، وكأنما هو يعيش خارج لا داخل هذا المجتمع ، ومن ثم فهو في حالة دائمة من **الاستبطان** ، يستبطن ذاته ويطل عليها من الداخل ، لكي يراها على حقيقتها السافرة ، ويدرك النزاع الناشب فيها بين ما هو حيواني صرف ، وما هو إنساني خالص .

« لا أملك شيئاً ، ولا أستحق شيئاً ، وبالرغم من ذلك أشعر بالحاجة إلى تعويض ! » .

هذا هو اللامنتمي عندما يفتش في أغوار ذاته ، فلا يكاد يجد فيها شيئاً ، وعندما يفتش في خارج ذاته لا يكاد يجد فيها شيئاً كذلك « أما البحث الفلسفي فإنه يلوح عديم المعنى ، لا شيء يمكن اختباره ، ولا شيء يمكن اختياره ، وأما الحقيقة فيا ترى ماذا يعنون بها ! ؟ » .

وتنطلق أفكار اللامنتمي بصورة غامضة من حب قديم ، وما كان يحيط به من ملاذ عاطفية ، إلى التفكير في حقيقة الموت . . . **« الموت . . . إنه أهم الأفكار على الإطلاق »** ، ثم يعود إلى مشاغله اليومية « يجب أن أكسب مالا » ، وفجأة يرى ضوءً منعكساً على الجدار ، إنه منبعث من الغرفة المجاورة لدى إحدى الأسر ، ويقف على الفراش في غرفته الوحيدة ، يراقب الغرفة المجاورة : « إنني أنظر وأرى . . الغرفة المجاورة تدعوني إلى . . . . . » .

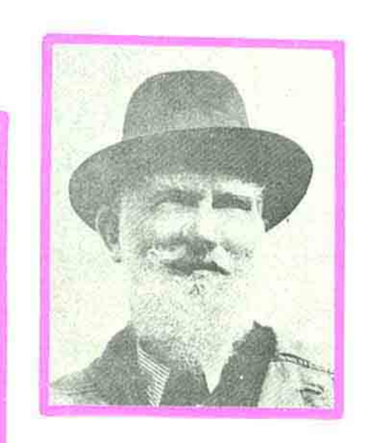
وهكذا لا يكاد اللامنتمي يخرج من أغوار ذاته ، ليستشرف العالم من حوله ، حتى يكون عالمه هو الحياة الدائرة في الغرفة المجاورة ، التي يراقبها من ثقب في لجدار ، والتي وصفها **الشاعر كيتس** فيما كتبه إلى **الشاعر براون** قبل وفاته بعام واحد : « إنني أشعر وكأنني ميت منذ زمن ، وإنني إنما أعيش الآن حياة ما بعد الموت ! » .

الرؤية أكثر من اللازم

لذا يمكننا أن نصف اللامنتمي بأنه الشخص الذي يعيش في انفصام مع ذاته ، ومع العالم من حوله ، فهو يرى أن العالم الذي يعيش فيه ، ويعيش فيه الناس ، عالم غير حقيقي ، وهو في ذات الوقت لا يرى في الوجود سوى الفوضى التي تتجاهلها العقلية البورجوازية ، ولأنه يرى أن الفوضى هي حقيقة العالم ، نراه لا يهتم إلا بها ، ولا يتحدث إلا عنها ، ولا ينظر إليها إلا بين اليأس والتشاؤم ، اسمعه يقول :

« ورأيت نفسي على الرصيف مرة ثانية ، لا أشعر بالطمأنينة التي كنت أمني نفسي بها ، وإنما أحس باضطراب وارتباك ، كنت وكأنني لا أرى الأشياء على حقيقتها ، وكنت أرى أكثر من اللازم ، وأعمق من اللازم ! » .

ولن يجدينا هنا أن نتهمه بأنه شخص مريض وغير سوي ، لأنه سرعان ما يدافع عن نفسه قائلاً : « إننا جميعاً مرضى ، نعيش في حضارة مريضة ، والفرق بيني وبينكم أنكم تجهلون هذه الحقيقة المرة ، على حين أعرف أنا أني مريض ، ولدي من الشجاعة ما يجعلني أواجه حقيقة مرضي ! » .





▶ ★ برناردشو ★

★ سارتر ★

وهكذا نجد أن اللامنتمي إنسان لا يستطيع الحياة في عالم البورجوازية ، ذلك العالم السهل المريح ، ولا يستطيع ، في ذات الوقت ، قبول ما يراه ويلمسه في الواقع ، فهو « **يرى أكثر وأعمق من اللازم** » ، وإن ما يراه لا يعدو الفوضى ، فالبورجوازي يرى العالم مكاناً منظماً تنظيماً جوهرياً ، وإن وجدت فيه بعض عناصر القلق وعدم الارتياح ، إلا أن انشغال البورجوازي بمشكلات حياته اليومية ، يجعله مضطراً إلى تجاهل هذه العناصر ، أما اللامنتمي فإنه لا يرى العالم معقولا أو منظماً ، وحين يقذف بمعانيه الفوضوية في وجه هذا العالم ، فما ذلك إلا لأنه يحس بشعور يبعث على الكآبة ، شعور بأن الحقيقة ينبغي أن تُقال على الرغم من كل شيء ، وإلا فلن يكون الإصلاح ممكناً ، بل إن هذه الحقيقة ينبغي أن تُقال حتى إذا لم يكن هناك أمل في الإصلاح .

إن اللامنتمي ـ كما يقول كولين ويلسون ـ إنسان استيقظ على الفوضى ، ولم يجد سبباً يدفعه إلى القول بأن الفوضى إيجابية بالنسبة إلى الحياة ، قد تكون الفوضى هي جرثومة الحياة ، كما أن البيضة هي فوضى الطائر ، إلا أن الحقيقة برغم ذلك ينبغي أن تُقال ، والفوضى يجب أن تواجه .

ولكن من ذا الذي سيقول الحقيقة ، ومن ذا الذي سيواجه الفوضى ؟ هل هو اليوجي أو القديس أم القوميسار أو الثائر ؟

إنه عند كولين ويلسون ، كما عند الكاتب المجري **آرثر كويسلر** صاحب كتاب « اليوجي والقوميسار » ، إنه لا القديس ولا الثائر يستطيع أن يخلصنا مما نحن فيه ، وإنما الإنقاذ الحقيقي هو في اجتماع هذين العنصرين في مركب ثالث جديد ، وهذا معناه أن أسلوب الشك والزهد والعبادة كما نجده عند رجل الدين ، قديساً كان أو صوفياً ، لا يكفي لمواجهة الأزمات المادية التي يواجهها إنسان هذا العصر . والعكس كذلك صحيح ، حيث لا يكفي أسلوب التمرد والثورة لإصلاح عطب الحياة ، لأنه لا يكاد يصلح شيئاً حتى يقضي على كل شيء ، فاليوجي أو القديس والقوميسار أو الثائر كلاهما إنسان ذو بُعْد واحد ، لا يكاد يكفي لمواجهة روح العصر ، ذلك الذي لا بد له في رأي **كويسلر** من اجتماع هذين البُعْدين ، ولا بد له في رأي كولين ويلسون من إضافة بُعْد ثالث .

الإنسان ذو الثلاثة أبعاد

ويبدأ كولين ويلسون بالبحث عن هذا الإنسان في كتب الأدب ، وكما يتجلى في أبطال أشهر الروايات العالمية الحديثة ، كما صورها خيال بعض الروائيين المحدثين ، مثل بطل رواية « الجحيم » للكاتب الفرنسي **هنري باربوس** ، وبطل رواية « الغثيان » **لجان بول سارتر** ، وبطل رواية « الغريب » **لألبير كامي** .

فأبطال هذه الروايات يعيشون جميعاً في عالم انعدمت فيه القيم ، وضاع منه اليقين ، وأصبح كل شيء فيه جائزاً ، وبالتالي صعب التنفس ، وغامت الرؤية ، وفقد الاتجاه ، فراحوا يقضون معظم وقتهم منفردين في غرفهم الخاصة ، لأنهم لا يجدون ما يبرر قيامهم بفعل أي شيء آخر في عالم بلا معنى ولا جدوى .

لقد فقدوا ثقتهم في العقل كما فعل الفيلسوفان **كير كيجارد ونيتشه** ، وشعروا بأن العلم لا يحقق سعادة الإنسان ، شأنهم في ذلك شأن الفيلسوف الأمريكي **هوايتهد** ، والكاتب الإنجليزي **هـ . ج . ويلز** ، ومن ثم اقتربوا من « **كافكا** » وعالمه الممسوخ .

ويرى كولين ويلسون أن شخصية الغريب الوجودي ، كما صورها جان بول سارتر ، تطور طبيعي لشخصية الغريب الرومانتيكي كما صورها **جوته** في « آلام فرتر » ، وهو الغريب الذي كان في القرن التاسع عشر ، يعتبر أنه من الطبيعي بالنسبة له أن يموت شاباً مثل شيلي ، أو يعيش مريضاً مثل **شيللر** ، أو يظل في برزخ بين الموت والحياة كما كان حال كولروج .

والفرق بين الغريب الرومانتيكي والغريب الحديث ، هو أن الأول دائم البحث عن الحقيقة وإن كان لا يجد هذه الحقيقة ، وهذا هو العذاب ، إلا أنه يعتقد في وجود هذه الحقيقة وهذا هو العزاء . وبين العذاب والعزاء يعيش الغريب الرومانتيكي الذي كان يعتقد أن الخطأ ليس كامناً في الطبيعة الإنسانية ، لأن الكمال الإنساني شيء ممكن التحقيق ، وإنما الخطأ كامن فيه هو ، في ملكاته وقدراته وفي نظرته للعلاقة المتبادلة بين العالم والإنسان ، وهذا ما عبَّر عنه **الدكتور جونسون** على لسان بطله « راسيلاس » بقوله : « **لست أريد أن أكون سعيداً ، وإنما أريد أن أكون حياً وفعالا** » .

فهو يشعر أن شيئاً ما ينقصه ، هذا الشيء ليس في خارج ذاته وإنما في داخله هو ، وهو ما عبَّر عنه راسيلاس بقوله وهو يهرب من « الوادي السعيد » : « يلوح لي دائماً أن للإنسان حاسة سادسة ، أو قابلية أخرى بالإضافة إلى حواسه ، هذه القابلية يجب أن تشبع قبل أن يكون سعيداً السعادة الكاملة ! » .

هذا هو **الغريب الرومانتيكي الذي يختلف عن الغريب الحديث** ، الذي لا يفهم ما يقصده الناس حينما يتحدثون عن الحقيقة ، فماذا تكون هذه الحقيقة ، وما جدوى العثور عليها إن كانت موجودة : « **الحقيقة ؟ ترى ماذا يعنون بها ؟** » . إن هؤلاء الذين يعتقدون بأن الطبيعة الإنسانية هي المريضة ، وأن الغريب هو الذي يواجه هذه الحقيقة المريرة ، هؤلاء لا يعنوننا الآن ، إننا كما يقول اللامنتمي الحديث في وضعية سلبية ، وهذه الوضعية السلبية هي جوهر العالم ، و « **لا طريق هنالك إلى الخارج أو إلى ما حول أو إلى الداخل** » ، وإلى هذا يجب أن ينصرف انتباهنا الآن .

وعلى الرغم مما بين **اللامنتمي الرومانتيكي وبين اللامنتمي الحديث** من فروق في النظرة إلى الحقيقة .. حقيقة العالم وحقيقة الإنسان ، إلا أنهما يشتركان في صفة هامة ، هي اهتمامهما معاً بمشكلة بعينها يسميها كولين ويلسون بمشكلة اللامنتمي ، **إن مشكلة اللامنتمي هي كيفية تحقيق ذاته في وجود سمته الفوضى** ،

فهو إنسان يريد أن ينظم هذه الفوضى ، وأن يهدف هذا النظام ، وأن يخلع على هذا الهدف المعنى والجدوى ، ومن أجل حلمه الوردي الجميل ، ذلك الحلم الذي يتلاشى مع مطلع الفجر ، نراه يضيع حياته سدى ، ويعيش في سأم وملل ، ويشعر بأن ذاته منشقة على ذاته ، فهو نصف همجي ونصف متمدين ، نصفه حيواني والنصف الآخر فيه الإنسان ، أما غايته القصوى فهي أن يحقق وحدة واحدة في هذه الذات ، وأن يحيا حياة واحدة ، حياة أضيق ما فيها يتسع لكل أشواق الإنسان .

وهذا معناه ، في رأي كولين ويلسون ، أن مشكلة اللامنتمي ليست مشكلة فكرية بقدر ما هي مشكلة حياتية ، أو هي على حد تعبيره «مشكلة البحث عن جواب للسؤال» . والسؤال هو : ماذا يجب على اللامنتمي أن يصنع بحياته وفي حياته ، في الوقت الذي لا يستطيع فيه قبول الحياة كما يقبلها ويحياها من هم حوله ؟

ولما كانت مشكلة اللامنتمي هي البحث عن الطريقة المثلى التي يحيا بها حياته ، بمعنى أن مشكلته في جوهرها مشكلة حية أو مشكلة حياتية ، فإن كولين ويلسون لا يكتفي بدراسة الغربة في كتب الأدب ، وإنما يعود من الأدب إلى الحياة نفسها ، فيدرس حياة بعض من اعتبرهم من الغرباء أو اللامنتمين .

والثلاثة الذين يختارهم كولين ويلسون هم : الكاتب الإنجليزي **ت . ا لورانس** ، والرسام الهولندي **ڤان جوخ** ، وراقص الباليه **نيجنسكي** ، إنه يختارهم نماذج ثلاثة للامنتمي ، يتميَّز كل منهم بميزات خاصة ، ينافس بها الآخرين في غربته ولا انتمائيته ، ميزات في العقل والوجدان والجسد ، لقد حاولوا جميعاً أن يتغلبوا على مرض الغربة أو اللاانتماء عن طريق سيطرة كل منهم على ذاته ، إلا أن سيطرتهم جميعاً على ذواتهم لم تكن كاملة ، لأن الطريق التي سلكها كل منهم لم تكن مجدية في حد ذاتها ، إذ حاول لورانس أن يسيطر على عقله فحسب ، وحاول ڤان جوخ السيطرة على وجدانه فقط ، واكتفى نيجنسكي بالسيطرة على إمكانات جسده وكفى .

ومن هنا كان فشلهم جميعاً في التخلص من داء الغربة ومرض اللاانتماء ، فانتهى الأمر بلورانس إلى ما يسميه كولين ويلسون بالانتحار العقلي ، وقضى ڤان جوخ على حياته بيده ، أما نيجنسكي فكان مصيره الجنون .

ويخلص كولين ويلسون من دراسته لحياة هؤلاء الغرباء الثلاثة ، إلى أنهم جميعاً كانوا نفوساً ضائعة ، وإلى أن الإنسان المثالي هو الذي يجمع بين فكر لورانس الثاقب ، ووجدان ڤان جوخ الجامح ، وإدراك نيجنسكي لإمكانات جسده ، وهذا هو الإنسان ذو الأبعاد الثلاثة .

العودة إلى الإيمان

ويمضي كولين ويلسون في تحليل وضعية اللامنتمي ، فيرى أن أهم ما يشغل بال اللامنتمي هو رغبته في ألا يكون لامنتمياً ، إنه يحرص على الانتماء ، ولكنه لا يستطيع أن يتخلى عن كونه لامنتمياً ، وإلا كان معنى انتمائه أن يكون بورجوازياً عادياً ، يرتدي العديد من الأقنعة ، لكي يتلاءم مع الحياة الاجتماعية المحترمة ، ومع متطلبات المدنية والتحضر . وهذا هو ما يكرهه اللامنتمي ولا يطيقه أبداً ، بل ربما كان الموت عنده أفضل من حياة مثل هذه الحياة .

إن مشكلة اللامنتمي هي كيف ينطلق إلى الأمام ، في الوقت الذي عاد فيه كل من لورانس وڤان جوخ ونيجنسكي إلى الوراء ، فاندحروا جميعاً .

وهذا معناه أن اللامنتمي ليس مجنوناً وليس مريضاً ، إنه فقط أكثر حساسية من أولئك الأشخاص المتفائلين ، وأكثر شفافية من هؤلاء الرجال صحيحي العقول . إن مشكلة اللامنتمي في جوهرها هي مشكلة الحرية ، لا الحرية السياسية بالطبع ، ولا الحرية الاجتماعية بطبيعة الحال ، وإنما الحرية بمعناها الروحي العميق ، على اعتبار أن جوهر الدين هو الحرية .

فاللامنتمي يبدأ — كما يقول كولين ويلسون — بنوع من التوترات الداخلية ، من حالة تأزم باطني ، ودوار داخلي عنيف ، ويحاول جاهداً أن يتخلص من توتره وتأزمه ودواره العنيف ، ولن يجديه في شيء الذهاب إلى طبيب نفساني ، لأنه ليس في مقدور الطبيب النفساني أن يجد حلاً لمشكلة اللامنتمي .

إن مشكلة اللامنتمي أشبه بمشكلة الصوفي الذي ينشأ في حضارة بعينها ، ولكنه لا يلبث أن يرفض قيم هذه الحضارة ، فيهرب منها ويلوذ بصومعته في الصحراء ، وبعد أن يتفكر في ذاته وفي العالم من حوله ، وفي عظمة الخالق ، نراه يعود إلى العالم من جديد ، داعياً إلى نبذ قيم الحياة المادية ، مبشراً بقيم الحياة الروحية .

وبالمثل نجد اللامنتمي يلوذ بغرفته الوحيدة ، بعيداً عن البشر ، حيث يغرق في تأملاته الذاتية ، يحلل مشاعره ، ويطلق لخواطره العنان ، ويفكر في إصلاح العالم ، فإذا قدر له أن يعرف نفسه المعرفة الكافية ، وأن يعرف بالتالي ماذا يفعل بنفسه وسط نفوس الآخرين ، اتضحت رسالته وصار صوفياً ، إلا إذا عجز عن معرفة نفسه ، وعن السيطرة على ملكاته وقدراته ، فإنه يظل لامنتمياً .

وهذا معناه أن ذلك اللامنتمي هو الإنسان الذي تشغله مشكلة طبيعة الحياة ذاتها ، ومشكلة العبثية في هذه الحياة ، ومشكلة البحث عن سبيل للخلاص ، الخلاص من مرض اللاانتماء باعتباره من أخطر أمراض العصر ، وذلك عن طريق الإيمان ، أو العودة إلى الإيمان .

صحيح أنه لا يستطيع أن يقبل قول القديس أوغسطين : « **إنه لكي نفهم ينبغي أن نؤمن** » ، وإنما الصحيح أنه يريد أن يقيم إيمانه على أساس يعقله ، وكأنما يعارض عبارة القديس أوغسطين بالعبارة

القائلة : « **إنه لكي نؤمن ينبغي أن نفهم** » .

ومع ذلك ، فهل يستطيع اللامنتمي أن يجد له مخرجاً من هذه الحلقة المفرغة ؟

إلا إن الجواب الذي ينتهي إليه بحث كولين ويلسون هو الجواب الديني !

الشروق من الشرق

ويحاول كولين ويلسون أن يصف لنا طريق الخلاص ، خلاص الغريب من غربته ، أو اللامنتمي في محاولته الانتماء ، وإذا كان قد أشار إلى أن هذا الخلاص لا يكون إلا بإدراك الإنسان أنه لا يتكون من عقل فقط أو وجدان فحسب أو جسد وكفى ، وإنما عليه أن يحقق الوحدة الحسية من بين هذه العناصر الثلاثة ، لكي يحيا حياة واحدة ، فإنه هنا يصف لنا السبيل إلى اندماج هذه العناصر جميعاً ، وانصهارها في بوتقة واحدة .

فعند كولين ويلسون أن اللامنتمي يلمح بصيصاً من الأمل في خلاصه الروحي ، وذلك من خلال لحظات من الكشف الصوفي أو الرؤية الإشراقية ، لحظات تتوهج فيها حواسه جميعاً وتنسجم فيها روحه مع الوجود ، ويشعر وكأنما هو والحياة شيء واحد . فيبدو له الكون آية من آيات الله ، والعالم قائم على نظام بديع محكم ، والحياة عميقة المعنى ، رائعة الغاية ، جديرة حقاً بأن تُعاش .

هذه اللحظات المتوهجة ، هي التي ينبغي على اللامنتمي أن يقبض عليها بكل ما أوتي من قوة ، وألا يدعها تفلت من بين يديه ، ففي هذه اللحظات خلاصه ، وفيها خروجه من غربته ، وشفاؤه من داء اللاانتماء ؛ بل أكثر من هذا ، على الإنسان أن ينمي في نفسه هذه الملكة النورانية ، ملكة الرؤية الصوفية أو الكشف الروحاني ، وذلك عن طريق الإرادة الحرة . فاللامنتمي هنا كالشاعر الملهم ، الذي يهبط على إلهامه دون أن ينتظر حتى يهبط إلهامه عليه ، وهذه الرؤية التي تمثل النهاب الحواس جميعاً ، فضلاً عن يقظة الوجدان ، ممكنة للجميع كما يقول **الشاعر وليم بليك** ، طالما كانت نوافذ الإدراك نقية صافية .

وكما انفتحت أبواب الأعماق عند وليم بليك ، وأطل عليه هذا النور ، يمكن أن تنفتح بدورها أمام اللامنتمي ، إذا حرص على تنمية هذه الملكة في نفسه ، وتوفر له الهدوء الروحي ، وتهيأ لاستقبال هذه الرؤى الصوفية ، التي تخلع على كل الأشياء الغاية والمعنى ، فتبدو له كل ورقة من أوراق الشجر ، بل كل ذرة من ذرات التراب ، وكأنها عالماً كاملاً يبعث في داخله السعادة القصوى والفرح الذي لا ينتهي !

ويذهب كولين ويلسون إلى أن هذه الرؤى ليست سوى أمثلة على قابلية الإرادة الحرة على جعل الأشياء تحدث ، لا كما علمتنا فلسفة الغرب التي تميل إلى اخضاع الإرادة للوجود ، ولكن كما أرشدتنا إلى ذلك بحق .. **حكمة الشرق** .

وهكذا تقودنا مشكلة اللامنتمي إلى الحلول التي اهتدى إليها حكماء الشرق ، بحيث يصبح المثل الأعلى عند كولين ويلسون هو **الحكيم الشرقي** الذي لا يعنى بأكثر مما يسد رمقه ويقيم أوده من المال والطعام ، ويحرص كل الحرص على الرياضة والمجاهدة حتى يحصل له الكشف والمشاهدة ، فيرى الحقيقة بنور اليقين ، وهو نور يزرعه الله في قلب المؤمن إذا اتجه بكيانه كله إلى الله .

ويختار كولين ويلسون من بين حكماء الشرق ، المتصوف الهندي الشهير « **سري راما كريشنا** » ، فيعرض لحياته ، ويشيد بحكمته ، وكيف نشأ في قرية صغيرة ، وكانت حياته تسير على وتيرة غنائية ، وكان هو نفسه كالوتر الرقيق الذي يتذبذب بالأنغام لدى أي اهتزاز ، وأمام أي جمال أو توافق في الطبيعة ، وكان مزاجه الروحي ، أو كما يسميه كولين ويلسون ، حساسيته التخيلية دائمة التطور على امتداد حياته ، إلى أن بدأ يفكر في الله بتفكيره في التوافق ، وكيف أن ما نشاهده من توافق في الكون إنما هو آية من آيات خلق الله .

وقد أدرك راما كريشنا أن الهدوء يتأتى في لحظات التأمل بتوجيه التفكير نحو فكرة التوافق ، ومن ثم راح ينفرد بنفسه في أماكن لا يضايقه فيها أحد ، وكان يجلس متربعاً ويحاول أن يجعل انفعالاته وعقله متعاونين لتحقيق أقصى درجة من درجات الانفصال عن العالم . وتمر الساعات وإذا به يرى أن الأشخاص والجبال والأنهار والطبيعة كلها صارت أكثر حقيقية ، وأنها وجدت لقصد وغاية ، وأن ما يشهده وما يراه إن هو إلا لحظة من لحظات الإرادة الحرة .

وكان راما كريشنا قد أرهقه التأمل الطويل حتى أنه لم يعد يرى هدفه ، وحتى أقدم بالفعل على محاولة الانتحار ، ولكن محاولته الانتحار كانت خطراً مفاجئاً هدد قواه الحيوية ، فأيقظت فيه الحواس ، وألهبت فيه الوجدان ، فتراءت له الرؤيا ، وكانت رؤياه مثل رؤيا نيتشه على قمة التل ، إلا أنه إذا كانت رؤيا نيتشه رؤيا سلبية ، فإن رؤيا راما كريشنا هي الرؤيا الإيجابية ، ذلك أن خطر الموت أيقظ فيه الإرادة النائمة ، فلما استيقظت هذه الإرادة ، أضاءت له الحقيقة وقذفت في قلبه بنور اليقين .

لقد نجح راما كريشنا ، كما يقول كولين ويلسون ، في توجيه البواعث ذاتها ، فقبض على السيف وأراد أن ينتحر به ، وفجأة كشفت قوى الحياة عن ذاتها في نفسه ، وقالت له : « هراء ! إنك لن تموت ، انظر إلى هذه الأعمال التي أعددتها لك ، لكي تقوم بأدائها ! »

وهكذا توافرت لراما كريشنا رؤياه الصوفية ، التي كانت إدراكاً مفاجئاً لحقيقة أن الكون مليء بالحياة ، وأن هذه الحياة لا تكف عن تعزيز سطوتها على المادة ، من أجل أن تفسح الطريق أمام قوى الروح .

وهنا نرى كيف أن اللامنتمي يعرف نفسه فجأة ، وأن إدراك هذه الحقيقة يمثل الخلاص النهائي بالنسبة إلى اللامنتمي . وإذا بلغ اللامنتمي

مرحلة راما كريشنا من الإدراك الروحي ، فإنه يفقد غربته ، ويحصل على انتمائه ، ويجد الله .

وعند كولين ويلسون أن راما كريشنا ما كان يستطيع أن يصل إلى هذه المرحلة من الإدراك الروحي لله ، لو لم يحتفظ بحساسية الطفولة طيلة حياته ، أما نحن الغربيين ، وسط حضارتنا المعقدة ، فإننا مضطرون إلى الانخراط في مزاج معين ، ومن ثم فليس تزييفاً أن نقول إن حضارتنا الغربية هي المسؤولة عن انتشار النماذج المادية في الفكر ، أما راما كريشنا الذي يقف في الطرف الآخر من قوس الطيف الحضاري ، فقد كان باستطاعته أن ينفذ إلى أعمق أعماق الإنسان ، وأن يصل إلى إدراك الله . الأمر الذي لم يستطع أن يفعله إلا عدد ضئيل جداً من الغربيين ، فيما عدا أولئك القديسين الذين ظهروا في العصور الوسطى .

أجل ، إنه إذا كان الغروب قد حل على الغرب ، فإن الشروق لا يكون إلا من الشرق !

النمو المتسق للإنسان

ومن الشرق يعرج كولين ويلسون على اليونان ، حيث الفكرة اليونانية وحضارة البحر المتوسط ، وحيث الاحتفال بالإنسان وأعياد البشر ، فنراه يشيد بموقف المتصوف اليوناني الحديث **جوردجيف** ، الذي حاول البحث عن « نظام » يستطيع اللامنتمي من خلاله أن يشفى من أمراضه وأوجاعه باتباع هذا النظام ، وهو النظام الذي سماه « **النمو المتسق للإنسان** » ، والذي أودعه كتابه « **الجميع وكل شيء** » .

فعند جورج جوردجيف أن الفكر لا أهمية له في ذاته ، وإنما تكمن أهميته فيما يحققه من نتائج في الحياة ، ويتألف النظام الذي يضعه من مجموعة من التمرينات والقواعد ، التي لا يعرفها الآن سوى تلاميذ جوردجيف وأتباعه ، وأبرزهم « **ب . د . أوسبنسكي** » صاحب كتاب « **في البحث عن المعجزات** » الذي قص فيه ما حدث له حين كان يتعلم على يد جوردجيف ، هذا الذي يصفه بأنه كان بالنسبة إليه كما كان **سقراط** بالنسبة إلى **أفلاطون** .

ويبدأ جوردجيف بأشد حالات الإنسان ضلالا وضياعاً ، فيذهب إلى أن الإنسان غارق في هذه الضلالات والضياعات ، نائم في أحضان العديد من الأوهام ، إلى الدرجة التي لا يمكننا معها أن نعتبره حياً يعيش ، وإنما هو آلة ، فاقدة الوعي ، أو أداة لا تملك شيئاً من الإرادة الحرة .

ويؤكد جوردجيف على أن البشر نائمون ، وأنهم إنما يسيرون في نومهم دون أن يتوافر لهم شيء من الإدراك الحقيقي ، غير أن الإنسان يستطيع أن يستيقظ من سباته العميق ، وأن يحصل على شيء من اليقظة والحرية ، وذلك عندما يصحو على الحقيقة الأولى التي تقول **بأن أولى خطوات الحصول على الحرية ، هي أن ندرك أننا لسنا أحراراً .**

وعند جوردجيف أن الإنسان متى أدرك هذه الحقيقة ، يكون خلاصه بعد ذلك في اتباع ما سماه نظام « النمو المتسق للإنسان » ، ويتألف هذا النظام من ثلاث طرق ، هي طريقة الفقير ، وطريقة الراهب ، وطريقة اليوجي ، وهذه الطرق الثلاث تقابل الحالات الثلاث من حالات اللامنتمي ، التي أشار إليها كولين ويلسون ، وهي التي تتم فيها محاولات السيطرة على الجسد ، والسيطرة على الوجدان ، ثم السيطرة على العقل ، إلا أن الجديد في نظام جوردجيف أنه يدعي بأن نظامه يمثل طريقة رابعة تحتوي الطرق الثلاث الأخرى .

على أن هذه الحالات الأربع ، ترتبط عند جوردجيف بدرجات الإدراك ، حيث تبدأ أولاها بالنوم ، والثانية بما سماه « **الإدراك اليقظ** » ، أما الثالثة فيدعوها « **التذكر الذاتي** » ، في حين يدعو الرابعة **بالإدراك الموضوعي .**

والذي يخلص إليه كولين ويلسون من شرحه وتحليله لفلسفة جوردجيف الصوفية ، هو وصفها بأنها أكمل وأكثر الفلسفات الوجودية مثالية ، بحيث يقول كولين ويلسون : إن نظام جوردجيف واللامنتمي يسعيان نحو هدف واحد .

دفعة الحياة

وهذا ما عبَّر عنه جوردجيف أبلغ تعبير وأروعه ، حينما قال في كتابه « الجميع وكل شيء » :

« الإنسان مرتبط بكل شيء في حياته ، مرتبط بالخيال ، مرتبط بحمقه ، مرتبط بعذابه ، بل إنه مرتبط بعذابه أكبر من ارتباطه بأي شيء آخر ، ويجب عليه أن يحرر نفسه من هذه الروابط ، لأن الارتباط بالأشياء والتميُّز بها ، يفسح المجال لظهور ألف « أنا » في الإنسان ، ويجب على هذه « الأنا » الكثيرة أن تموت لكي تولد « الأنا » الكبيرة » .

ويخلص كولين ويلسون من هذا كله إلى الهجوم العنيف على موقف الإنسانيين والعلماء والمناطقة ، أولئك الذين يهملون معرفة أنفسهم ولا يهتمون بالجوهر الديني ، الذي هو جوهر الخلاص بالنسبة إلى اللامنتمي .

وهنا نراه يشيد بالكاتب الإنجليزي **برنارد شو** لإدراكه أهمية الإرادة ، وتأكيده على فكرة **دفعة الحياة** ، وسيطرة الروح على المادة ، والعقل على الغريزة ، فإننا نجد ــ كما يقول كولين ويلسون ــ عند برنارد شو كما نجد عند جوردجيف إدراكاً للمجهود العظيم الذي تقوم به **الإرادة الخيرة** ، من أجل التعبير حتى عن أقل ما يمكن من الحرية !

وهو يجعل من برنارد شو عملاقاً من عمالقة الفكر الإنساني ، ويضعه إلى جوار **بسكال والقديس أوغسطين** وسائر الفلاسفة ، أولئك الذين لم ينقذ آراءهم من التشاؤمية إلا إدراكهم الصوفي لإمكانات الإرادة الحرة ، الخالصة من العادة الآلية ، أو التعود الآلي على شؤون الحياة .

فعند هؤلاء جميعاً أن أقوى الحقائق العقلية المطلقة ،

لا تعود صحيحة إلا حين تسندها حقيقة دينية ، وفي ذات الوقت لا يمكن للحقيقة الدينية أن توجد بعيدة عن العقل ، أو بعيدة عن الجهود الذاتي الذي يحاول الوصول إلى هذه الحقيقة .

وعندما يسأل سائل : « أين تذهب الروح بعد الموت ؟ » يجيبه كولين ويلسون قائلاً : « لا حاجة بها إلى أن تذهب إلى أي مكان ، لأن الجنة والجحيم يملآن هذا الكون بصورة عادلة ! » .

الطريق .. طريق الإيمان

وهكذا نجد كولين ويلسون في ختام بحثه عن اللامنتمي ، وعن الحلول التي تضع حداً لمأساة اللاانتماء في عصرنا الحاضر ، وهو ما عبَّر عنه صراحة بقوله : « لست أهدف إلى إيجاد حل نهائي كامل لمشاكل اللامنتمي ، وإنما إلى الاشارة إلى أن هنالك حلولا تقليدية أو محاولات بذلت من أجل الوصول إلى تلك الحلول » .

نجده في ختام هذا كله ، يعلن في « المانيستو » أو التصريح الذي أصدره الأدباء الغاضبون في إنجلترا ، **أن واجب الكاتب يحتم عليه أن يحمل سلاحه ليحارب النزعة المادية المتفشية في حضارة العصر ، وأن يهيب بكل قوى القيم والروح أن تعمل على تثبيت دعائم الإيمان ، كما يعلن في هذا التصريح أنه يقف في صف واحد مع الفلاسفة الوجوديين المؤمنين بالدين في وجه المادية والإلحاد ، وأنه لا سبيل إلى خروج الإنسانية من وعكتها ومحنتها وإحساسها بخواء الحياة إلا عن طريق الإيمان .**

هذا الإيمان هو الذي يساعد إنسان هذه الحضارة على محاربة الإحساس بعبثية الحياة ، وعلى الاعتقاد بأن الحياة لا تخلو من القصد والغاية ، وأن الحية إنما تقصد إلى العلو والتسامي ، وتتغيا إدراك حقيقة الله .

إن اللامنتمي الذي ظل قرابة قرن كامل من الزمان ، يلوح بالمطرقة دون أن يدرك ماذا كان يفعل ، ولا ما الذي كان ينبغي عليه أن يفعله ، قد وضع كلتا يديه على حقيقة كونه لامنتمياً ، وأن الحياة لا تحتمل كثيراً أمثاله من اللامنتمين ، وإلا كان مآله إما الموت أو الجنون .

وربما كان أروع ما في كولين ويلسون هذا الفيلسوف الشاب ، الذي يتميَّز بسعة اطلاعه ورحابة معرفته ، كما يمتاز بحديثه وجرأته في تناول قضايا الأدب والفكر والحياة ، هو نظرته إلى الحياة ذاتها على أنها مشكلة كبرى ، وأن الإنسان ينبغي أن يدرك عمق هذه المشكلة ، وأن يجند كل قواه لحلها الحل السعيد ، الذي يمكنه من التوافق مع الحياة ، والتكيف مع المجتمع .

من هنا كانت نظرة كولين ويلسون إلى الفكر على أنه ربيب الحياة ، ولا يمكن للكاتب المعاصر ، أن يعزل منهج الفكر عن مضمون الحياة ، فالفكر النظري الخالص ، نشاط ذهني أجوف ، كبيت العنكبوت الذي يعجب الناظر بما فيه من دقة الصنعة وبراعة الصانع ، دون أن تكون له أية فائدة ، فهو بيت في مهب الريح ، لا يقوى على الصمود أمام أعاصير الحياة .

ومن هنا أيضاً كانت نظرة كولين ويلسون إلى المفكر المعاصر ، ومدى مسؤوليته بإزاء قضايا المجتمع ومشكلات العصر ، فهو قرن الاستشعار بالنسبة لهذه القضايا وتلك المشكلات ، عليه أن يشخصها وعليه أن يكتب « روشتة » العلاج . وعلى ذلك فهو لا يسوي بين **الأدب** وبين **الجمال** ، وإنما يعتبر الأدب وسيلة يوضح بها الأديب مشكلاته في الحياة ، وسيلة تمكنه من أن يحيا حياة أكثر ثراء وغنى .

أجل إن كتابات كولين ويلسون وأفكاره ، لا تكمن قيمتها فيما تنطوي عليه من جدية وعمق ، ولكن في كونها صرخة من صرخات هذا العصر ، صرخة يطلقها هذا الفيلسوف الشاب في وجه المفاهيم العلمية الجامدة ، والتقاليد الخامدة ، وهي في ذات الوقت دعوة مخلصة إلى الاهتمام بالقيم الروحية في هذا العصر .

نعم ، « إن اعطاء المحل الأول للإرادة ، يمثل طريقة أخرى لإعلان أن الحياة هي عمل من أعمال الإيمان ! » .

وإذا كانت الحياة عملاً من أعمال الإيمان ، وسأل سائل : « في أي شيء هي عمل من أعمال الإيمان ؟ » كانت الإجابة : « في الحياة نفسها ! » .

لهذا كله ولكثير غيره لم يكن الناقد الإنجليزي **فيليب توينبي** مغالياً ، عندما وصف كتاب الغريب أو اللامنتمي لكولين ويلسون بأنه قد أضاف إضافة حقيقية إلى فهمنا للمشكلات الروحية العميقة في القرن العشرين .

وحقاً كان هذا الكتاب « دراسة تحليلية لأمراض البشر النفسية في هذا العصر ! » .

المراجع

١ ــ أنيس منصور : « وداعاً أيها الملل » ، الدار القومية للطباعة والنشر .

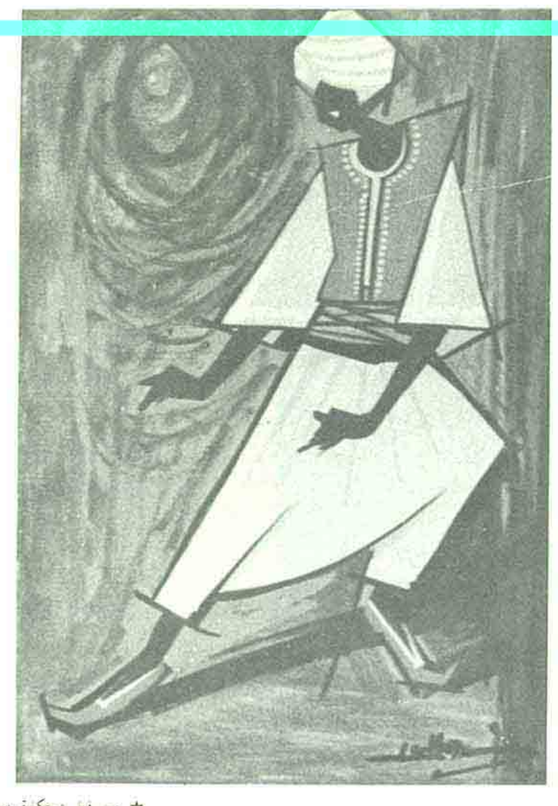
٢ ــ د . رمسيس عوض : « في الرواية الإنجليزية المعاصرة » ، دار المعارف بمصر .

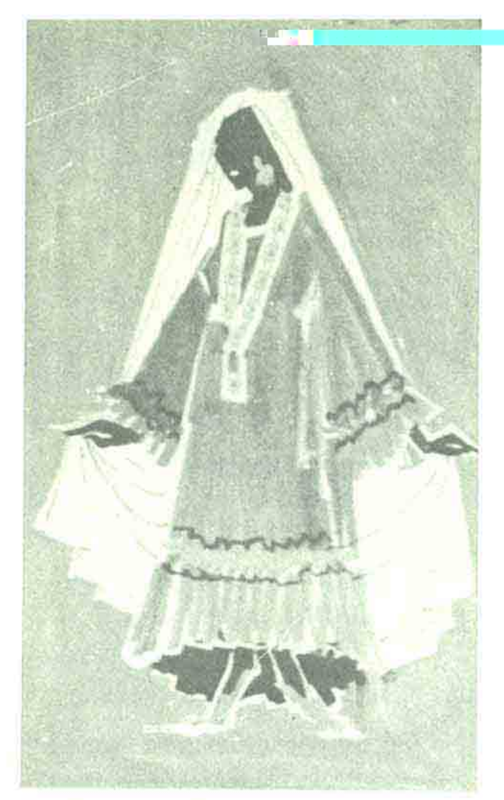
٣ ــ د . فؤاد زكريا : « آراء نقدية في مشكلات الثقافة » ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٤ ــ كولين ويلسون : « اللامنتمي » ، ترجمة : أنيس زكي حسن ، دار العلم للملايين ، بيروت .

٥ ــ د . مصطفى بدوي : « دراسات في الشعر والمسرح » ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (الإسكندرية) .







★ من فيلم «حكاية من النوبة» سكتشات لرقصات وملابس نوبية للفنان عبد الغني أبو العينين ★

التربية الجمالية في عصر التكنولوجيا

بقلم : فوزي سليمان

ما هو دور الفن في عصر التكنولوجيا ؟

لقد اتخذ النصف الثاني من هذا القرن طابعاً علمياً ، حتى عرف بأنه عصر التكنولوجيا ، بما حققه من إنجازات وكشوف في الطاقة ، والفضاء ، والذرة .. إلخ .

وينظر بعض السيكولوجيين إلى أثر الحضارة التكنولوجية على العقلية الإنسانية نظرة تخوف بل ذعر ، إذ لا يبدو لهم منها إلا الجانب المخرب ، ويرون أنه لا وسيلة لإنقاذ البشرية إلا بشحنة كبيرة من العواطف الإنسانية ، ولكنهم متشائمون حول مصير الجيل الحالي ، ويتطلعون إلى إنقاذ الأجيال القادمة ، **فقد غدا الإنسان المعاصر من خلال لقائه اليومي بآلاف الظواهر التكنولوجية خاضعاً لسيطرتها ، وتحكمها ، في حين يتصور أنه يتحكم فيها .**

ولكن هناك — **على الجانب الآخر** — من يقول إن التكنولوجيا ليست إلا من ابتداع الإنسان ، يسخرها لخدمة أغراضه ، وللعمل من أجل تقدمه ، وأن مقاومتها تعني الانتحار .. ويؤكد هؤلاء **دور التكنولوجيا في خدمة الحياة الروحية للإنسان من خلال مخترعاته مثل السينما والتلفزيون** ، فإن هاتين الوسيلتين تستطيعان أن تقدما الزاد الروحي للإنسان المعاصر من خلال برامجها عن الفن .. **والفن نفسه تحتاج إليه التكنولوجيا .**

فالعمل العلمي والتكنولوجي كعمل فيه ابداع وابتكار يحتاج إلى الخيال . والمعرفة الفنية يحتاج إليها صاحب المعرفة العلمية والمنطقية ، مهما كانت مهنته . ويقول هؤلاء إن العلم يتجه إلى الفن ، والعالم المثقف الواعي يقوم الفن قدرة إبداعية أقوى ، ونحسساً أعمق بمشاكل

عصره ، تتيح له قدرة على علاجها ، فهو ــ مثلاً ــ أكثر وعياً بمخاطر الطاقة الذرية ، أو تلوث البيئة وغيرهما من المشاكل التي تعرض بها التكنولوجيا عالمنا .

أهمية التربية الجمالية

ومن هنا كان الاهتمام بالفنون والتربية الجمالية في عصر التكنولوجيا ، فإن الإنسان الواعي بقيمة الفن ــ ذلك التراث العظيم الذي خلفته أجيال متلاحقة في تطور البشرية ــ يكاد يكون أكثر إيجابية في الاسهام الفعّال لخدمة مواطنيه والإنسانية عامة ، والتصدي للسلبيات في بيئته وفي العالم .

وقد وجد أن السينما ــ وبالتالي التلفزيون كل بخصائصه ــ يستطيع أن يقوم بدور كبير في نشر التربية الجمالية ، وكل منهما من مستحدثات العلم والتكنولوجيا .

ولكن .. لماذا السينما والتلفزيون ؟

.. أليس هناك الكتاب ، والمتحف ، والمسرح ، وقاعات العرض ، وغيرها من الوسائل ؟

إن الشاشة في مقدرتها أن تقدم لك كل الفنون والمعارف ــ كبيرة كانت أم صغيرة ــ وهي تستطيع أن تحضر كل أشكال الفن إلى أعداد ضخمة من المشاهدين . **وتملك الشاشة إمكانات عالية وفريدة للتأثير على مشاعر المشاهدين** . كما أن الثقافة البصرية الموجهة للجماهير من خلال الشاشة تجعل الناس أكثر تقبلاً لأشكال أخرى من الفن .

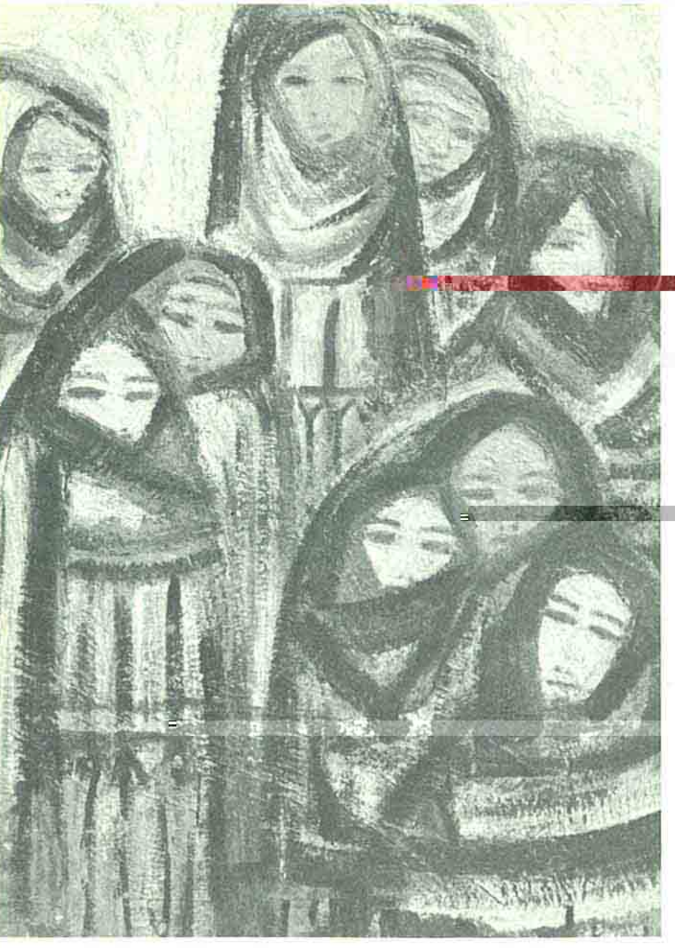
وأذكر هنا ــ كمثال ــ برنامج المسرح ، أو الموسيقى أو الفن التشكيلي ، الذي يقدم على شاشة التلفزيون ، من المؤكد أن هذه البرامج قد ساعدت على توسيع رقعة متذوقي هذه الفنون وتقريبها إلى الناس العاديين ، بعد أن كانت بعيدة عنهم أو « مترفعة » عليهم من قبل .

فيلم الفن وليس الفيلم الروائي

وحينما **نتحدث عن فن الفيلم ، فإن التفكير ينصرف عادة إلى الفيلم الروائي** . ولا شك أن الأعمال الروائية العظيمة ، تعتبر وسيلة للتربية الجمالية ، لكنها قليلة نوعاً . وإذا كرس فيلم روائي لحياة رجل من رجال الفن ، رساماً أو مثالاً أو موسيقياً ــ وهذا أيضاً نوع قليل العدد ــ فإنه يركز على الأحداث حول الشخصية لا على أعماله الفنية ، مما يقلل من قيمة الفن الأصلي الذي يصل إلى المشاهد ، علاوة على مخاطر قيام ممثل معين بتمثيل دور الفنان ، **فغالباً تحجب شهرته أهمية العمل الفني .**

لهذا فنحن نقصد بفيلم الفن ، الفيلم غير الروائي ، الفيلم الذي يستغل كل الوسائل الممكنة لوسائل التعبير المتاحة لتقديم جوهر الفن . **والفيلم هنا ليس مجرد نسخ للعمل الفني** ، بل يكشف عن أبعاده ، ويعطي له حياة جديدة ، ويفسر فلسفته . إنما فيلم الفن يجب أن يكون هو نفسه عملاً فنياً ، زاخراً بالمشاعر الإنسانية التي تهز نفوس المشاهدين ، ويجعل من العمل الفني شيئاً عزيزاً ومثيراً ومفهوماً وهاماً بالنسبة لهم ، **يثير فيهم الإحساس العميق بقيمة الفن ، وينمي فيهم مثاليات جمالية وأخلاقية يعملون على تطبيقها في الحياة .**

إن إمكانات الشاشة الضخمة تتيح لنا أن نزور أعظم متاحف العالم ، وأهم مراكز الفن ، وأن نعايش كبار الفنانين العالميين من غير أن نترك بيوتنا . إن النهضة العلمية والتكنولوجية تقرب إلينا روائع الفن العالمي في مختلف أشكاله وأساليبه ، تدلف بنا إلى أعماق التاريخ ، وأسرار الماضي ، تكشف وتحلل ، وتجيب عن تساؤلاتنا ، وتشبع طموحنا إلى المعرفة ، وترفع من مستوى التربية الجمالية للشعوب ، وتبث معنى التفاهم بينهم ، كما أنها تستطيع أن توصل عن طريق أفلام الفن مختلف



★ ثلاثيات نوبية للفنان رفعت أحمد ★

● هل يضيع الفن في عصر التكنولوجيا

● إن العلم يتجه إلى الفن والعالم الواعي

المعارف والعلوم الإنسانية . ومن هنا يرتفع صوت بعض المربين بإدخال مادة الفن ، واستخدام أفلام الفن في المدرسة لا خارجها فقط .

التربية الفنية .. أيضاً !

يقسم البعض أشكال أفلام الفن إلى أفلام تتناول فناناً واحداً ، وأفلاماً تختص فترة زمنية معينة ، وأفلاماً تتناول مجموعات فنية من مختلف الأنواع ، كما في فيلم عن متحف اللوفر ، أو قصور آل هابسبورج في فيينا ، أو قصور حكام فلورنسا أو روما بما فيها من رسوم ونحت وأثاث ، وأسلحة ، وجواهر .. الخ .

وهناك من يشير إلى أفلام عن مذاهب معينة ، أو هي نفسها لها اتجاهات معينة ، فهناك أفلام سوريالية تتناول موضوعها بطريقة خاصة ساخرة أحياناً قد يعترض عليها البعض لما تحدثه من تشويه في العمل الأصلي ، **فهي إذن لا تخدم** العمل الفني ، وهناك أفلام شاعرية غالباً تأثيرية Impressionistic .

على أي حال فإن كلاً من فناني الفيلم : **كاتب السيناريو ، والمخرج ، والمصور** ، يحاول أن يبدع له صورة تعبر عن رؤيته للواقع ، يقدم بها قيمة جمالية تثري الموضوع بعناصر لم تكن في خاطر الفنان الأصلي ، وذلك بفضل تكنولوجية



★ «النوبة» لوحة زيتية للفنانة مارجوفييون ★

ـا ، أم أن التكنولوجيا يمكن أن تكون في خدمة الحياة الروحية للإنسان ؟

ـي المثقف يقدم للفن قدرة إبداعية أقوى ، وتحسسًا أعمق بمشكلات عصره .

الفن . لكن ـ لا شك ـ أن المخرج يظل هو الفنان المسؤول عن تكامل العمل الفني .

فنان رائد

وقد آثرت تقسيماً آخر لأفلام الفن ، وصلت إليه من خلال نقاش لأعمال المخرج المصري **سعد نديم** في نطاق أفلام الفن . وأركز على أفلام سعد نديم ـ أساساً ـ

لأنني وجدت في استعراض لمجموعة أفلام الفن التي أنتجت في مصر في السنوات بين ١٩٥٧ و ١٩٧٦ م ، أن هذا الفنان يستأثر بإخراج وإنتاج الغالبية العظمى من هذه الأفلام ، من خلال أعماله الفردية ومن خلال موقعه كمدير للمركز القومي للأفلام التسجيلية التابع لوزارة الثقافة . وقد تم إنتاج ٤٥ فيلماً من أفلام الفن في هذه

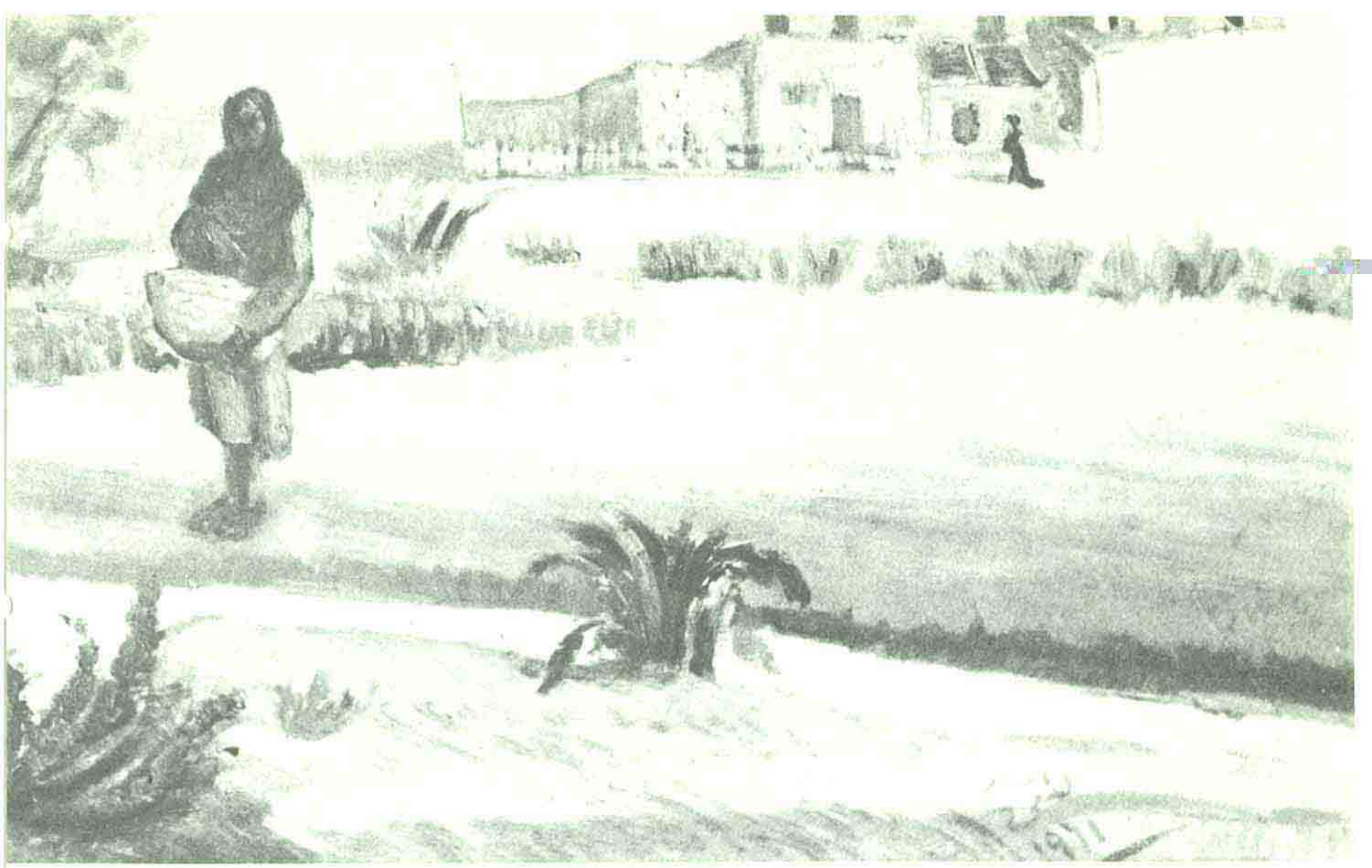
الفترة ، وهو عدد غير كبير لكنه دلالة ـ على أي حال ـ على الاهتمام بهذه النوعية من الأفلام حتى تحقق رسالتها في التربية الجمالية للناس . **ومثل هذه الأفلام تهتم بها كل الدول المتحضرة ، وتقام لها المهرجانات الدولية الخاصة ، وتعقد لها منظمة اليونيسكو المؤتمرات والندوات الدولية .**

أفلام عن فنان واحد وأعماله

وفي مثل هذا النوع يختلف تناول الفنان ، فقد يحاول أن ينقل إلينا حياته من خلال أعماله ، أو أعماله من خلال مراحل حياته وتطورها ، أو يمزج بين هذا وذاك . وقد يحاول أن يربط هذه الأعمال الفنية بالأحداث الاجتماعية والسياسية لبلده . وفي كل حالة تختلف نظرتنا إلى الفيلم .

مثلاً قسم **سعد نديم** فيلمه عن « **راغب عياد** » إلى ثلاثة أقسام تبعاً للمراحل الثلاث التي اجتازها هذا الفنان مبتدئاً **بالحياة في الريف المصري** ، ثم **الحياة الشعبية** ، ثم **الحياة في الصحراء** .. وفي كل هذه المراحل كان دائماً مرتبطاً ببيئته ، سواء في الريف أو المدينة أو الصحراء .

وفي فيلمه عن « **الفنان أنور عبد المولى** » ربط المخرج بين أعمال الفنان والأحداث والظروف التي مرت بها بلاده ، كما في تعبيره عن الحرب ومخاطرها في نحته للأم وهي تحمل طفلها وتهرول فزعة أثناء غارة جوية خلال الحرب العالمية الثانية . وعن طريق الإضاءة وتحريك (الكاميرا) يقدم الفيلم رؤيته ، محاولاً أن يستشف المعاني التي قصدها الفنان ، ومن هنا لا بد أن يقوم بتعمق حياته والجو الذي عاش فيه .



★ «أبو سنبل الشرق» من أعمال الفنان لطفي الزين ★

● إن النهضة العلمية والتكنولوجية تقرب إلينا روائع الفن العالمي في مختلف أشكال

● التربية الجمالية وسيلة فعالة في نف

هكذا فعل **سعد نديم** في أفلامه عن الفنانين الذين تعرض لهم، وهكذا فعل **ولي الدين سامح** في فيلمه عن «**المثال مختار**»، حيث أبرز **العلاقة بين الفنان والقرية**، **وإحسان فرغل** في فيلمه عن «**الفنان ناجي**»، الذي أبرز فيه تعبير **محمد ناجي** عن الحياة في بلاده، وهذا ما نلمسه أيضاً في فيلم **أحمد كامل مرسي** عن «**محمود سعيد**»، حيث عرض لحياته من خلال أعماله، وأثر البيئة في فنه، أو في فيلمه عن «**يوسف كامل**» الذي حلل فيه أعماله وعلاقتها بالبيئة حوله.

أفلام عن مجموعة من الفنانين في موضوعات شتى

ونقدم هنا مثالا لفيلم سعد نديم عن «**الفن المصري المعاصر**».. أو «**التفرغ في التصوير والنحت**» وهو عن أعمال مجموعة من الفنانين اختارتهم الدولة لمنحة التفرغ لماضيهم الفني أو لما ينتظر لهم من مستقبل، فيقضون سنة أو أكثر، مستريحي البال في مرسمهم. وقد أقامت وزارة الثقافة معرضاً لفناني التفرغ هؤلاء، وعددهم عشرون. **عشرة من الكبار وعشرة من الشبان..**

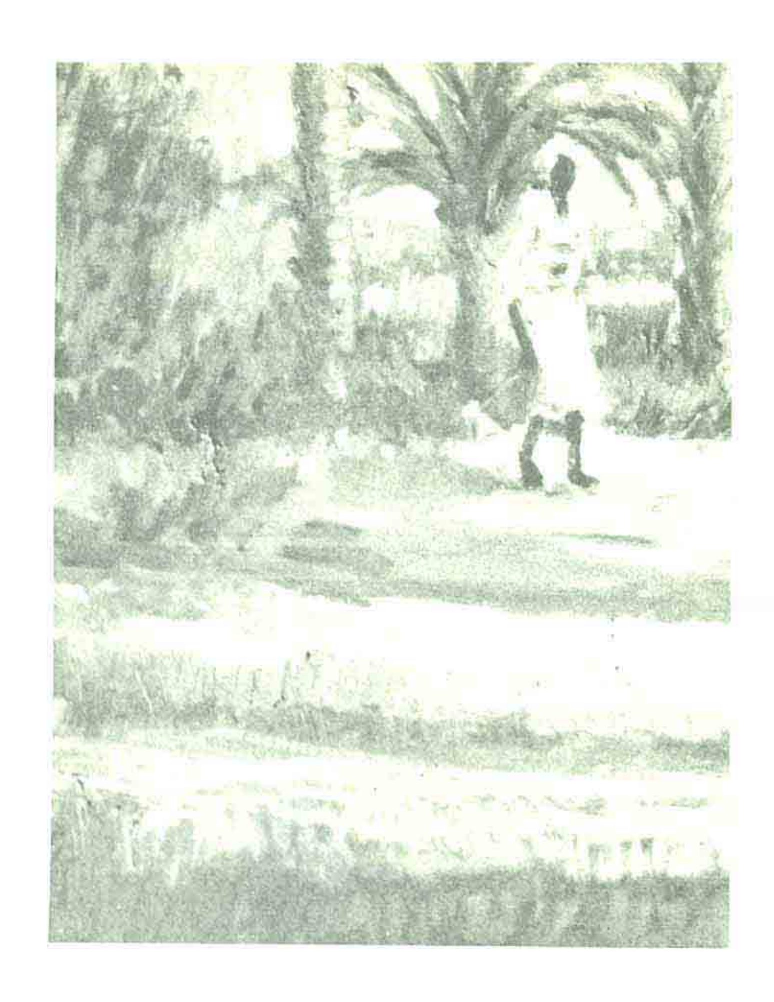
كيف يستطيع فيلم أن يجمل أعمال عشرين فناناً، كل منهم له طابعه، في عدد محدود من الدقائق؟

لقد شاهدنا أفلاماً من هذا النوع لم يوفق فيها أصحابها، بسبب زحمة الأعمال الفنية المختلفة، فلم تف إلا بالغرض الإعلامي أو الإخباري، وانتفت عنها القيمة الفنية. أما بالنسبة لفنان دارس ومتذوق للفن التشكيلي مثل **سعد نديم**، فقد حالفه التوفيق وقدم لنا فيلماً، عرض فيه لكل فنان بطابعه المميز، فقد قضى وقتاً كافياً لدراسة كل فنان، في محاولة لتلخيصه، وإبراز النقطة الرئيسية في عمله. وهي بلا شك عملية مجهدة تحتاج لصبر وثقافة فنية يعينان على التعمق وتكثيف كل فنان في دقيقة واحدة معبرة.

أفلام عن أعمال لعدة فنانين في موضوع واحد

وهو نوع معهود حيث يشترك عدد من الفنانين ــ أو يجمع المخرج بين أعمال عدد من الفنانين ــ في التعبير عن موضوع معين، فني أو سياسي. وقد شاهدنا في كثير من مهرجانات السينما الدولية أفلاماً من هذا النوع حول قضايا الحرب أو السلام، استغلت في التعبير عن اللوحات الفنية لعدد من الفنانين من بلد واحد أو من عدة بلاد.

ويحضرني هنا فيلم عن ستة فنانين مصريين يعبر كل منهم عن كيفية تناوله لموضوع المرأة في لوحاته، كل بأسلوبه الخاص. وخرج لنا فيلم «حواء في أعمال



ه وأساليبه، وترفع من مستوى التربية الجمالية للشعوب

ـل الثقافة المعاصرة إلى الشعب

الفنانين » نموذجاً طيباً لموضوع واحد من وجهة نظر أكثر من فنان ، وهو من إخراج سيدة هي **منى مجاهد** .

وكان فيلم « **حكايات من النوبة** » لسعد نديم أول فيلم يعتمد على اللوحات الفنية (**سنة ١٩٦٣ م**) ، وقد تناول موضوع النوبة بعاداتها وتقاليدها كما عبر عنه مجموعة من الفنانين زاروا النوبة قبل أن تغرقها مياه السد العالي ! وأخذ المخرج (٤٠٠) صورة للوحات الفنانين ، ثم اختار منها مائتين ، نسج منها السيناريو المطلوب ، معتمداً على حركة الكاميرا ، حتى تكونت من مجموعة الصور قصة تروي عادات النوبيين في الزواج وفي الموالد على نغمات الحركات الراقصة .

وأذكر فيلماً شاهدته في أحد المهرجانات الدولية ، وهو فيلم عربي فلسطيني باسم « **شهادة الأطفال الفلسطينيين في زمن الحرب** » صور فيه مخرجه « **قيس الزبيدي** » مجموعة من رسومات الأطفال الفلسطينيين في بعض مخيمات اللاجئين الفلسطينيين بلبنان ، تعبر عن تخيلهم لوطنهم الذي تركوه ولم يروه بالعين ، وعن حياتهم في المخيمات ، وعن الكفاح الفلسطيني من أجل التحرير . . وزاد المخرج على لوحات الأطفال بتصويرهم ـ **أي الأطفال** ـ وهم يرسمون . . وهم يلعبون بين المخيمات . ونفس هذه الفكرة كانت موضوع الفيلم اللبناني « **متناثرون مع الرياح** » إخراج **جاك ميدفو** . وقد وجدت أن الأفلام عن الأطفال وعن رسومهم وسيلة تستطيع أن تؤثر في الرأي العام العالمي بإنسانيتها .

ويتخذ المخرج **أحمد فؤاد درويش** من أعمال الفنانين الفلسطينيين **إسماعيل شموط** ، **وتمام الأكحل** في الرسم ، **ومصطفى الحلاج** في النحت ، موضوعاً لفيلمه « **وجوه من القدس** » ، الذي كان وسيلة للدعوة للقضية الفلسطينية في المحافل الدولية . وكان هذا أيضاً هدف المخرج **أنور الشافعي** في فيلمه « **فلسطين** » الذي دعا للقضية من خلال رسوم في معرض عن فلسطين بصور الكفاح ويؤكد حقوق الفلسطينيين المشروعة .

أفلام عن عمل فني واحد

وهذا أصعب الأنواع لأن الفنان السينمائي يحصر نفسه بنفسه في إطار لوحة فنية واحدة أو عمل فني معين يحاول عن طريقه أن يعبر عما قصده الفنان . ومن أشهر أفلام هذا النوع فيلم فرنسي اقتصر موضوعه على ملعقة واحدة في شكل فتاة نائمة ، برع الفنان الفرنسي في تصويرها من مختلف جوانبها مستغلاً كل إمكانات الضوء واللون ويذكر محبو الفن لوحة **جورنيكا** المشهورة للفنان الشهير **بابلو بيكاسو** وهي لوحة واحدة ولكنها مشحونة بالمشاهد المعبرة . ولعل أقرب مثال عربي لها لوحة للفنانة **تحية حليم** تمثل صبياً صغيراً يصرخ ويداه مرتفعتان إلى أعلى . وهي تصلح لفيلم سينمائي قائم بذاته ، لم يتح له أن يتحقق !

ولكن فيلماً آخر تحقق ـ على يد **سعد نديم** ـ عن لوحة واحدة للفنان **محمد راتب صديق** باسم « **في موكب السلام** » أراد فيها الفنان أن يعبر عن إحساسه بالرغبة العارمة في السلام رغم كل التضحيات والآلام في سبيل هذا الأمل المنشود ، وجاء تعبيره مستمداً من عالمه الخاص الذي تغلب عليه قصص الكتب المقدسة ، فصور موكباً كبيراً من النساء ليس له أول ولا آخر . . كلهن فلاحات كما يبدو من زيهن الغامق ، وبعضهن يحمل أطفالا . . والجميع ينظرن إلى أعلى . . وأيديهم ترتفع في نفس الاتجاه ، في حين أن الأقدام أسفل اللوحة تتحرك بما يوحي بموكب يسير قدماً . وكل الوجوه تعبر عن الأسى والحزن ، فقد دفعت ولا تزال تدفع الثمن في سبيل السلام .

ولقد استمتعنا باللوحة كما استمتعنا بالفيلم الذي تحركت فيه الكاميرا ـ بحساسية ـ بين أجزاء اللوحة المختلفة ، بحيث نحس ـ نحن المشاهدين ـ بتحرك الموكب إلى الأمام فيما هو محصور وجامد داخل اللوحة .

ولا يعني هذا التقسيم الذي أثرناه لأفلام الفن ، أن ننحصر داخل إطار جامد لا نخرج عنه ، فهناك أيضاً في نطاق أفلام الفن ، للفنان سعد نديم ـ أيضاً ـ يمكن أن تندرج أفلامه عن الآثار المصرية ، وعن الفنون الشعبية ، فقد أخرج أفلاماً عديدة عن الكشوف الأثرية في الجيزة وسقارة ، وعن معابد ادفو وكوم امبو وأسوان والأقصر ، وأخرج ـ أخيراً ـ أكثر من فيلم عن مراحل إنقاذ معابد فيله ، عرضت في المحافل الدولية تأييداً لدور التضامن العالمي ـ **عن طريق هيئة اليونيسكو** ـ في إنقاذ هذا التراث الإنساني . وفي الفنون الشعبية أخرج أفلاماً ـ لحساب التلفزيون العربي ـ عن الصناعات الشعبية في الجلود والذهب والنحاس والزجاج والفخار .

ولا بد من الإشارة إلى أفلام الأخوين **عبد القادر التلمساني** ـ مخرجاً ـ **وحسن التلمساني** ـ مصوراً ـ عن الفن العربي والإسلامي في فيلمهما « **زخارف عربية** » و « **فن الخط العربي** » ، وعن الفن التلقائي بقرية الحرانية في فيلم « **ستوديو الفن في القرية** » ، وكذا فيلمهما عن رسوم فناني الحملة الفرنسية في كتاب « **وصف مصر** » .

ويعد التلمسانية حالياً لفيلم تسجيلي كبير عن الحضارة والفنون الإسلامية بمناسبة مرور أربعة عشر قرناً على التاريخ الهجري ، وبداية القرن الخامس عشر الهجري .

ومثل هذه الأفلام التي أشرنا إليها وغيرها ، تقوم كوسيلة فعالة في التربية الجمالية ، ونقل الثقافة المعاصرة إلى الشعب عن طريق الصورة المشوقة ، من أجل إخصاب مشاعره ، وإثراء وجدانه ، وإشباع حاجاته النفسية ، والروحية ، فليس بالتكنولوجيا وحدها يعيش إنسان هذا العصر .

بسم الله الرحمن الرحيم

نتيجة مسابقة أرامكو للأطفال في الرسم والتصميم

وقع اختيار لجنة التحكيم على إحدى وأربعين لوحة (بزيادة إحدى عشرة لوحة عما أعلن سابقا) من بين ما يزيد على ألف وثلاثمائة لوحة من الرسوم الجيدة التي تنم عن الكثير من الأصالة والابتكار.

وإن دل ذلك على شيء، فإنما يدل على المستوى الطيب الذي وصل إليه أطفال مملكتنا الحبيبة في هذا المضمار. وقد تم الاتصال برقيا بأصحاب اللوحات المختارة، كما تم تسليم معظم الجوائز.

من أجل ذلك فإنه يطيب لإدارة العلاقات العامة بأرامكو أن تعرب عن بالغ شكرها لجميع الذين شاركوا في المسابقة وللأساتذة والمسئولين في المدارس في جميع أرجاء المملكة لمساهمتهم في إنجاح هذه المسابقة وإظهارها بهذا المظهر الجيد، كما تجدد الدعوة لجميع الاطفال في المملكة للمشاركة في المسابقة القادمة التي سيعلن عنها في بداية العام الدراسي القادم، والله ولي التوفيق.



فيما يلي أسماء أصحاب اللوحات التي اختارتها اللجنة

الاسم	المدرسة
أحمد محمد البكري داود	مدرسة أشبيلية المتوسطة بالخبر
أسامه احمد عبد الحميد دياب	مدرسة صلاح الدين المتوسطة ببريدة
أيمن عبد الرحيم ميمني	مدرسة أبي بكر الصديق الابتدائية بمكة المكرمة
حسام محمد رشاد هندام	مدرسة الجاحظ الابتدائية بالطائف
حسان عبد الرحمن محمد صالح	مدرسة قيس بن عاصم الابتدائية بالطائف
حسين عبد الرحيم حسين النصر	مدرسة ابن خلدون الابتدائية بسيهات
جمال عبد الله الهويشل	مدرسة الفيصل المتوسطة بالدمام
جميلة عامر محمد حمد الصيعري	المدرسة المتوسطة الثانية للبنات بالخبر
حميدة منصور السنان	المدرسة الأولى للبنات بالقطيف
داليا محمد أبو اليزيد محمود	مدرسة البنات بتثليث - بيشة
رشا أحمد قاسم بيتمة	مدرسة الأبناء الابتدائية بالرياض
رشا عبد الرحيم مراد	مدرسة منارة الرياض بالرياض
سعاد الجريدات	معهد التربية الفكرية للبنات بالدمام
سعد عبد الله الهويمل	مدرسة مكة المكرمة المتوسطة بالرياض
سعيد حسين القحطاني	متوسطة الفرعين بخميس مشيط
صفية أمير حسين محمد	المدرسة السادسة عشر الابتدائية بالمدينة المنورة
عادل علي مريزق الحربي	مدرسة الدمام المتوسطة بالدمام
عبد الجليل شبيب بدر الشبيب	مدرسة أم الحمام المتوسطة بالقطيف
عبد الرحمن ابراهيم الزحيفي	مدرسة متوسطة ابن الرومي بالرياض
عبد الرحمن صالح عبد العزيز الفج	مدرسة ابن القيم الابتدائية برحيمة
عبد الله جابر الهندي	مدرسة بلال بن رباح الابتدائية بتبوك
علوي جمعان باتيس	مدرسة الفتح الابتدائية بجدة
علي عبد الرحيم حسين النصر	المدرسة النموذجية المتوسطة بسيهات
فيصل ظافر محمد العمري	مدرسة خالد بن الوليد الابتدائية بالطائف
ماجد عثمان فهد العبد الله	مدرسة الدمام المتوسطة للبنين بالدمام
مازن محمد صالح المغلوث	مدرسة العدامة المتوسطة بالدمام
ماهر عبد الرحمن العبد الكريم	مدرسة متوسطة العليا بالرياض

الاسم	المدرسة
محمد عبد الجليل على الرميح	مدرسة الأندلس بسيهات
محمد علي محمد اليامي	مدرسة زيد بن حارثة الابتدائية ببقيق
محمد وائل أحمد البابي	المدرسة المتوسطة النموذجية بالخبر
مروة أحمد دياب	المدرسة العشرون الابتدائية للبنات ببريدة
مي سالم مبارك الدوسري	أرامكو - الظهران
نانسي سعيد عطية	المدرسة الثانوية السادسة بجدة
نبيل أحمد بوبشيت	المدرسة المتوسطة بالدمام
نوف حمد العبدلي	مدارس الرياض الأهلية بالرياض
هشام محمد عبده رجب	مدرسة الدمام المتوسطة بالدمام
هويدا محمد أبو سبعة	المدرسة السادسة والعشرون للبنات بالرياض
هيثم طالب الملايو	مدرسة الملك فيصل الابتدائية للبنين بجدة
ياسر أحمد نزار البابي	المدرسة المتوسطة النموذجية بالخبر
ياسمين فيصل محمد عناني	مدارس الرياض الأهلية بالرياض
يحيى صالح محمد علي	مدرسة الوفاق الابتدائية بأبها



بقلم : الفريق يحيى عبد الله المعلمي

إبراهيم بن العباس الصولي

الأديب الشاعر

أشخاص الرواية

(إبراهيم الصولي – جعفر ابن رفعة المغني – الخليفة المتوكل – أبو العيناء – حاجب – أحمد بن يحيى ثعلب) .

المنظر

(في منزل إبراهيم بن العباس وعنده جعفر بن رفعة المغني) .

جعفر : **إيه يا إبراهيم لماذا أرسلت في طلبي ؟**

إبراهيم : لقد أرسلت في طلبك يا جعفر لأسمعك بيتين قلتهما في أمير المؤمنين المتوكل على الله .

جعفر : **وما هما يابن العباس ؟**

إبراهيم : اسمعهما يابن رفعة وإذا ذهبنا إلى أمير المؤمنين فغنهما بين يديه .

جعفر : **سأفعل .**

إبراهيم : هذان هما البيتان :

ما واحد من واحد　　　أولى بفضل أو مروة
ممن أبوه وجده　　　بين الخلافة والنبوة

جعفر : **إن هذين البيتين جميلان وسيسر بهما المتوكل كثيراً .**

إبراهيم : إنه ليسرني أن أسمع هذا الرأي منك فإنك لناقد ومتفنن .

جعفر : **أرجو أن تسمح لي أن أسألك عمن تلقيت الشعر والأدب .**

إبراهيم : لعلك تنكر ذلك لأن جدنا صول كان تركياً وكان يحكم ولاية جرجان ، وقد دخل في الإسلام على يد **يزيد بن المهلب** لما فتح جرجان وأصبح من رجال يزيد .

جعفر : **نعم فهذا ما يدعو إلى الاستغراب .**

إبراهيم : لك الحق ولكن جدي محمد بن صول كان من رجال



الدولة العباسية ، وكاتبها ، وكان يكنى أبا عمارة ، وقد قتل في الفتنة التي قامت بين عبد الله بن علي بن عباس وابن أخيه إلى جعفر المنصور .

جعفر : ولكن هذا لا يكفي لتمكين عروبتك أنت وأخوك عبد الله .

إبراهيم : انتظر حتى أكمل لك الموضوع .

جعفر : قل فإني مصغ إليك .

إبراهيم : لقد تزوج أبي : العباس بن محمد بن صول أخت العباس ابن الأحنف ، وهو كما تعلم شاعر رقيق الحاشية جيد الشعر ، وكانت أخته أمي ضليعة في اللغة والأدب وإن لم تكن شاعرة مثل أخيها فمن هنا اقتبسنا الشعر والأدب .

جعفر : الآن عرفت السر ولقد أعجبني أسلوبك في نقد الشعر .

إبراهيم : ماذا أعجبك فيه ؟

جعفر : إنك تقول القصيدة ثم تنقح أبياتها فتسقط منها



لما تراه رديئاً ، ثم تسقط منها ما تراه أقل جودة ، وتسقط ما سبقك الشعراء إليه من معاني ، ثم لا تبقي من القصيدة إلا بيتاً أو بيتين .

إبراهيم : نعم ولذلك فإنه لا يروى لي من الشعر إلا البيت أو البيتان .

جعفر : هل تحرص على قول الشعر ؟

إبراهيم : إني كاتب أديب ولا أزعم أني شاعر ولكن قد يقع لي بعض الشعر مصادفة أثناء كتابتي بعض الرسائل .

جعفر : اذكر لي نموذجاً من ذلك .

إبراهيم : كتبت مرة رسالة إلى أحد أصدقائي قلت فيها :

ولكن الجواد أبا هشام ... وفي العهد مأمون المغيب

ولم أكن أقصد أن أنظم ذلك شعراً ولكنه أصبح بيتاً مستقيم الوزن .

جعفر : إذن فدعبل الخزاعي الشاعر على حق إذ يقول : لو تكسب إبراهيم بن العباس بالشعر لتركنا في غير شيء .

إبراهيم : ما الذي سمع من شعري حتى قال ما قال ؟

جعفر : لقد أنشدته قولك :

إن امرأ ضن بمعروفه ... عني لمبذول له عذري

ما أنا بالراغب في عرفه ... إن كان لا يرغب في شكري

إبراهيم : إني لأشكره على حسن ظنه .

جعفر : ولقد قرأت لك رسالة تشفع فيها لبعض أصدقائك وتقول فيها : إن فلاناً ممن يزكو شكره ويحسن ذكره ويعني أمره ، والصنيعة عنده واجدة موضعها وسالكة به طريقها :

وأفضل ما يأتيه ذو الدين والحجى

إصابة شكر لم يضع معه أجر

إبراهيم : إن العبارة الأخيرة في هذه الرسالة بيت شعر ولكني لم أقصد نظمه وإنما ورد عفواً على لساني فجرى به قلمي .

جعفر : حقاً إنك لشاعر مطبوع ولو تقصدت نظم الشعر لنظمت القصائد الطوال ولكنك اخترت الكتابة .

إبراهيم : هذا حسن ظن منك .

جعفر : والآن أرجو أن تسمح لي بالخروج وسنلتقي في مجلس المتوكل على الله أمير المؤمنين . أستأذن (يخرج) .

(يدخل خادم ويقول)

الخادم : إن أبا العيناء بالباب .

إبراهيم : ائذن له فليدخل (يدخل أبو العيناء) .

أبو العيناء : السلام عليك يا إبراهيم ورحمة الله وبركاته .

إبراهيم : وعليك السلام يا أبا العيناء ومرحباً بك .

أبو العيناء : لقد اشتقت إليك فجئت لزيارتك وأرجو أن لا أشغلك عن شيء .

إبراهيم : أهلاً وسهلاً بك ، وإذا سمحت لي فإني مكلف بتحرير رسالة لأمير المؤمنين المتوكل على الله وسآخذها إليه بعد قليل فاسمح لي بأن أكتبها ثم أحررها وسنخرج سوياً إلى مجلس أمير المؤمنين المتوكل .

(إبراهيم يقرب دواة وقلماً من البوص ويبريه ويحسن بريه وقطعه ثم يبدأ الكتابة ـ تسقط نقطة كبيرة من الحبر على الورق ـ يمسح إبراهيم النقطة بكمه) .

أبو العيناء : عجباً لك يا إبراهيم مع ظرفك ولطفك تمسح الحبر بكمك .

إبراهيم : لا تعجب يا أبا العيناء فالمال فرع والقلم أصل ومن هذا الحبر الأسود جاءت هذه الثياب البيض والأصل أحوج إلى المراعاة من الفرع .

أبو العيناء : لك حق فيما قلت :

(بعد تفكير)

إبراهيم :

إذا ما الفكر ولد حسن لفظ
وأسلمه الوجود إلى العيان

ووشاه فنمنمه أديب
فصيح في المقال بلا لسان

ترى حلل البيان منشرات
تجلى بينها صور المعاني

أبو العيناء : صدقت يا إبراهيم .

(يستمر إبراهيم في الكتابة وبعد أن ينتهي منها يخاطب أبا العيناء) .

أبو العيناء : هيا بنا إلى مجلس أمير المؤمنين فلعله ينتظرنا الآن .

★ ★ ★

منظر آخر

(المتوكل في مجلسه وعنده أحمد بن يحيى الملقب بثعلب وجعفر بن رفعة المغني) .



(إبراهيم وأبو العيناء يصلان إلى الباب ويخاطبان الحاجب) .

إبراهيم وأبو العيناء : استأذن لنا على أمير المؤمنين المتوكل على الله جعفر .

الحاجب : إن عنده أحمد بن يحيى الملقب بثعلب وجعفر بن رفعة .

(يدخل الحاجب)

الحاجب : إن سيدي إبراهيم بن العباس الصولي ، وأبا العيناء الشاعر يطلبان الإذن بالدخول .

المتوكل : ائذن لهما .

الحاجب : تفضلا بالدخول .

(يدخلان)

أبو العيناء وإبراهيم : السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

المتوكل : وعليكما السلام ورحمة الله ـ اجلسا .

(يجلسان)

المتوكل : إيه يا إبراهيم هل أعددت الرسالة ؟

إبراهيم : نعم يا سيدي ، ها هي ذي معي (يخرج الرسالة) .

المتوكل : اقرأها علي :

(يقرأ إبراهيم)

إبراهيم : (وإن عند أمير المؤمنين في أمرك أناة فإن لم تغن عقب بعدها وعيداً فإن لم يغن أغنت عزائمه) .

المتوكل : أعد قراءة ما كتبت .

(يعيد إبراهيم قراءة الفقرة مخاطباً ثعلب)

المتوكل : ماذا ترى يا أبا العباس أليس في هذه العبارة بيت شعر ؟ .

ثعلب : بلى يا سيدي إنه في قوله :

أناة فإن لم تغن عقب بعدها
وعيداً فإن لم يغن أغنت عزائمه

أبو العيناء : نعم إنه بيت شعر .

المتوكل : هل قصدت أن تنظمه شعراً ؟ .

إبراهيم : كلا يا سيدي وإنما وقع لي ذلك عفواً بدون قصد .

المتوكل : إن الشعر ليجري على لسانك دون قصد وقد لاحظت ذلك في كثير من رسائلك .

ثعلب : يا أمير المؤمنين إن إبراهيم بن العباس أشعر المحدثين وإني ما رويت شعر أحد منهم غيره .

المتوكل : وماذا رويت من شعره ؟ .

ثعلب : إني لأستحسن من شعره هذه الأبيات :

لنا إبل كوم يضيق بها الفضا
ويفتر عنها أرضها وسماؤها
فمن دونها أن تستباح دماؤنا
ومن دوننا أن تستباح دماؤها
حمى وقرى فالموت دون فراقها
وأيسر خطب يوم حق فناؤها

المتوكل : لقد أحسن والله فإن العربي ليحمي إبله بدمه ولكنه يذبح إبله إكراماً لضيفه .

جعفر بن رفعة : إذا سمح لي سيدي أمير المؤمنين فإني استمعت إلى شعر لإبراهيم في مدحه وإن أذن لي أنشدته إياه .

المتوكل : قل يا جعفر بن رفعة .

جعفر (يتناول العود ويغني) :

ما واحد من واحد	أولى بفضل أو مروة
ممن أبوه وجده	بين الخلافة والنبوة

المتوكل : لقد أحسن أبو إسحاق في شعره وأحسنت يابن رفعة في غنائك .

ثعلب : لقد نظم إبراهيم أبياتاً سرقها الشعراء بعده .

المتوكل : وما هي ؟ .

ثعلب : لقد قال إبراهيم :

لفضل بن سهل يد	تقاصر عنها المثل
فباطنها للندى	وظاهرها للقبل
وبسطتها للغنى	وسطوتها للأجل
من الفضل أمواله	ومن سائليه الأمل

المتوكل : ومن سرقها وماذا قال ؟ .

ثعلب : لقد سرقها ابن الرومي فقال :

أصبحت بين خصاصة وتجمل
والمرء بينهما يموت هزيلا
فامدد إليّ يداً تعود بطنها
بذل النوال وظهرها التقبيلا

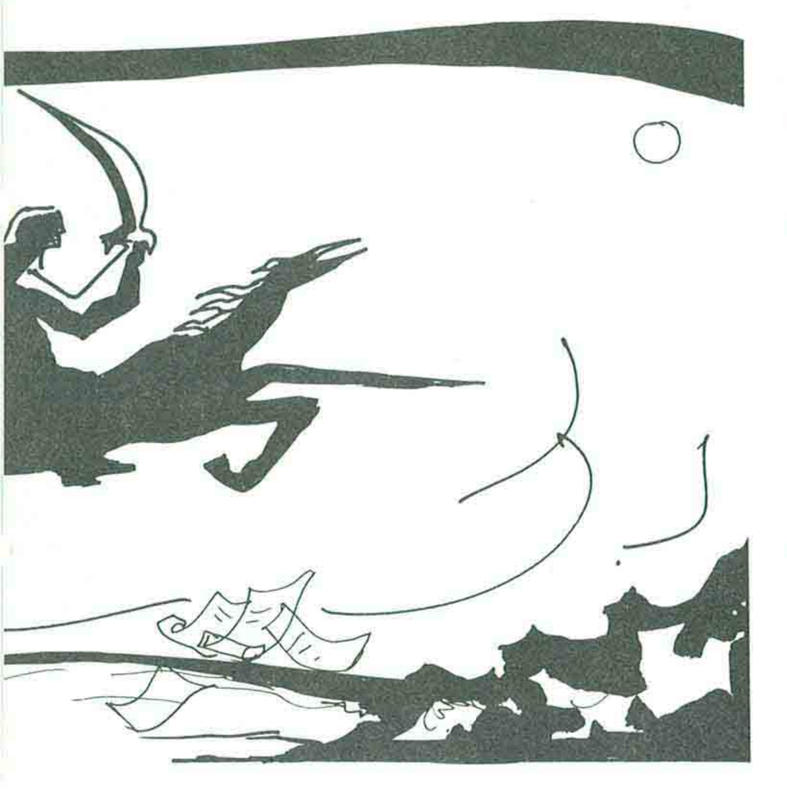
المتوكل : لقد أحسن ابن الرومي .

أبو العيناء : نعم لقد أحسن ابن الرومي ولكن إبراهيم أتى بالمعنى في كلمات أربع فقط بينما احتاج ابن الرومي إلى تسع كلمات فابن الرومي يقول :

فامدد إليّ يداً تعود بطنها	بذل النوال وظهرها التقبيلا

بينما قال إبراهيم :

فباطنها للندى	وظاهرها للقبل



ومع ذلك فابن الرومي لم يأت بالمعنى الذي قاله إبراهيم في البيت التالي :

وبسطتها للغنى وسطوتها للأجل

المتوكل : حقاً لقد أوجز إبراهيم في كلمات قليلة معاني كثيرة .

ثعلب : وقد سرق معنى إبراهيم شاعراً آخر يقال له **ابن دريد** فمدح رجلاً من البصرة يسمى ابن يحيى فقال :

يا من يقبل كف كل مخرق
هذا ابن يحيى ليس بالمخراق
قبل أنامله فلسن أناملاً
لكنهن مفاتح الأرزاق

المتوكل : ليس هذا بشيء فقد قصر في المعنى وأطال في اللفظ.

أبو العيناء : وهو مع ذلك قد قال :

قبل أنامله فلسن أناملاً

فهل هي مخالب إذن ؟ .

المتوكل : إنك ناقد حصيف يا أبا العيناء مثل ما أنت شاعر ظريف .

ثعلب : وإن لإبراهيم بيتين في وصف الليل كان عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يعجب بهما أيما إعجاب ويقول ما أعلم لقديم ولا لمحدث في قصر الليل أحسن منهما .

المتوكل : وما هذان البيتان ؟ .

ثعلب : هما قوله :

وليلة من الليالي الزهر قابلت فيها بدرها ببدر
لم تك غير شفق وفجر حتى تولت وهي بكر الدهر

المتوكل : لقد أبدع في وصف تلك الليلة وقصرها فهي لم تكن إلا شفقاً وفجراً .

ثعلب : إن شاء أمير المؤمنين فيأمر إبراهيم أن ينشدنا شيئاً من شعره .

المتوكل : أنشد يا إبراهيم .

إبراهيم : سمعاً وطاعة :

(يبدأ في الإنشاد)

يقضي الأمور على بديهته
وتريه فكرته عواقبها
فيظل يصدرها ويوردها
فيعم حاضرها وغائبها
وإذا ألمت صعبة عظمت
فيها الرزية كان صاحبها
المستقل بها وقد رسخت
ولوت على الأيام جانبها
وعدلتها بالحق فاعتدلت
ووسعت راغبها وراهبها
وإذا الحروب غلت بعثت لها
رأياً تضل به كتائبها
رأيا إذا نبت السيوف مضى
عزم به فسقى مضاربها

المتوكل : أحسنت يا إبراهيم .

ثعلب : ما أرق شعره وأحسن تقسيماته أنظر إلى قوله :

يقضي الأمور على بديهته
وتريه فكرته عواقبها
فيظل يصدرها ويوردها
فيعم حاضرها وغائبها

وقوله :

وعدلتها بالحق فاعتدلت ووسعت راغبها وراهبها

إن هذا الشعر لما يطرب له السمع وينتشي به الفؤاد .

المتوكل : زدنا من شعرك يا إبراهيم .

إبراهيم :

فلو كان للشكر شخص يبين

إذا ما تأمله الناظر

لمثلته لك حتى تراه

فتعلم أني امرؤ شاكر

المتوكل : لله درك يا أبا إسحاق : ماذا أعددت للاحتفال بتنصيب أولياء العهد غداً في قصر العروس (قرب التل المطل على بغداد) .

إبراهيم : لقد أعددت قصيدتين :

المتوكل : إن شئت سمعناهما الآن وإن شئت أجلنا ذلك إلى غد حيث يقام الاحتفال .

إبراهيم : سأنشد بعض أبيات من القصيدتين ثم أنشدهما بين يديك غداً كاملتين .

المتوكل : حسناً فأسمعنا جزء من قصيدتك الأولى :

إبراهيم :

ولما بدا جعفر في الخميس

بين المطل وبين العروس

بدا لابساً بها حلة

أزيلت بها طالعات النحوس

ولما بدا بين أحبابه

ولاة العهود وعز النفوس

بدا قمراً بين أقماره

وشمساً مكللة بالشموس

لإيقاد نار وإطفائها

ويوم أنيق ويوم عبوس

المتوكل : أحسنت فأسمعنا جزء من قصيدتك الأخرى .

إبراهيم :

أضحت عرى الإسلام وهي منوطة

بالنصر والإعزاز والتأييد

بخليفة من هاشم وثلاثة

حفظوا الخلافة من ولاة عهود

قمر توافت حوله أقماره

فحففن مطلع سعده بسعود

رفعتهم الأيام وارتفعت بهم

فسموا بأكرم أنفس وجدود

المتوكل : أحسنت يا إبراهيم وسنراك غداً إن شاء الله .

★ ★ ★

منظر آخر

(ثعلب وجعفر بن رفعة وأبو العيناء جالسين في مجلس) .

جعفر بن رفعة : لقد مررت اليوم بالسوق فوجدت هارون بن محمد ابن عبد الملك بن الزيات مختلفاً مع ابن برد الخباز .

ثعلب : وماذا كان خلافهما عليه ؟ .

جعفر : كان هارون الزيات يذكر محاسن أبيه وينشد شعره ويفضله ويقدمه على إبراهيم بن العباس وكان ابن برد ينكر ذلك ويفضل إبراهيم .

ثعلب : إذهب إليها وقل لابن برد فليقل لهارون إن كان لأبيك الزيات شعر مثل قول إبراهيم .

أسد ضار إذا هيجته

وأب بر إذا ما قدرا

يعرف الأبعد إن أثرى ولا

يعرف الأدنى إذا ما افتقرا

أبو العيناء : بل قل له أن ينشد قول إبراهيم :

تلج السنون بيوتهم وترى لهم

عن جار بيتهم ازورار مناكب

وتراهم بسيوفهم وشفارهم

مستشرقين لراغب أو راهب

حامين أو قارين حيث لقيتهم

نهب العفاة ونهزة للراغب

وليقل له إن كان لابن الزيات مثل هذا الشعر فليذكره ويفاخر به وإلا فليقلل من التطاول والافتخار بما ليس فيه طائل .

جعفر : حقاً إن شعر العباس لجميل ولقد أعجبني وصفه لقومه بأنهم يكونون في انتظار القادمين عليهم فإن كانوا ضيوفاً أكرموهم وإن كانوا معتدين صدوا عدوانهم . . . .

قصة قصيرة

بقلم : زهير العلاف

الصهاهات والحيتان

ـ أنت خائن .

نظر إلى جدران المطبخ .. تأمل السقف .. أحسّ بكآبة تطغى على قلبه .. سكاكين حادة تقطع شرايينه .. عيون أطفاله الصغار تتنقل بينهما .. الطاولة القديمة ، والكراسي التي يجلس عليها .. أولاده زادت الصورة في نفسه حلكةً وأسى .

نظر إليها .. ثم إلى نفسه .. يداه تنوءان بحمل محفظته .. وسلة الخضار .. وقف متجمداً أمامها .. العروق في عنقها تنتفض .. الأخاديد تغطي جبهتها ، والزرقة تسكن حول عينيها .

« حقير وخائن » .

نسي نفسه واقفاً أمامها ، كان تلميذاً بليداً .. صخرة صمّاء .. كلباً يبصبص بذنبه .. قطعةً من الفولاذ ما عاد يهمها الطرق .. غاصت عيناه في عينيها .. امتصت نظراته .. أحسّ أن ضربات عصي كثيرة تنهش جسده .. عيون أولاده تنهشه أيضاً .. دار حول نفسه دورة كاملة ، تذكر أنه ما زال يحمل محفظته .. **هـه يسميها محفظة ، هذه التي حولها الزمن إلى رمادية .**

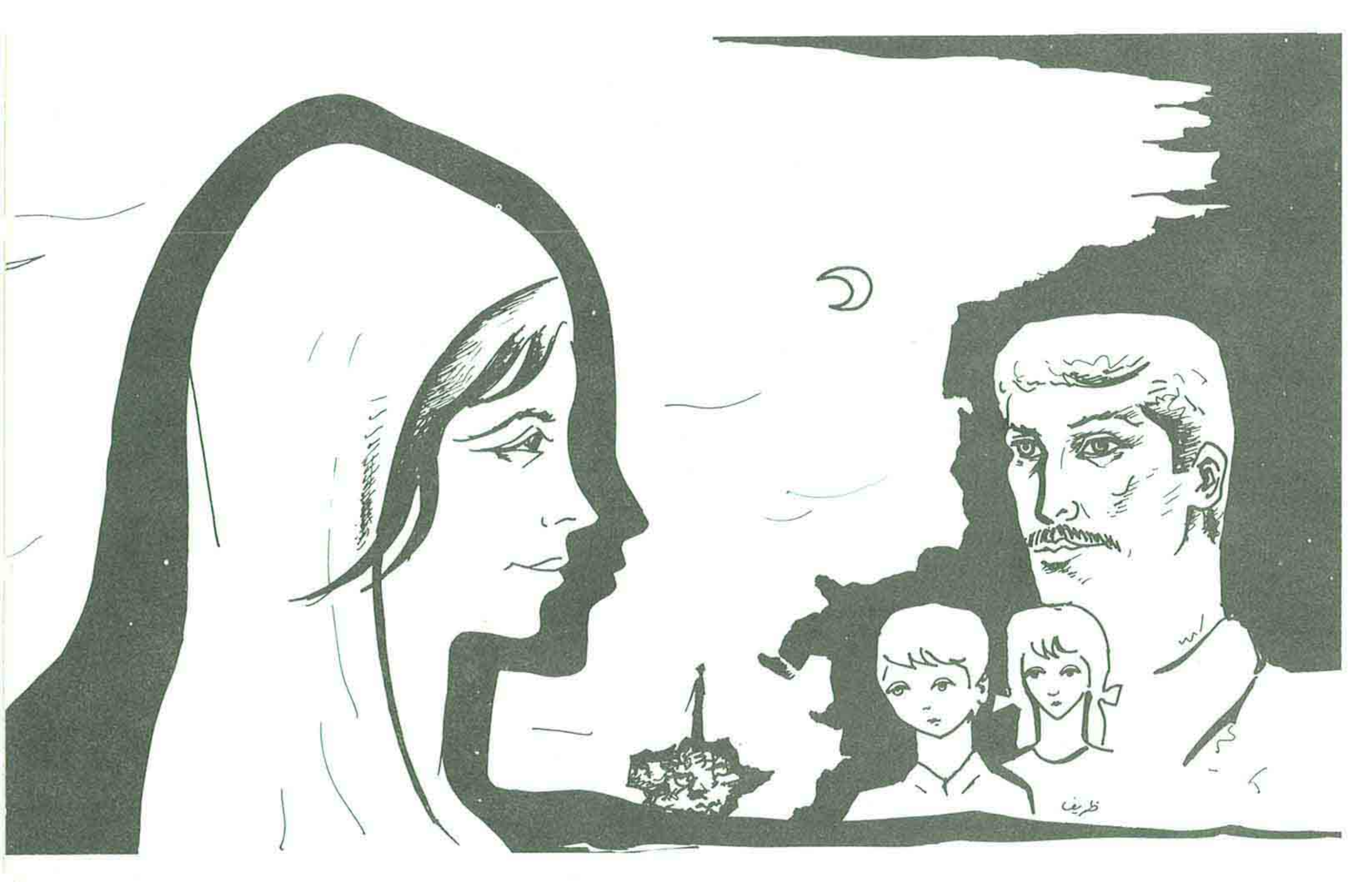
اقترب من الزاوية .. رماها بهدوء ، ثم رمى سلة الخضار إلى جانبها .. تطايرت الخضار هنا وهناك .. أراد أن يمدّ يده ليجمعها .. وقع على الأرض .. نظر حوله بأسى .. رمق أولاده .. ينظرون إليه بجمود .. اعتمد على نفسه ، ثم على الجدار .. نهض ببطء ولكنه توقف على قدميه تماماً .. أسند ظهره إلى الحائط .. أحس أن المصباح اليوم خافت ، مسح عينيه بجمع يمينه ، كأن المطبخ تقترب جدرانه منه .. فأغمض عينيه .

بحث عن كرسي حوله .. جذب كرسياً أعرج .. أسنده إلى الجدار وجلس .. **السيوف تصهل في دماغه** .. أصوات دبابات وطائرات وقنابل نابالم .. تملأ المكان .. قال لنفسه : **لِمَ لا ألبس لباس الميدان في هذه الدار ؟**

وشت شفتاه بابتسامة .. أعجبته الصورة .. تنهد بعد ذلك ، ولكنه استمر في صمته .. عيناها تستمران في الاتساع أيضاً .. صدرها يضيق كصدر دجاجة .. أصابعها تنكمش بعصبية غريبة .. أراد أن يبكي .. يصرخ .. يحتج .. ولكنه فضل الصمت .

عيون أولاده تتنقل بينهما تنتظر الانقضاض .. النهاية لديهم معروفة .. هجوم الأب بالأيدي والقباقيب والصحون وبألواح الزجاج أيضاً .. دفاع الأم وصمودها .. أصابتها بالدوار والاغماء .. استسلام الأب في آخر الأمر للبحث عن الأطباء وزجاجات العطر ، وكل الكلمات القليلة التي يعرفها في الملاينة واللطف .. ورجاء الجيران بالانصراف .

الأولاد حفظوا كل هذه الخطوات .. والأب حفظها جيداً .. رأى اليوم أن يصل إلى النهاية مباشرة .. لا ضرورة للمقدمات .. النتيجة هي



استسلامه .. ليستسلم الآن اجتناباً للفضيحة والخسارة .

قرأتْ أفكاره في عينيه ، فقالت :

ـ أنت لست قذراً فقط.

ضيق عينيه .. ابتسم ابتسامة أخرى ، ثم قال ببرود :

ـ وهل لديك زيادة على هذه الصفات يا عزيزتي ؟

ـ نعم أنت بليد أيضاً !

وسّع ابتسامته قليلاً .. كانت تحتوي على قنبلة محشوة بالبارود .. أحس أن صمام الأمان بين فكيه .. ولكنه لن يفجرها .. اعتصر جبهته .. ابتلعت تنهيدتُه الابتسامةَ .. أحس أن وجهه قد ضيع لونه .. شعر بالبؤس والمهانة .. نظر إلى وجهها : ما زالت عيناها في اتساع مستمر .. وما زالت عروق يدها تنتفض وتنتفض ، وعيون أولادها عيون تماثيل فقدت ألوانها ولمعانها .. علق قائلاً :

ـ شكراً يا عزيزتي .

لم يقصد أن يقتلع بكلمته هذه صمّام أمانها .. لم يتذكر أن صمامها قابل لمغادرة القنبلة في أية لحظة .. نظر إلى الصحون المتطايرة ، وإلى الزجاج المتناثر في أرض المطبخ ، وإلى بقايا الطعام التي علقت بالجدران القذرة .. ثم نظر إلى عيون أولاده من جديد فلم يفهم أي شيء .. مد يده إلى ظهر كفه لينفض قطعة زجاج .. ثم ابتسم ابتسامة أخرى .

جدران المطبخ قنبلة بلا صمّام أيضاً .. كلها تردد الشتائم الفاجرة والصراخ .. كانت عيوناً تتسع وتتسع أيضاً .. أما عيون الأطفال فما زالت حيادية .. إلا أنها اختلطت بمزيج من الخوف والأسى .

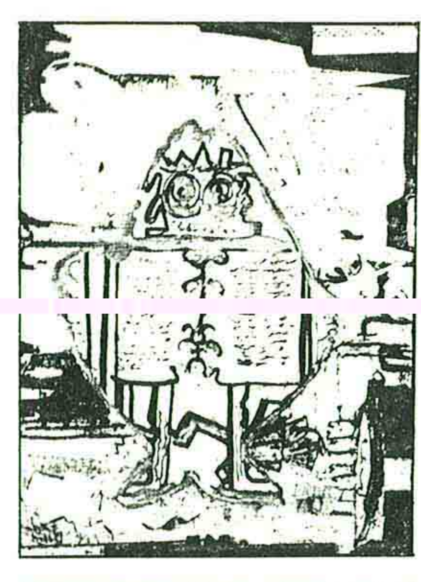
وقف وقفة حيادي .. يجمع الكلمات المتطايرة من فمها .. يبحث عن سبب لهذه الثورة المجنونة .. **توهمت أنه غازل جارتها الجميلة** .. سأل نفسه إن كان قد نظر حقاً فلم يجد جواباً ، ولكنه ابتسم عندما قارن بينها وبين زوجته .

المرأة مسجّاة فوق السرير .. لا تتحرك .. تتنفس بطريقة مبكية مضحكة .. عيون الجيران مفروشة على وجهها .. الأفواه تردد ما حفظت من الآيات ..

غادر المنزل .. ولكنه لم يذهب إلى الطبيب هذه المرّة ، بل رأى نفسه في طريق آخر ..

كانت الصخرة تطل على البحر .. عالية وسوداء .. نظر إليها بودّ ومحبة .. أحس أنها صديقته الوحيدة .. **أسنانها الناتئة الحادّة تسلقها بعزم وصعوبة** .. وصل إلى قمتها .. رفع رأسه .. **القمر هرب من السماء** .. الظلمة تنعكس على صفحة البحر ، فتبعث في القلوب رهبة .. أغمض عينيه .. **أفواه الحيتان مفتوحة حوله** .. أحس بارتخاء في كل أعضائه .. أشار إليها بالاقتراب .. فتح عينيه عندما كانت الدمعة تغطيها .. أحس بالاختناق ثم قال لنفسه :

« عليّ أن أبحث عن حل .. طالما أن لكل مسرحية نهاية .. فلأبحث عن نفسي داخل هذا البحر .. » .







★ محمد بن علي السنوسي ★

وأخيراً .. وَجدتُ السنوسي

بقلم : عبد الرحمن محمد الرفاعي

من المعروف أن الشعر فن جميل ، وهذا الجمال في الشعر ينبعث وينشأ : « ... عن الناحية الوجدانية للنفس الإنسانية .. فيعبر الشاعر بلغته الكلامية الموسيقية عن أنواع الانفعال والعواطف ، والانفعال قوة وجدانية ، وبهذا الوجدان وهذه العاطفة التي يسندها الفكر والخيال التي تحتاجه العاطفة (الانفعال) للتعبير عنها ، وإظهار ما تحسه في نفسها ، تجد الشاعر بل تجد شخصيته ماثلة أمامك ، تحسها وتلمسها في أي نص يصدر عنه ، وهذه الشخصية تتبين مظاهرها المختلفة في الأسلوب الذي يقولون عنه : إن الأسلوب هو الأديب ، والأديب هو الأسلوب » .

وهذا الأسلوب هو : الألفاظ والتراكيب والصور البيانية .. والأسلوب لا يمكن أن يكون صورة لصاحبه ، صادقاً في تصويرها ، إلا إذا استمده الأديب من نفسه ، وصاغه بلغته وعباراته ، دون تقليد لسواه ، لأن كل أسلوب صورة خاصة لصاحبه ، تبين طريقة تفكيره ، وكيفية نظرته إلى الحياة وتفسيره لها ، وطبيعة انفعالاته .. فالذاتية هي أساس تكوين الأسلوب .. والأديب حين يعبِّر عن شخصيته تعبيراً صادقاً يصف تجاربها ، ونزعاتها ، ومزاجها ، وطريقة اتصالها بالحياة ... وهذا هو بغية القارئ من الأدب .

فالشاعر إذا قرأت شعره فإنك ستجد فيه : (مزاج هذا الشاعر ، وطبعه وخلقه ، ومذهبه في الحياة ، ومستوى ثقافته ، وظل روحه ، وتفسيره للحياة ، تعرف نوع كلماته ، وجمله ، وطريقة تصويره ، تجد شخصية الشاعر أمامك حقيقة) .

وهذا ما كنت أرحل لأجله في كل ديوان يصدر **لشاعرنا الأستاذ محمد علي السنوسي** .. نعم لقد رحلت كثيراً ، وتعددت رحلاتي مع الشيخ الشاب ، والأديب المرح ، والشاعر الفحل ، والأب والأخ معاً ...

كنت أرحل لأعرف جديداً ، ولأعود بكسب جميل ، لكن لا جديد ، لأني ـ دائماً ـ أجد في النهاية السنوسي الذي أعرفه ، اللهم إلا قطفات نادرة ، وومضات تضيء من بعيد ، سرعان ما تختفي إذا ما جئتها جرياً ، وهكذا أعود لأجلس مرة أخرى مع الشاعر السنوسي الذي عرفته ، السنوسي الرجل الطويل ذو العقال والغترة والنظارة الطبية ، السنوسي الذي أحاول جاهداً أن أعرفه وأسبر غوره ، السنوسي الذي بذلت كل وسيلة كي أصل إلى أعماقه ولأعرف ما يدور بداخله .

وهذا لا يعني أن السنوسي ليس شاعراً فحلاً ، لا بل فحل وعملاق من عمالقة الشعر ، شاعر بكل ما تحمل كلمة الشعر من معاني ، شاعر إن كتب ، وشاعر إن نطق ، وشاعر إن صمت ، فصفته شعر ، لأنه إن سكت لسانه طار بخياله إلى العالم الذي يقصر عن رؤيته من ليس بشاعر ، يطير بجناحي فكر أنضجته الحياة والتجارب ، بأنات وجدان ألهبته المشاعر ، يحوي عاطفة أضرمتها حاسية الشاعر الفائضة . . . وهذا هو السنوسي الذي أريد أن أعرفه ، السنوسي الفكر والوجدان ، السنوسي الخيال والعاطفة ، السنوسي المشاعر والأحاسيس ، السنوسي التجارب والثقافة . هذا هو السنوسي الذي وددت أن أراه وأعرفه . . . وكنت واثقاً تمام الثقة أنه موجود معنا ، وهو الذي يريد أن لا يكون معنا . . . ولست أدري لِمَ ؟

يريد ذلك لأنه موجود ، ويزيدني يقيناً على أنه موجود تلك القطفات والومضات التي كنت أجدها في رحلاتي السابقة معه . . . وهذا ما كان يشدني إليه كلما عدت من رحلة من تلك الرحلات لأني موقن تمام اليقين أني سأجده ، سأجد السنوسي الداخل ، لا السنوسي الذي أراه بعيني ، مؤمن أني سأمس الحاسة السادسة التي يقولون عنها :

وأخيراً وجدت السنوسي الذي أريده ، وجدته حينما أراد هو أن يكون موجوداً ، وجدته حينما انفجر يصيح لهفاً ، ينادي بحرقة ، يتحسس حوله . . . ينادي . . . يتوسل لكنه قد طار . . . ومضى :

طار عصفور شبابي من يدي رغم حذار

هنا وجدت الشاعر ، النابع من الوجدان الحزين ، النادم على انقضاء أيام الشباب النضرة ، الأسى على الزهرة التي ذبلت ، ومات نضارها وأمست كورد الزينة ورق وأصباغ*:

وتهاوت زهرات الورد مني والعرار

هنا وجدت الشاعر الحزين ، المتسائل في ذهول عن الغصن الرطب ، الذي أضحى عرجوناً :

من رأى غصناً بلا ماء ندي الاخضرار

وجدته في صراعه العنيف في أسى ، الصراع المشبوب ، صراع الفكر والعاطفة ، العاطفة التي تصرخ في لوعة مشددة متسائلة :

يا شباباً ضاع كالأمطار في عرض القفار
كيف ولى ولماذا وإلى أي دار؟
متى طار فإني لست والله بداري

صراع الفكر الناضج ، النادم في حرقة ، الموقن في لوعة العارف ، لِمَ طار عصفور شبابي ؟

جلل الشيب عذاري ومحى الليل نهاري
وذوت نضرة روحي وخبت جذوة ناري

* * *

أسودي أصبح مبيضاً وطرفي في انحسار

وهنا تهدأ حدة الصراع العنيف حينما تتفجر من الوجدان الحقيقة المرة ، المؤلمة الحزينة :

مضى عمري أباديد نشاراً في نشار

* * *

لماذا ؟ . . .

جداري بات منقضاً وجهري كسراري
ونسمي غير رفاف ومائي غير جاري

* * *

وتمضي حدة الصراع في هدوئها لتتلاشى عندما ينفجر بركان التعنيف واللوم النفسي على التفريط والغفلة ، والتمادي في الهوى ، وتناسي النهاية المؤلمة . . . اللوم على ضياع الوقت من دون حس ، ضياعه في اللهو ، ضياعه في الضياع ، وماضي في حسابه ولا رحمة . . . فنهاية الغفلة حسرة . .

كنت ألهو ويجد الدهر في قطف ثماري
يأخذ اللؤلؤ من كفي ويسخو بالمحار
كنت مسحوراً ومأسوراً بتغريد القماري
وأظن الدهر لا يقوى على لفح شراري
سائراً في ضجة الموج وتيار البحار

* * *

ويمضي التعنيف واللوم ، عندما تشتعل نار الحسرة نادبة حظها ، مستغيثة . . صارخة في حرقة ولوعة :

يا شبابي آه لو عدت ولو بعض نهاري

لمه ؟ . .

لم أكن أعرف مقدارك في فجر اغتراري
سوف أفديك إذا عدت بماسي ونضاري

* * *

ويمضي السنوسي الوجدان في رسم شخصية السنوسي المتلهف لذكرى الصبابة والفتوة . . فهنا نرى السنوسي الداخل ، نرى ما يدور في

الأعماق ، نرى الأسى والألم ، نرى السنوسي الشيخ المتعقل ذو الوقار ينادي في حسرة ، يستغيث في حرقة ، يستجدي في ضعف ، يستجدي الحياة ، يناشدها بأغلى ما تملك الحياة بأن تعيد إليه فقيداً غالياً ، غالياً إلى نفسه ، إلى روحه العطشى لذكراه الظامئة للقياه .

أعيدي فدتك النفس ذكرى صبابة
وأحلام وجد كالرحيق عذاب

وهنا نجد الشاعر حقيقة لا تغطيها مادية الحياة ولا ملقها الاجتماعي ، نجد الشاعر اسماً ومعنى ، الوجد في وجدانه الملتهب الحزين في صدق ، صدق العاطفة التي تصور لك حقيقة ما تحسه دون زيف أو مراء ، هذا الصدق الذي تحسه وتلمسه في هذه الصور المتلاحقة المتطاردة :

قولي فإن النفس عطشى إلى فم
يحدثني عن سحرها وعذابي
عن السهر في ليلي عن النار في دمي
عن البدر يحصي مجيئي وذهابي
عن الوعد لم يصدق عن السعد لم يرق
عن الكأس لم تطفح بغير شراب
عن الشوق ظمآناً عن ناعم
عن الليل جحماً والنجوم كؤاب
عن الدل ريانا عن السحر فاتناً
عن اللفظ حلواً واللحاظ سراب

★ ★ ★

ويمضي جمال التصوير وروعته في رسم شخصية السنوسي الشاعر ، الذي طالما تمنينا أن نراها ، أن نحسها ونلمسها حتى وجدناها أخيراً ، وجدنا الشخصية التي يعصرها الحزن والألم ، الشخصية التي يغلفها الأسى ، ويبكيها في حرقة اليأس القنوط :

طواها الأسى واليأس حتى كأنها
بقايا حطام من دماء شهاب
فما لك يا نفس تعيدين ذكرها
وتورين من جمر الحنين خوابي

وهكذا كلما توغلنا في نفحات السنوسي وجدنا ملامح الشخصية تظهر لنا أكثر فأكثر ، فمثلاً **إذا أردنا أن نحدد إطاراً عاماً لهذه الشخصية كما ظهرت في هذا الديوان ، فإننا سنجد أن ملامح هذا الإطار هو : الأسى العميق على الماضي** ، على الشباب الذي طار طيراناً لا رجوع بعده ، الأسى على ذكرى الصبابة ، على الهوى وغرام الشباب . ثم الحزن الدامي نتيجة للوحشة المظلمة التي يحسها الشاعر في داخله ، كيف كان ؟ وكيف أصبح ؟ الوحشة التي أظلمت في جوانبه ، وجعلته لم يعد يرى ما حوله ، ولا النهاية التي يريدها :

كيف أرسو ولم يلح بعد
مرساي ولا أشرقت لعيني منائر

★ ★ ★

ونهاري ضياؤه شاحب اللون
وليلي كأنه قلب كافر

★ ★ ★

وتبلغ الوحشة في نفس الشاعر مداها حينما تتفجر إلى يأس قانط مخيف ، يأس يُبكي الشاعر ويذله ، يروعه في النهاية ، ويقصر عزمه ليقعده عن الخوض في بحر الحياة ، التي تتلاشى محل أمانيها ورغائبها في عيني الشاعر .

يظهر هذا اليأس عندما يصبح داخل الشاعر صارخاً : وأمامي مدى بعيد طويل ما له أول ولا فيه آخر ، ولأن الشاعر قد يئس عن الفوز بما في الأرض من كنوز في مصادر أخرى ، كما أنه قد يئس من الأرض وما فيها (وما تحت الثرى) :

وسمائي ممسوحة لا بصيص
لنجم ولا جناح لطائر

★ ★ ★

وهنا تتفجر العاطفة المدهوشة في ذهول ، الحائرة في قلق لتعلن في صدق ، الصدق الوجداني الذي لا يعرف الخجل ، أو المغالطة تعلن هذه الدهشة والحيرة والخوف والقلق من المجهول :

ولحاظي مدهوشة ترمق
المجهول حيرانة وقلبي مغامر
وحياتي تدور حول رؤاها
والرؤى لعبة على كف ساحر

★ ★ ★

وإذا أردنا أن نجد مصدراً لهذا الخوف والحيرة والقلق النفسي عند الشاعر نجد أنها تنبعث من الوحشة التي حسها في نفسه ، الوحشة التي تنبع من وجدان الشاعر الذي تكتنفه الظلمة التي سببها حزن الشاعر وأساه ويأسه . وهذه الظلمة ، وإن حاول الشاعر أن يطرد هذه الفكرة من نفسه ، ومحاولة اقناعها من أن ما تحسه وهم وأنها تعيش في نور ساطع قوي :

أنا والدجى يلف كياني
رغم أنف الدجى أرى نور باهر

وأرى — أيضاً — أن من أهم مصادر هذه الوحشة والظلمة عند الشاعر ، قلقه النفسي ، وخوفه من النهاية المؤلمة ، والانحراف المخيف المحزن ، من الفساد الأخلاقي ، والتباعد الاجتماعي المؤسف ، من الدمار الذي يوشك أن يحل ويقع ، نتيجة لما وصلت إليه هذه الحضارة المادية الطاغية ، من هذا الصخب المدمِّر . . . فالشاعر محق إن خاف ، فأسباب الخوف موجودة :

عــالم صــاخب ودنيــا عنيفــة
ميـكانيكية الحيـاة مخيفـه
وازدحــام أنـى ذهبـت
كأن الحيـاة صباً كفيفـه
كهـربتنـا سـلوكها بسـلوك
أحـرق الـروح والمعـاني اللـطيفه
كل شيء فيهـا تعقـد
حتى الأكل والشرب والتحـايا الخفيفه
هشـة تستحق السـكينة
سـحقاً يفقـد المرء نفسـه وأليفـه
وهـات ينتف أنـدى الأحـاسيس
وأحلى المشـاعر الصـوفيه
قـربتنـا وبـاعدتنا نفـوساً
وجسـوماً قـويـة وضـعيفه
ليس في طيبهـا الهـدوء ولا الـرفق
ولا رقـة الشـعور الشـفيفه

★ ★ ★

وهذا الخوف والقلق النفسي والـذهول لـدى الشاعر وصـل ـ كما أراه ـ نتيجة لصدمة عنيفة وقع فيها الشاعر ، إثر الانقـلاب الحيـوي ، الذي قلب الحياة للشـاعر ، لتغـير الحياة نتيجـة لطغيـان الحضـارة المادية . . . فالشاعر كـان يحيا حياة روحيـة طابعها هـدوء الـريف ، وجمـال الطبيعة يجمعها رباط الأخـاء ، ويغنيها الحب الصـادق النابـع من النـور الإلهي غـذاء الأرواح ، إذ كانت نشأة الشاعر نشأة دينية محضـة ، فالأسرة ، أسرة قضاء شرعي ، ومحيطه محيط تقي وزهد ، ومن هذا النبـع ، تغذى الوجدان ، ونهلت العاطفة ، ولما تغيرت الحيـاة وأصبـح داخـل الشاعر لا يحس ولا يرى ما ألفه في الخارج ، ذهل ، واسـتوحش وخـاف وقلق . . . فهو حزين لأن داخله يحترق ويتعـذب ، مسـتوحش لأن صـلة داخله انقطعت عن خارجه ، فاحتار كيف يـوفق بـين نقيضـين ، مـادي قاتل ، وروحي منير :

يـا لقلبـي مـن وحشـة مـزقت
قلبـي وهـدت أنفـاسه ورقيعـه
أنـا وحـدي أعيش أم أنـا
في دنيا من النـاس حلـوة ولـطيفه
حسرت يا نفس فيك فالتمس دربـاً
وعيشي أحـلامك الفيلسـوفه

★ ★ ★

وتمضي الحيرة مشتعلة في وجدان الشـاعر ، وفي قلبـه وفـكره وفي مشاعره وأحاسيسه ، ويزيده اليأس حزناً حتى تبيض عينـاه ، وينهـك جسده ، وتكاد تذبل روحه ، حتى يتدارك وينقذ نفسه ، وينتشل جسده ، قبل أن يذبل ويموت ، ينتشل نفسه لأنه يجد ضالته ، يجد الحـل الـذي يرتضيه داخله ويعشقه ، يجد الوفاق ، الذي ينهي الحـرب بـين داخلـه وخارجه ، ليعيش الأصل في الحياة ، قبل أن يـطير مـن يـده كما طـار عصفور قلبه ، فيندم ندم الموت يجد ضالته عندما يصرخ :

لا لن أضـل فقـد وجـدت سـكينتي
في الـدين وهـو دليـل كل لـطيف

★ ★ ★

فـالدين ظـل الله ملـكوته
والله بـالإنسان خـير رؤوف
من قـال إن الـدين أفيـون الـورى
فهـو الشـقي بعقلـه المخـطوف

★ ★ ★

وهذه الرجعة الدينية للشاعر تفسر لنـا جـانب خـطير في هـذه الشخصية ، كاد يقضي عليه لولا أن مَنَّ الله بنعمـة مـن عنـده ، هـذا الجانب هو انفصام في شخصية الشاعر ، بيـن داخلـه وخـارجه كما رأينـا آنفاً ، هذا الانفصام . . . الذي جعله يعيش حـزينـاً . . يـائسـاً ، تـائهـاً حائراً ، باحثاً ولا هدف ، ناظراً ، ولا رؤيا ؟

اختلطت الأصوات عليه فأصبح لا يميز بين جميلها وقبيحها :

كيف أرسـو ولم يلـح بعـد
مـرساي ولا أشرقـت لعيـني منـائر

★ ★ ★

وأمامي مـدى بعيـد طـويـل
مـا لـه أول ولا فيـه آخـر
سمـائي مـمسوحة لا بصـيص
لنجـم ولا جنـاح لـطائر
ولحـاظي مـدهوشة تـرق
المجهـول حـيرانة وقلبـي مغـامر
وحيـاتي تـدور حـول رؤاهـا
والـرؤى لعبـة على كف سـاحر

وإذا نحن حاولنا أن نبحث عن سبب لهذا الانفصام الذي حصـل في شخصية الشاعر نجد أن من أهم الأسباب . . هو محاولة الشـاعر إرضـاء خارجه ، الذي يحسه ويلمسه ، ويراه ثم إرضـاء مـن حـوله . . . إرضـاء واقعه الاجتماعي ، الذي طرأ عليه . . . في الوقت الذي هو غير مقتنع من داخله بما يعمله . . . حاول أن يرضي قيم عصره المادي ـ بما شـاهدناه في دواوينه السابقة ـ بغير ما ألفه واقعه الداخلي فلم يفلـح ،أصر، فتـألم ، ضغط على داخله فجمحت عـواطفه ، ونفرت مشاعره وجف وجـدانه الثري ، فشد أكثر على داخله ليرضي خارجه ، فأعلن داخله الحـرب على

خارجه ، فنشأ الصراع العنيف الذي أوجد الحزن الأسي ، والوحشة المظلمة ، واليأس في النهاية .

* * *

وهنا نجد الشاعر أيضاً ، كما وجدناه سابقاً ، نجده على خلاف ما وجدناه ، نجده هادئ في رضى ، قانعاً في غنى ، مؤمناً برجعته ، منتصراً لما نشأ عليه في قوة ، قوة الحق الصامد أمام الزوابع التي سرعان ما تنتهي وتتلاشى أمام قوة الحق الضاربة :

كتب الله لي حياتي ورزقي
فتنحي يا فلسفات العباد
أنا آمنت بالذي خلق الكون
وما فيه من هدى أو فساد

ونمضي مع الشاعر ، فنجد الشاعر أكثر ، نجد الإنسان المؤمن بحق الإنسان ، المؤمن بالحب شعاراً ، والأخاء الإنساني رباطاً ، الإنسان الخير ، الممقت للشر ، العاشق للوفاء والإخلاص ، الإنسان السلام ، لا الإنسان المدفع :

أيها الإنسان في كل مكان — يا أخي قلباً ولباً وكيان
حبك الأوطان لا يعيك عن — حبك الإنسان في أي لسان
اجعل الحب شعاراً ثابتاً — وانتزع عنك طباع الحيوان
ولينبض قلبك خيراً ولتنبض — بالندى من ساعديك الراحلتان

* * *

حطم المدفع لا تحمله ثم حاو — رني بفكر وبيان
ولتكن مفتاح خير وهدى — ولتكن مغلاق شرود خان

لقد حققنا الكسب بل وأكثر من الكسب من رحلتنا مع الشاعر ، فأينا تجولنا وجدنا الشاعر ، وجدنا لمساته في كل زاوية ، في أحزانه ، في أساه ، في وحشته ، في قلقه وحيرته ، دهشته وذهوله في تحسره ، ثم في هدوئه وسكينته ، في ثورته ، في نصرته لعقيدته ، نجده في وعظه ، في نصحه ، نصح من خبر الحياة فصرف جميلها وقبيحها ، عرف خيرها وشرها ، نجده في إنسانيته ، في حبه وإخاه ، نجد صدق الوفاق الذي حصل بين داخل وخارج شخصية الشاعر بعد أن وجد ضالته ، ورضي بواقعه . هذا الواقع نجده أخيراً في إشراقة الوجدان الذي كادت الظلمة تودي به ، نجده في النفس المضيئة ، في إعجاب القوي ، لكنه إعجاب الشيخ الذي قنع من الدنيا وعزف عن لذاتها . شيخ صحيح ، لكنه شاب في عاطفته ، شاب قلبه ، ناضج عقله ، لذا تراه ، يهوى في خوف ، ويعشق في حذر ، ويعجب ولكنه لا يتمادى في إعجابه .

وسرعان ما يقلب الخوف والحذر عشق الشاعر للعيون إلى الأرض التي أنجبت هذه العيون وهذا يعطينا كسباً آخر نظفر به في شخصية الشاعر هو عشقه للبيئة العربية الأصيلة ، البيئة التي تغلغل حبها في قلبه واختلط بدمه ، فهو لم يتنكر لها ولم ينسها ، فهي معه أينما سار ورحل :

صحراؤنا العذراء لا ينمو بها
إلا الهوى العذري والحسن الأبي
تلد الكواكب والشموس ويلتقي
الشاعر الفنان فيها والنبي
طابت مناظرها وأشرق وجهها
بهدي النبوة والجمال اليعزلي
سمت فكل ثنية من أرضها
حرم وكل ثرى علها يثربي

* * *

وبعد هذه العجالة التي مررنا بها سريعاً في ديوان الشاعر واستطعنا من خلالها أن نوجد إطاراً عاماً لهذه الشخصية ، التي طالما بحثنا ونقبنا عنها ، وقد وجدنا أن هذا الإطار ، كما ظهر في الديوان — يتجسد كما سبق — في الحزن والأسى ، وأحياناً اليأس ، وحيناً الوحشة المظلمة ، ثم الحيرة والخوف ثم القلق النفسي . . . وأخيراً الهدوء والطمأنينة والرضى والقناعة إلخ . . . هذا الإطار من أين كان يستمد غذاءه ، بل وما عناصره . .

إذا بحثنا فإننا سنجد أن أول هذه العناصر العاطفة المؤلمة : عاطفة الأسى والحسرة ، التي سيطرت على نفس الشاعر وحملته على العكوف والتفكير في شأنه فهو حزين ، لأنه مهزوم ، أمام واقعه المؤلم ، متحسر حزين ، أمام حاضره المر ، مهزوم أمام الأيام التي سلبته وانتزعت منه أغلى وأجمل شيء في حياة المرء ، الدهر الذي سلبه شبابه ، فالشاعر هنا شاكي ، يرثي ماضيه ، يرثي أيامه الحلوة ، أيام الشباب ، أيامه التي ضاعت دون فائدة ، زرع ولم يحصد لأن التربة التي زرعها — كما يقول — غير صالحة للبذر . وهذه العاطفة الحزينة المتحسرة ، أنطقت الشاعر بأبيات رقيقة مؤثرة حشدت : الخوف والفزع ، والحرقة والألم والجزع حيث الحذر الذي لا ينجي من القدر . . .

هذه المعاني السلبية التي اتخذتها العاطفة الشجية في نفس الشاعر ، هي الأفكار التي سندت هذه العاطفة كما مر شرح كل منها في محله . . . ونلاحظ أيضاً أن هذه العاطفة الحزينة يبلغ الحزن بها والأسى أحياناً إلى درجة تعجز عن تصوير ما تحسه ، فنراها تلجأ إلى الخيال لتصوير هذه الحسرة والأسى ، فتأتي بقيمة التصوير المعاني الحزينة والحسرة مزهرات الشباب — يا حسرة — تهاوت وذبلت ، ونضارة الروح قد خبت والنشوة اضمحلت ، وانحسر الطرف ، والسوء الصباح ، ظلام لا نور ، موت محقق . . . . ويبلغ الأسى والحسرة قمته في نفس الشاعر ، للخسارة الفادحة التي روعته في فقيده الذي ضاع ضياع المطر في الصحارى القاحلة :

يا شباباً ضاع كالأ — مطار في عرض القفار



في الفقه المالكي (العبادات)



إعادة الصلاة مع الإمام :

روى مالك في موطئه أن رجلاً من بني الديل اسمه **محجن** كان في مجلس مع **رسول الله صلى الله عليه وسلم** فأذن بالصلاة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ثم رجع ومحجن في مجلسه لم يصل معه ،

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما منعك أن تصلي مع الناس [illegible] أهلي .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا جئت فصل مع الناس وإن كنت قد صليت » . الموطأ ، ج ١ ، ٢٣٢ .

وعلى هذا مذهب إمام دار الهجرة مالك رضي الله عنه أن الرجل إذا أتى المسجد وكان قد صلى منفرداً وأقيمت الصلاة فليعدها مع الإمام ، أما إذا كان قد أدها جماعة مع إمام آخر فليس عليه أن يعيدها ، ووافقه على هذا **الشافعي وأبو حنيفة** رضي الله عنهما ، أما **الإمام أحمد بن حنبل** فيرى الإعادة مع الإمام حتى ولو صلى جماعة قبل ذلك .

وهذا **ما عدا صلاة المغرب** فقد قال مالك : « ولا أرى بأساً أن يصلي مع الإمام من كان صلى في بيته إلا صلاة المغرب فإنه إذا أعادها كانت شفعاً » .

كل ذلك فيما عدا المساجد الثلاثة **المسجد الحرام ، ومسجد الرسول ، والمسجد الأقصى** ، فمن وجد الجماعة تقام فيها فليصل ولو كان قد أدها جماعة لفضل الصلاة فيها على غيرها .



البول :

الأبوال في مذهب الإمام مالك تابعة لأجناس اللحوم بالنسبة لنجاستها وطهارتها ، **فما يؤكل لحمه من الحيوانات بوله طاهر** إلا أن يتناول النجاسات **وما يحرم أكله فبوله نجس تجب إزالته** ، وتعاد الصلاة لمن صلى وثوبه أو جسده ملوث به ، كما تعاد من سائر النجاسات .

وقليله وكثيره سواء كباقي النجاسات ما عدا الدم خلافاً للشافعي وأبي حنيفة ، حيث يسوي الشافعي بين الدم وغيره من النجاسات في عدم العفو عنها .

ويعفي أبو حنيفة عما كان قدر الدرهم من النجاسات على الثوب .

وبول الأطفال ذكوراً وإناثاً نجس عند مالك سواء أكلوا الطعام أم لم يأكلوا خلافاً لما عليه الشافعي من العفو عن بول الصبي الذي لم يأكل الطعام بخلاف بول الأنثى .

وقد روى مالك في موطئه حديثاً عن **عائشة** زوج النبي صلى الله عليه وسلم أتى بصبي فبال على ثوبه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فأتبعه إياه . الموطأ (١/١٢٨) ص ٤٣ ، ١٢٨ .



ترك القراءة خلف الإمام :

يقول مالك : « الأمر عندنا أن يقرأ الرجل وراء الإمام فيما لا يجهر فيه الإمام بالقراءة » ، ويترك القراءة فيما يجهر فيه الإمام بالقراءة .

واستدل على ذلك بحديث **أبي هريرة** أن **رسول الله صلى الله عليه وسلم** ، انصرف من صلاة جهر فيها بالقراءة فقال : « هل قرأ معي منكم أحد آنفاً ؟ » .

فقال رجل : نعم ، أنا يا رسول الله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني أقول ، مالي أنازع القرآن » فانتهى الناس عن القراءة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جهر فيه بالقراءة حين سمعوا ذلك منه . الموطأ (١ / ١٦٠) .

وإذا كان الإمام ممن يسكت قبل قراءة الفاتحة ، أو بعدها ، فيجوز أن يقرأها المأموم ، فذلك خير له من التفرغ للوسواس .

وإذا قرأ المأموم مع جهر الإمام فلا تبطل صلاته ، ولكنه يكون قد أساء .



ثواب الجماعة :

يقول **الرسول صلى الله عليه وسلم** في حديث رواه مالك عن **نافع** عن **ابن عمر** : « **صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة** » . الموطأ (١ / ٢٢٨) .

وقال أيضاً : « بيننا وبين المنافقين شهود العشاء والصبح » .

ولفضل صلاة الجماعة ، وكثرة ما ورد فيها من أحاديث صحيحة ، ذهب جماعة إلى أنها فرض كفاية ، إذا قام به البعض سقط عن الباقين ، ولكن لا بد من إقامتها .

وذهب البعض إلى أنها سنَّة مؤكدة ، وهذا هو مشهور مذهب مالك .

ويزاد الثواب على الجماعة في **صلاة الصبح والعشاء** ، لما يترتب على حضورهما من معاناة ، ومجاهدة للنفس ، فلذا أكد عليها الرسول صلى الله عليه وسلم .



الجبيرة :

الجبيرة : ما يوضع على العضو من عيدان الجريد أو نحوه كالجبس ، وتطلق على كل ما يوضع على العضو الجريح أو المكسور من عصابة أو دواء .

ويرخص للمتوضئ أن يمسح عليه ، إن كان من أعضاء الوضوء ، وكذلك يمسح عليه في الغسل إذا كان الغسل يضره ، أو يؤخر الشفاء أو يزيد الألم ، ولا بد من المسح مرة واحدة ، إلا في الرأس ، فإن تيسر مسح جزء منها مسح ، وإلا كانت كسائر الأعضاء الأخرى ، ويصح المسح ولو تجاوزت الجبيرة محل المرض لضرورة .

وإذا **سقطت الجبيرة عن برء** بطل المسح عليها ، ووجب تطهير ما تحتها بالغسل أو المسح ، إن كان صاحب الجبيرة متطهراً ويريد البقاء على طهارته ، بشرط الإسراع بذلك ويغتفر التأخير في **حالة النسيان** . وإن **سقطت عن غير برء** ردت إلى موضعها ومسح عليها .

أما إذا **سقطت في الصلاة** فتبطل ، ويجرى في المسح عليها أو غسل العضو ومسحه ما سبق .



حجامة المحرم :

الحجامة : **نوع من العلاج عند العرب يكون بشق الجلد لإخراج بعض الدم .**

ومعلوم أن المحرم بحج أو عمرة يمتنع عليه الترفه بحلق شعر الرأس أو غيره ، كما أنه يتجرد من المخيط والمحيط من الثياب ، ولا يتطيَّب إلى غير ذلك .

فإذا اضطر المحرم أن يحتجم لضرورة فحلق شعراً من رأسه أو جسده مكان الحجامة فعليه فدية .

ويجيز مالك الحجامة للمحرم تمسكاً بما ورد عن **الرسول صلى الله عليه وسلم** ، فقد روى **سليمان بن يسار** أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرم فوق رأسه وهو يومئذ بلحي الجمل (مكان بطريق مكة) الموطأ (٢ / ٢٣٩) . فإن اقتضت الحجامة إزالة شعر فالفدية لازمة لقوله تعالى : ﴿ **فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك** ﴾ (سورة البقرة ، الآية ١٩٦) .

ويستوي شعر الرأس والجسد في لزوم الفدية ، وقد اتفق على ذلك مالك وأبو حنيفة والشافعي بينما يرى الظاهرية أن لا فدية ما لم يحلق شعر الرأس .



خروج النساء إلى المساجد :

يباح للمرأة أن **تشهد صلاة الجماعة في المسجد** ، ولا بد لها من إذن زوجها ، وإذا كان الحجاب والاحتشام واجباً في حق المرأة عموماً فلا بد منه عند خروجهن إلى المساجد ، ولا تتطيَّب عند ذهابها إلى المسجد وقد استند مالك في ذلك إلى ما روي عن **الرسول صلى الله عليه وسلم** : « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله » ، وقوله : « **إذا شهدت إحداكن صلاة العشاء ، فلا تمسن طيباً** » .

وما روي أن **امرأة عمر بن الخطاب** ـ رضي الله عنه ـ كانت

تستأذن عمر في الذهاب إلى المسجد ، فيسكت ، فتقول : « والله لأخرجن إلا أن تمنعني ، فلا يمنعها » . الموطأ (١ / ٣٤٢) .

أما ما يحدث الآن من بعض النساء يخرجن إلى المساجد في كامل زينتهن ، فلا يجوز ذلك ، لما روي عن **عائشة ــ رضي الله عنها ــ** أنها قالت : « **لو أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء لمنعهن المساجد** » . الموطأ (١ / ٢٤٣) .



الدعاء في الصلاة :

الدعاء مخ العبادة ، وقد أمرنا الله به فقال ﴿ **ادعوني أستجب لكم** ﴾ ، وقال ﴿ **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان** ﴾ ، كما قال ﴿ **قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى** ﴾ .

هذا متفق عليه ولكن **ما حكم الدعاء في الصلاة** ؟

سئل مالك عن الدعاء في الصلاة المكتوبة ــ المفروضة ــ فقال : « لا بأس بالدعاء فيها » . الموطأ (١ / ٣٦١) .

ومذهبه رضي الله عنه جواز ذلك في صلاة الفرض أو النافلة بما شاء الداعي من أمر دينه ودنياه سواء كان الدعاء بما ورد في آيات القرآن الكريم أو غيره ، ولا تبطل صلاة الداعي ، بل فعله ذلك داخل تحت حث القرآن على الدعاء .

وهذا خلاف ما رأى بعض الأئمة من عدم جواز الدعاء بغير ما ورد في القرآن للمصلي .

وقد استدل مالك على ما ذهب إليه بما صح عن **الرسول صلى الله عليه وسلم** أنه كان إذا رفع رأسه من الركعة الآخرة يقول : « اللهم أنج الوليد بن الوليد ، اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين ، اللهم اشدد وطأتك على مضر ، اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف » رواه البخاري .



الذكاة :

عرفها المالكية بأنها السبب الموصل لحل أكل الحيوان البري اختياراً ، وتتم بأربع طرق :

● **الأولى** : الذبح ويكون في البقر والجاموس والضأن والمعز والطير والوحش المقدور عليه ما عدا الزرافة فإنها تنحر .

والذبح عبارة عن قطع الحلقوم والودجين من المقدم بمحدد بنية ولا بد أن يكون مسلماً ذاكر لاسم الله أو كتابي ذبح ما يحل له بشريعتنا وأن لا يهلّ لغير الله ، وأن يذبح بحضرة مسلم عارف بأحكام الذكاة فلا يؤكل ذو الظفر إذا ذبحه يهودي كالبط والأوز لأن اليهود يحرمونه وثبت في شريعتنا تحريمه عليهم .

● **الثانية** : النحر ويكون في الإبل والزرافة والفيلة ، ويكره في البقر والجاموس ، وهو عبارة عن طعن المسلم أو الكتابي بالشروط السابقة بلبة الحيوان بنية .

● **الثالثة** : العقر ويكون في الوحش غير المقدور عليه إلا بعسر وهو جرح المسلم للحيوان الوحشي بمحدد أو حيوان صيد معلم بنية ، وفي عقر الكتابي خلاف في المذهب بالجواز وعدمه .

● **الرابعة** : أي فعل مميت يعتبر ذكاة ما لا دم له كالجراد مثلاً فذكاته إماتته بنار أو أسنان أو غيرهما ، وفي كل ما سبق لا بد من النية والتسمية من المسلم ، وما سبق من الشروط في الكتابي (اليهودي والمسيحي) .



الرعاف :

الرعاف هو نزيف الأنف ، فإذا حدث للمصلي أثناء الصلاة فإنه يفتله بأصابعه ، فإذا انقطع أكمل صلاته وإذا استمر فإنه يخرج من صلاته إذا كان منفرداً أو يستخلف إماماً من الصف الذي يليه ليصلي بالناس ، ويخرج فيغسل الدم في أقرب مكان مستديماً حالة الصلاة من عدم الكلام ثم يعود فيتم صلاته بانياً على ما كان قد صلى فيتم ثلاث ركعات إن كان قد أنجز واحدة وهكذا .

هذا هو مذهب مالك رحمه الله مستدلا بما رواه مالك عن نافع ، أن **عبد الله بن عمر** كان إذا رعف انصرف فتوضأ ثم رجع فبنى ولم يتكلم ، وكذلك كان يفعل **عبد الله بن عباس** .

وحدث مالك عن **عبد الرحمن بن حرملة الأسلمي** أنه قال : رأيت **سعيد بن المسيب** يرعف فيخرج منه الدم حتى تختضب أصابعه من الدم الذي يخرج من أنفه ثم يصلي ولا يتوضأ .



زكاة الحلي :

الحلي ما يتزين به وهو نوعان : **محرم ومباح** .

فالمحرم كالخواتم والأساور الذهبية للرجال والأواني والمرود والمكحلة عموماً تجب فيه الزكاة إذا بلغ نصاباً ، والنصاب عشرون مثقالا وهو الدينار ، وإن كان الحنابلة يرون أن الدينار أصغر من المثقال .

ويراعى في **النصاب** الوزن لا القيمة ، ويخرج ربع العشر إذا حال عليه الحول .

أما المباح فالمالكية يرون أن لا زكاة فيه إلا في الأحوال الآتية :

● **الأولى** : أن يتكسر ولا يمكن إصلاحه إلا بسبكه مرة أخرى ، أو يمكن عوده بدون سبك ولكن لم ينو مالكه إصلاحه .

● **الثانية** : أن يكون معداً لنوائب الدهر وحوادثه لا للاستعمال ، أو لمن سيوجد للمالك من زوجة وبنت مثلاً .

● **الثالثة** : أن يكون معداً لصداق من يريد أن يتزوجها أو يزوجها

لولده .

● **الرابعة** : أن ينوي به التجارة .

وقريب من هذا مذهب الإمام أحمد رضي الله عنه ، وفي المذاهب الأخرى اختلاف ليس مجاله الآن .



سجود السهو :

عند المالكية سجود السهو سنَّة للإمام والمنفرد ، ويتحمل الإمام عن المأموم سهوه حال الاقتداء ، وعليه أن يتابع الإمام في سهوه ، وإن لم يدرك حال السهو .

وأسبابه : نقص سنَّة مؤكدة ، أو سنَّتين خفيفتين فأكثر أو ركن من أركان الصلاة ، ولكن في الحالة الأخيرة لا يغني السجود وحده بل لا بد من الاتيان بالمنقوص سجدة كانت أم ركعة .

زيادة فعل ليس من جنس الصلاة كأكل خفيف أو كلام خفيف أو بعض من الصلاة كركعة أو ركعتين فإن لم تكن الزيادة فريضة بل سورة الركعتين الأخيرتين فلا سجود عليه زيادة ونقص بأن يجمع ما بين ما سبق من نقص وزيادة .

فإن كان السبب نقصاً أو نقصاً وزيادة فالسجود قبل السلام ، وعلى الساهي أن يسجد سجدتين ويتشهد بعدهما بدون دعاء ، وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا نية عليه للسجود حينئذ .

وإن كان السبب زيادة فقط فالسجود بعد السلام ولا بد من النية .

ولكن إذا كان السهو في صلاة الجمعة ــ في غير حال الاقتداء بأن أدرك ركعة فقط مع الإمام ــ ففي حالة النقص لا بد من سجوده في نفس الجامع الذي أدى فيه الجمعة .

وإن كان زيادة فيسجد في أي جامع كان ولا يجزئ سجوده في غير جامع تقام فيه الجمعة .



الشهادة :

الشهداء كثيرون فقد وردت أحاديث صحيحة تفيد أن **من مات دون دينه أو ماله أو أهله ، أو مات في وباء كالطاعون مثلاً أو بمرض مزمن أو بغرق فهو شهيد .**

ولكن هؤلاء جميعاً شهداء بمعنى ينالون ثواباً في الآخرة يفضلون به عن غيرهم نظراً لصبرهم ودفاعهم عما يجب الدفاع عنه .

غير أن هناك نوعاً من الشهداء هو الذي يطلق عليه : الشهيد في سبيل الله ، وهو من قُتل في معركة مع عدو لتكون كلمة الله هي العليا .

وهذا النوع في مذهب **الإمام مالك** قد حاز فضيلة تسقط فرض غسله وتكفينه والصلاة عليه ، وبهذا قال **الشافعي** أيضاً . وإن كان **أبو حنيفة** يقول بالصلاة عليه . وذكر بعض الأئمة أنه يغسل ويصلى عليه .

وقد استدل لمالك بما روى عن **جابر بن عبد الله** قال : كان **النبي صلى الله عليه وسلم** يجمع بين الرجلين من قتلى **أحد** في ثوب واحد ثم يقول : أيهم أكثر أخذاً للقرآن ؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد ، وقال : أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة ، وأمر بدفنهم بدمائهم ، ولم يغسلوا ولم يصل عليهم .

وهذا متفق عليه في المذهب فيمن خرج غازياً ، أما من غزي في عقر داره فاختلف فيه ، فقيل يغسل ويصلى عليه وقيل إن دافع عن نفسه ولا يكفن وإلا غسل وكفن .



صيام أيام منى :

أيام منى هي الأيام الثلاثة التي تلي يوم النحر ، وفي مذهب مالك لا يجوز صيام هذه الأيام تطوعاً ، ومن صام يوماً منها تطوعاً فليفطر متى ذكر من نهاره ، وكذلك لا يصام اليومان الأول والثاني عن نذر معين أو غير معين ، بخلاف اليوم التالي فيصام عن النذر واختلف قول مالك وأصحابه عن صومهما (الأول والثاني) في صوم واجب التتابع كالكفارة ولا تصام في **الفدية** .

وتصام هذه الأيام للمتمتع في مشهور المذهب .

وقد استند مالك في ذلك إلى ما رواه في موطئه من حديث **سليمان ابن يسار** « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام أيام منى » .

وحديث **ابن شهاب** « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث **عبد الله بن حذافة** أيام منى يطوف يقول إنما هي أيام أكل وشرب وذكر الله تعالى » .



الضحى :

صلاة الضحى من النوافل غير التابعة للصلوات المفروضة وقد اختلف في حكمها . ويهمنا هنا بيان مذهب مالك فيها .

فهي عند المالكية مندوبة ندباً أكيداً وليست سنَّة ، ووقتها وقت حل النافلة بعد شروق الشمس والأفضل تأخيرها حتى يمضي بعد طلوع الشمس مقدار ما بين دخول وقت العصر وغروب الشمس .

وأقلها ركعتان وأكثرها ثمان ، وما زاد على ذلك صح عند المالكية بدون كراهة .

وقد روى مالك ما ذكره **عقيل بن أبي طالب** أن **أم هانئ بنت أبي طالب** أخبرته أن **رسول الله صلى الله عليه وسلم** صلى عام الفتح ثمان ركعات وقالت وذلك ضحى .

وما روي عن **عائشة أم المؤمنين** أنها كانت تصلي الضحى ثمان ركعات ثم تقول : لو نشر لي أبواي ما تركتهنّ .

وقد روي عن **أبي هريرة** أنه قال : « أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن حتى أموت : صوم ثلاثة أيام من كل شهر ، وصلاة الضحى ، ونوم على وتر » .



الطواف :

الطواف حول الكعبة المشرفة ـ متعنا الله بالطواف حولها ـ منه ما هو **ركن** من أركان الحج وهو **طواف الإفاضة** ، ومنه ما هو **واجب** وهو **طواف القدوم** عند دخول مكَّة المكرمة وذلك لمن أحرم بالحج وحده ومعنى الواجب ما يجبر بالدم .

ومنه ما هو **مندوب** وهو **طواف الوداع** .

ولكي يقع الطواف صحيحاً لا بد من كونه سبعة أشواط ، فإن قل لا يجبر بالدم إن كان ركناً ثم الطهارة من الحدثين الأصغر والأكبر ومن النجاسة في البدن والثوب وستر العورة وجعل البيت عن يسار الطائف وخروج بدنه عن الحجر والشاذروان ـ بناء محدودب لاصق بالكعبة والموالاة وكون الطائف داخل المسجد .

ويجب صلاة ركعتين بعده والمشي للقادر .

ويسن تقبيل الحجر الأسود لمن تمكن منه أو لمسه أو التكبير عند محاذاته .



ظهور العورة في الصلاة :

العورة تختلف في الرجل عن المرأة وفي كل إما أن تكون مغلظة أو مخففة ، فبالنسبة للرجل المغلظة السوأتان والمخففة ما زاد عليهما مما بين السرة والركبة وما حاذى ذلك من الخلف .

وبالنسبة للمرأة ـ الحرة ـ المغلظة جميع بدنها ما عدا الأطراف والصدر وما حاذاه من الظهر والمخففة لها هي الصدر وما حاذاه من الظهر والذراعين والعنق والرأس ومن الركبة إلى آخر القدم .

فمن صلَّى مكشوف العورة المغلظة كلها أو بعضها ولو قليلاً مع القدرة على الستر بطلت صلاته إن كان ذاكراً ويعيدها وجوباً بقي وقتها أم خرج .

أما المخففة فإن كشفها كلاً أو بعضاً لا يبطل الصلاة رغم حرمة الكشف ويستحب له أن يعيد الصلاة في الوقت مستوراً .



عشر أهل الذمة :

أهل الذمة من عوهدوا على حفظ أموالهم وأنفسهم نظير **جزية** يدفعونها للمسلمين ، ومن بين عهدهم تنمية أموالهم في آفاقهم التي يقيمون فيها .

فإذا انتقلوا بتجارتهم إلى آفاق المسلمين فيؤخذ منهم ـ غير الجزية ـ **العشر** ، ويجوز للحاكم أن يخفض من العشر في أنواع خاصة إذا احتاجت الجماعة الإسلامية إليها .

ودليل ذلك عند مالك ما فعله **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه من أخذ نصف العشر من **النبط** ـ أهل الشام الذين لم يسلموا ـ من الحنطة والزيت والعشر من غيرهما أي غير الحنطة والزيت .

فما حدث زمن عمر رضي الله عنه إجماع سكوتي وهو دليل عند جمهور المالكية والأحناف .



الغلول :

أخذ شيء من الغنيمة قبل القسم المعروف شرعاً وقد حرمه **القرآن الكريم** وتوعد عليه فقال ﴿ **وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة** ﴾ (سورة آل عمران ، الآية ١٦١) .

وقد بيَّن **الرسول صلى الله عليه وسلم** جزاء الغلول فقال في حديث طويل رواه مالك في الموطأ : « إن الغلول عار ونار وشنار (أي عيب وعار) على أهله يوم القيامة » .

ويحرم القليل والكثير ، فقد توفي رجل يوم خيبر فذكروه للرسول صلى الله عليه وسلم فقال : « صلوا على صاحبكم » ، فتغيرت وجوه الناس ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن صاحبكم قد غل في سبيل الله » قال راوي الحديث : « فتحنا متاعه فوجدنا خرزات من خرز يهود ما يساوين درهمين » .

فمن أخذ شيئاً وضبط قبل رده يؤدب ويتصدق بمثله وإن كان الأئمة الآخرين قالوا يحرق متاعه كله .

وإن أراد رده قبل أن يضبط قبل منه وإن فات وقت الرد فيبيعه ويتصدق بثمنه لتعم منفعته المسلمين بسد فاقة فقير من فقرائهم أو مرفق من مرافقهم .



فوائت الصلاة :

إذا ألمَّ بالإنسان تأخر بسببه عن أداء بعض الصلوات ووجب عليه قضاؤها .

فعند المالكية يجب ترتيب الفوائت في نفسها قليلة كانت أو كثيرة بشرط التذكر للسابقة والقدرة على الترتيب ويأثم إذا لم يرتب ، ولا تعاد التي قدمها على غيرها .

وبالنسبة للفوائت مع الحاضرة فإن قلت الفوائت بأن كانت خمساً فأقل فيجب ترتيبها مع الحاضرة ويأثم إذا لم يفعل وتصح بشرط التذكر والقدرة .

أما إذا كان ناسياً فتذكر أثناء أداء الحاضرة فإنه يقطعها إلا إذا كان قد أدى ثلاثاً من الرباعية فيتمها .

وإذا كانت أكثر من خمسة فلا يجب تقديمها على الحاضرة بل يندب تقديم الحاضرة إن اتسع الوقت ويجب إن ضاق الوقت عن أدائها بعد الفوائت .

ويجب ترتيب الحاضرتين المشتركتي الوقت كالظهر والعصر أو المغرب والعشاء .



قصر الصلاة في السفر :

قصر الصلاة سنَّة مؤكدة عند المالكية آكد من صلاة الجماعة ويصلي منفرداً محافظة على القصر إن لم يجد من يصلي معه ممن يقصر ، ويكره الاقتداء بالمقيم لأنه يلزمه الإتمام فتفوت سنَّة القصر المؤكدة ويشترط لصحة القصر :

أن تكون المسافة ستة عشر فرسخاً أي ثمانين كيلومتراً ونصفاً ومائة وأربعين متراً ، (٤٨ ميلاً) .

ويصح القصر إن نقصت في حدود ثمانية أميال ويستثنى من اشتراط المسافة أهل مكة ومنى ومزدلفة والمحصب إذا خرجوا في موسم الحج للوقوف بعرفة فيقصرون حال ذهابهم وإيابهم إذا بقي عليهم عمل من أعمال الحج التي تؤدى في غير وطنهم .

ويصح القصر ولو كان السفر محرماً مع الإثم ويكره في المكروه .

ويشترط مجاوزة محل الإقامة .

ويشترط أيضاً عدم الاقتداء بمقيم وإلا أتم .

ولا بد من نية القصر وتكفي في أول صلاة يقصرها كنية الصوم في أول ليلة من رمضان فإنها تكفي لباقي الشهر .



الكفن :

هو ما يستر به الميت عند الدفن ، وقد تعددت الآراء في **كيفيته وكمه** ، وسنعرض هنا رأي المالكية .

قالوا : الواجب ما يستر الميت ، ولكن يندب أن يكفن **الرجل** في خمسة أشياء : قميص له أكمام وإزار ، وعمامة لها عذبة قدر ذراع تطرح على وجهه ، ولفافتان .

وأن تكفن **المرأة** في سبعة أشياء إزار ، وقميص ، وخمار ، وأربع لفائف .

ثم لكل منهما حفاظ من قطعة من القماش فوق قطن يوضع بين الفخذين .

ويستحب أن يكون الكفن أبيض ، ويكفن الميت فيما كان يلبسه لصلاة الجمعة ، ولو كان قديماً .

ويندب **تبخير الكفن** ، وأن يوضع طيب داخل كل لفافة ، وعلى قطن يجعل بمنافذه كأنفه وفمه وعينيه وأذنيه ومخرجه ، كما يندب ضفر شعر المرأة وإلقاؤه من خلفها .

فقد روت عائشة رضي الله عنها « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن في ثلاثة أثواب بيض . . ليس فيها قميص ولا عمامة » .

أي أن الثلاثة غير القميص والعمامة والذي جعلهم يرون ذلك ما رواه **جابر بن عبد الله** قال : « أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي : ما أدخل حفرته فأمر به فأخرج فوضعه على ركبتيه وألبسه قميصه » .

وما قاله **عبد الله بن عمرو بن العاص** : الميت يقمص ويؤزر ، ويلف في الثوب الثالث ، فإن لم يكن إلا ثوب واحد كفِّن فيه . الموطأ (٢/٨٢٧) .



لبس الحرير والذهب والفضة واستعمالها :

يرى المالكية أن لبس الحرير للرجال لا يحل ولو لدفع أذى أو لرفع مرض .

أما استعماله فالمشهور عندهم تحريم الجلوس أو الاستناد عليه ولو فرش عليه شيء آخر .

وبعضهم أباح الجلوس عليه والاستناد ، أما جعله ستارة على نافذة فإنه جائز بدون كراهة .

واللبس والاستعمال جائزان للمرأة وكل ذلك في الحرير الطبيعي المنتج من دودة القز .

وبالنسبة للبس الذهب والفضة :

فقالوا يحل للرجل التختم بالفضة في حدود درهمين على نية الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم ، أما الذهب فلا يجوز .

وبالنسبة للاستعمال فيجوز اتخاذ السن من الذهب إذا سقطت ويحرم استعمال أواني الذهب والفضة الخالصة للرجال والنساء .

أما المطلي بهما أي الأواني المصنوعة من معدن آخر ولكنها طليت بالذهب والفضة ، فقيل بالجواز وقيل بالتحريم ، وهما قولان متساويان .



المسح على الخفين :

من الرخص التي ثبتت بالسنَّة المطهرة المسح على الخفين . ويشترط لصحة المسح عليهما عند المالكية :

أن يمكن تتابع المشي فيه بألا يكون واسعاً جداً ، أو ضيقاً ، وأن يكون من الجلد فقط فلا يصح المسح على الجوارب عندهم ، وأن يكون ساتراً للقدم مع الكعبين فإذا بلغت خروقه قدر ثلث القدم لا يمسح

عليه .

وأن يكون طاهراً وإلا وجب إزالة النجاسة مع الذكر والقدرة وأن يلبسا على طهارة مائية .

ولا بد أن يقصد بلبسه اتقاء برد أو حر أو حفظ عموماً لا مجرد الترفه .

ويجب أن يمسح ظاهره كله أما مسح أسفله فمستحب .

ولا يقيد المسح عند المالكية بمدة محددة وإنما يندب نزعها كل يوم جمعة لمن عليه حضور الجمعة أو كل أسبوع عموماً إلا لموجب الغسل .



نقل الميت ونبش القبر :

يجيز المالكية نقل الميت قبل الدفن وبعده من مكان إلى آخر بشروط ثلاثة :

- **أولها** : ألا يتغير حال نقله .
- **ثانيها** : ألا تنتهك حرمته بأن يكون فيه تحقير له .
- **ثالثها** : أن يكون نقله لمصلحة بأن يخشى على قبره من تسرب ماء إليه أو ينقل إلى مكان ترجى بركته أو إلى مكان قريب من أهله لتسهيل زيارتهم له وإلا حرم النقل .

ولا يجوز نبش القبر إذا تغير الميت ، فإن دفن معه مال يعطى مثله لصاحبه أو قيمته أما إذا كان ملكاً له فتتركه الورثة إلا إذا بلي الميت ولم يبق منه جزء محسوس فيجوز النبش حينئذ للدفن والمشي عليه .

وأما الزرع والبناء عليه فلا يجوز ، لأنه بمجرد الدفن صار حبساً لا يتصرف فيه بغير الدفن سواء بقي الميت أو فني .



الهدي :

ما يهدى من النعم للمحرم ويكون من **الإبل والبقر والغنم** ولا يجزئ من الإبل إلا ما أكمل خمس سنوات ودخل في السادسة ولا من البقر إلا ما له ثلاث سنوات ودخل في الرابعة ولو بيوم ، ومن الضأن ما أكمل سنة ودخل في الثانية ولو بيوم ، ومن المعز ما أكمل سنة ودخل في الثانية دخولا بينا بشهر ونحوه .

وهو إما واجب كهدي التمتع والقران والهدي اللازم لترك واجب من الواجبات وكذلك المنذور .

وإما تطوع على جهة التبرع .

ووقت ذبحه ابتداء من يوم العيد ويُستحب أن يكون بعد رمي جمرة العقبة ، ويمتد وقته إلى آخر اليوم الثالث من أيام العيد ، ولو فاتت هذه الأيام ذبحه أيضاً .

ومكان الذبح « **منى** » إذا كان مسوقاً في إحرام الحج ووقف به أو نائبة بعرفة جزءً من ليلة يوم النحر وأراد نحره في يوم من الأيام الثلاثة السابقة وإلا ذبح بمكَّة في أي مكان بها وإن كان يُستحب عند المروة .



الوتر :

الوتر سنَّة مؤكدة وهو آكد السنن بعد ركعتي الطواف والعمرة ، وهو ركعة واحدة يكره وصلها بالشفع ويندب أن يقرأ فيها بعد الفاتحة سورة الاخلاص والمعوذتين ووقته :

الاختياري يبتدئ من بعد صلاة العشاء الصحيحة المؤداة بعد مغيب الشفق الأحمر ، فإن جمع المصلي العشاء مع المغرب أخر الوتر إلى أن يغيب الشفق ، ويمتد هذا الوقت إلى طلوع الفجر .

ووقته الضروري من طلوع الفجر إلى تمام صلاة الصبح ، فلو تذكر الوتر في صلاة الصبح ندب له قطعها ليصلي الوتر سواء كان منفرداً أو مأموماً أو إماماً ويستخلف من يؤم الناس ويكره الجلوس فيه لمن قدر على القيام .

وتقديم الشفع عليه شرط كمال فيكره فعله دون أن يتقدمه شفع .

ويندب تأخيره إلى آخر الليل لمن عادته الاستيقاظ ليتمم به صلاة الليل امتثالا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اجعلوا آخر صلاتكم من الليل وتراً » .

ولا تطلب الجماعة في الشفع والوتر إلا في رمضان .



اليمين :

اليمين هي الحلف والحلف إن كان بالله فهو إما لغو كأن يحلف على شيء يعتقد صحته ثم يظهر خلاف ما اعتقد ، أو يكون ذلك عادة من غير قصد يمين مثل لا والله بلى والله فهذا لا كفارة فيه ولا إثم عليه قال تعالى **﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾** .

وإما يمين منعقدة وهو ما عرفه مالك بقوله : « أن يحلف الرجل ألا يبيع ثوبه بعشرة دنانير ثم يبعه بذلك فهذا الذي يكفر صاحبه عن يمينه » وفيه يقول الله تعالى **﴿ ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ﴾** .

وهناك نوع ثالث وهو أن يحلف الإنسان عالماً بكذبه فهو **يمين الغموس** ، أي الذي غمس صاحبه في الإثم ، وفيه يقول مالك « فأما الذي يحلف على الشيء وهو يعلم أنه آثم ، ويحلف على الكذب وهو يعلم ليرضي به أحداً ، أو ليعتذر به إلى معتذر إليه ، أو ليقتطع به مالا فهذا أعظم من أن يكون فيه كفارة » الموطأ . (٣/٢٤٣) .

والكفارة بيَّنها **القرآن الكريم** استكمالا للآية السابقة : **﴿ فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون ﴾** (سورة المائدة ، الآية ٨٩) .

مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ ـ قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال

ب ـ الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال

جـ ـ الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي) ، وعشر جوائز أخرى قيمة كل جائزة (٢٠٠ ريال سعودي) .

٢ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :
(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣) المسابقة) .
مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .



السؤال الأول :

ما الدولة التي كان يطلق عليها اسم « إريانا » في السابق ؟ وما اسمها في الوقت الراهن ، وفي أي سنة أطلق عليها الاسم الحالي ؟

السؤال الثاني :

أين تقع قمة « إڤيرست » ؟ . . وكم يبلغ ارتفاعها ؟ . . ولماذا سميت بهذا الاسم ؟

السؤال الثالث :

لماذا سمي « المعتزلة » بهذا الاسم ؟

السؤال الرابع :

المعروف أن كلمة « صائمون » هي صيغة من صيغ الجمع لكلمة « صائم » . ما الصيغ الأخرى لجمع هذه الكلمة .

السؤال الخامس :

أذكر ثلاثة أحداث في التاريخ الإسلامي وقعت في شهر رمضان المبارك .

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل العدد (٥١)

الاسم : --

المهنة : --

العنوان : --

● نتائج مسابقة العدد (٤٤) ●

● فاز **بالجائزة الأولى** وقيمتها (٢٠٠٠) ألفي ريال سعودي الأخ عبد الله محمد الصانع، ص . ب . (١٦٤٢٧) — الرياض .

● وفاز **بالجائزة الثانية** وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي الأخ الزاهي الرحموني من تونس، حي المعلمين بحي التحرير 307 — تونس .

● كما فاز **بالجائزة الثالثة** وقيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي الأخ ميسرة أبو العباس محمود محمد سالم من طنطا، ٧ شارع الجلاء المساكن التعاونية، أمام مصنع الكوكاكولا — مصر .

وهناك **سبع جوائز** قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من لبنان — معسكر الجليل، بعلبك، مدرسة شفاء عمر للبنات الأخ صالح علي صباح .

● من السودان — خرطوم بحري، مصلحة المخازن والمهمات الأخ محجوب عثمان محمد خير .

● من الأردن — جبل الحسين، عمان الأخت خولة علي محمد مصطفى .

● من سورية — حلب، بلدية حلب الأخ محمد حاج حميدي .

● من المغرب — المراقبة الجهوية للالتزامات والعوائد، ص . ب . 17 — أغادير الأخ حمري محمد .

● من سورية — دمشق الأخت نسرين فيصل شقير .

● من الجزائر — حي الجنينة رقم 6 — البليدة الأخ علي عامر .

بالإضافة إلى **عشر جوائز** قيمة كل جائزة (٢٠٠) مائتي ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من الأردن، الجامعة الأردنية كلية الآداب — عمان الأخ حسين سليمان سالم .

● من السودان — جامعة أم درمان الإسلامية، ص . ب . (٣٨٢) الأخ قسم الكريم محمد عبد العال .

● من الإمارات العربية المتحدة — أبو ظبي الأخت رجاء سليم عدي .

● من قطر — قسم شرطة أم سعيد، الشرطي حسين إلياس إبراهيم .

● من المغرب — الحي الحسني . بلوك 7 رقم 68، الناظور الأخ السلماني عمر محمد .

● من مصر — المنيا، أرض سلطان ٤٢ شارع عدنان المالكي، بقالة فؤاد بدوي الأخ عواد عودة النجيلي .

● من المغرب — إعدادية ابن سودة فاس الأخ الأزمي حميد .

● من الجزائر، 25 نهج الإخوة ابن تركية المدية الأخ ابن تركية عبد الحفيظ بن محمد .

● من بيشة — آل عبيد، مدرسة مجاهد الأخ أحمد محمد أحمد ناصر .

● من تونس — خنيس ولاية المنستير الأخ الحبيب الفردلي .

● أجوبة مسابقة العدد (٤٤) ●

ج ١ يتشكل الجزء الأكبر من الحرارة الأرضية من تلف المواد النووية العميقة في الأرض، واحتكاك الحركة الصخرية، وقوى المدّ والجزر .

ج ٢ ما ضرّ إن لم نكن أكفاءه شرفاً

في المودة كاف من تكافينا

الشاعر : ابن زيدون . ومحبوبته : ولادة بنت المستكفي .

ج ٣ تفرق الصبية جميعاً إلا صبياً واحداً سأله أمير المؤمنين : لماذا لم تهرب مع رفقائك ؟ فأجابه الصبي : يا أمير المؤمنين لم أفعل ذنباً فأخافك، وليست الطريق ضيقة فأوسع لك . فسر أمير المؤمنين .

أمير المؤمنين : عمر بن الخطاب . الصبي : عبد الله بن الزُّبير . «رضي الله عنهما» .

ج ٤ عمر بن عبد العزيز ولد عام ٦٢هـ، ولما تولى الخلافة عام ٩٩هـ، صعد إلى المنبر، وقال : «أيها الناس إني قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأي كان مني فاختاروا لأنفسكم» . فصاح مَنْ في المسجد صيحة واحدة : «اخترناك يا أمير المؤمنين، ورضينا بك» .

ج ٥ العِبْرة (بكسر العين) بمعنى العظة . العَبرة (بفتح العين) بمعنى الدمعة .

ج ٦ الشاعر : نُصَيْب وكان شديد السواد وجعله ذلك يحتج للونه كثيراً على شاكلة قوله :

فإن يك من لوني السواد فإنني

لكالمسك لا يروى من المسك ذائقه

ج ٧ علي بن محمد الأشموني توفي حوالي ٩٠٠هـ . . ألف الشرح المشهور على ألفية ابن مالك في النحو وسماه «منهج السالك» .

ج ٨ من أسماء السفن عند العرب : السفينة، الفلك، البارجة، القرقور، العدولية، البوصي، المدرعات، المعبرة، الهندي، العمائم، القادس . إلخ .

ج ٩ للمادة ثلاث حالات هي : سائلة، غازية، صلبة، كما اكتشف العلماء حالة رابعة هي : البلازما، وهي حالة فيزيائية تسير وتتحرك كسائل وتتفاعل مع المواد الأخرى كمحلول كيميائي متشرد وتتأثر بالمجالات المغناطيسية والكهربائية المطبقة عليها، وسميت هذه الخليطة بالبلازما لأنها تشبه ظاهرياً السائل الموجود في الدم والذي تطوف فيه الكريات الحمراء والبيضاء .

ج ١٠ الزمان . . ، والمكان . . والحدث : الوحدات الثلاث التي أشار إليها أرسطو في كتابه «فن الشعر»، هذه الوحدات يشترطها البعض في القصة، والرواية، والمسرحية .



مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

المراسلات
الرياض - المملكة العربية السعودية
مجلة الفيصل
ص.ب (٣)
هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ



أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

البلد	السعر
المملكة العربية السعودية	٨ ريالات
الكويت	٦٠٠ فلس
الامارات العربية المتحدة	٧ دراهم
قطر	٦ ريالات
البحرين	٥٠٠ فلس
سلطنة عمان	٦٠٠ بسة
الأردن	٤٠٠ فلس
ج . ع . اليمنية	٦ ريالات
ج . اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس
مصر	٣٠٠ مليم
السودان	٣٠٠ مليم
المغرب	٥ دراهم
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دنانير
العراق	٤٠٠ فلس
سورية	٥ ليرات
لبنان	٥ ليرات
ليبيا	٨٠٠ درهم



ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE
PUBLISHED BY
AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

ALAWI TAHA ALSAFI
Editor-in-Cheif

All Correspondence To:
Riyadh-Saudi Arabia
Al-Faisal Magazine
P.O.Box 3
Tel.: 4653026-4653027
TELEX 202600 DRFATH SJ



EUROPE – AMERICA – ASIA

Country	Currency	Price
Belgium	BF	200
Denmark	DKR	30
Finland	FMK	30
France	FF	15
F.R.G.	DM	10
Greece	DR	100
Italy	L	4000
Netherlands	DFL	10
Norway	NKR	30
Pakistan	RS	10
Portugal	ESQ	100
Spain	PTS	150
Sweden	SKR	30
Switzerland	SF	15
United Kingdom	£	2
U.S.A.	$	5

● أسعار الاشتراكات السنوية :

للأفراد ١٥٠ ريالا سعوديا
لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعوديا
ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription : S.R. 150

Others : S.R.250

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة ، العمارية ، الرياض